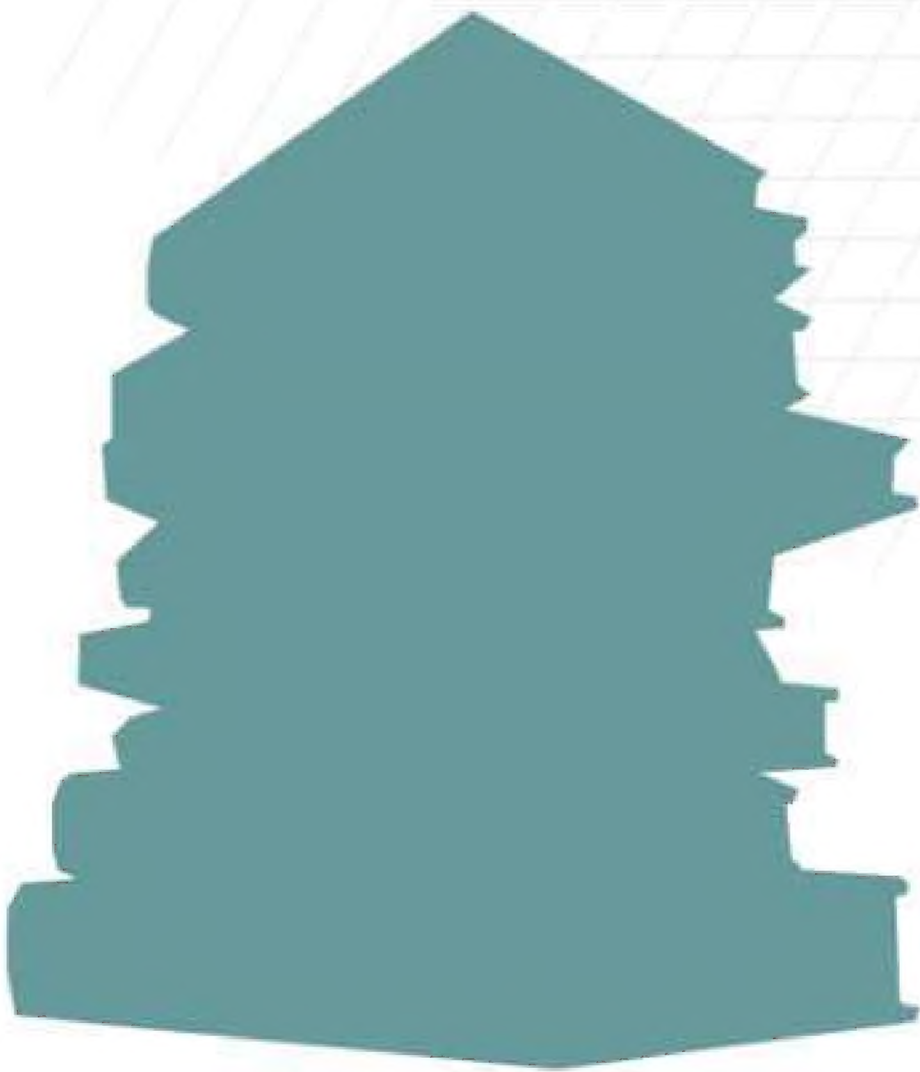
كتاب

إنشاء الدوائر

للشيخ الأكبر
محيي الدين ابن العربي
قدس الله سره

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بورسعيد ـ الظاهر
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ ـ فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧



كتـــاب

إنشاء الدوائر

للشيخ الاكبر

محيى الدين ابن العربى

قدس الله سره

ويليه كتاب

عقلة المستوفز

له ايضـــا

ويليه كتاب

التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية

له ايضـــا

الناشــــر

مكتبــة الثقافــة الدينيــة

٥٢٦ ش بورسعيد ـ الظاهر

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧

مكتبة الثقافة الدينية

رقم الإيداع	٩٨/١٦٣٣٣
I. S. B. N الترقيم الدولى	977-5250-40-4

دار المصرى للطباعة
ت: ٣٨٣٦٥١١ ـ الهرم

كلمــة الناشــر

تفخر مكتبة الثقافة الدينية دائمًا بنشر أمهات كتب التراث فى شتى مجالات المعرفة، وحرصا على الحفاظ على هذه الثروة من الضياع والفناء والسطو والنهب تقدم مكتبة الثقافة الدينية لكل قارئ وقارئة علَمًا من أعلام الفكر والتصوف والفلسفة الإسلامية وهو محيى الدين ابن العربى الذى أفاض وأثرى المكتبة العربية بأروع وأفضل وأثمن المصنفات فى مختلف فروع العلم.

فلهذا حرصت مكتبة الثقافة الدينية كل الحرص على إعادة نشر مؤلفاته ومصنفاته بطريقة علمية أكاديمية خدمة لكل باحث وباحثة ومسلم ومسلمة.

والله المعين وهو أرحم الراحمين

الناشــر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذى خلق الإنسان على صورته وخصّه بسريرته، وجعل المضاهاة والمُباهاة مقدّمتَيْن لتصحيح نتيجة معرفته فطَوْراً يضاهى به حضرة ذاته وصفاته وطورا يضاهى به حضرة مخلوقاته، والصلاة على النبىّ الجامع للمبادئ الأُوَل والمُقابل حضرةَ الأزل النور الساطع الّذى ليس له فَىْء والمستور خلف حجاب ليس كَمثْله شَىء ذلك حقيقة الحقائق والنَّشْء الأوَّل المبرز على صورة المخلوقات والخالق منه من باب الشكل ومنه من باب الحقيقة ومنه من باب الاسم والوصف ومنه من باب الخلائق محمّد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرّم أمّا بعد فإن الله سبحانه لمّا عرفنى حقائق الأشياء على ما هى عليه فى ذواتها وأطلعنى كشفًا على حقائق نسبها وإضافاتها، أردتُ أن أُدْخلها فى قالب التشكيل الحسّىّ ليقرُبَ مأخذُها على الصاحب الولى عبد الله بدر الحبشىّ وليتّضح لمنْ كلَّ بصرهُ عن إدراكها ولم تَسْبح دَرارىُّ أفكاره فى أفلاكها فيتبيّن له من أينَ مرتبته فى الوجود وما الشرف الّذى تحصَّلَ له حتى خضعت، له الملائكة بالسجود وإذا سجد له المَلَك الكريم الأخلص فما ظنُّك بالمَلأ الأسفل الأنقص ألا ترى خبر الحقّ الصدْقَ عنه، حيث قال: ﴿وَسَخَّرَ لكُمْ مَا فى السّموات ومَا فى الأرْضِ جَميعًا منْهُ﴾ وأدخل العالم كلّه أجمع تحت تسخير هذا الإنسان الأرفع فما من ملأ أعلى إلاّ بك مُسْتَعل وما من ملأ أدنى إلا يتضرع إليك ويبتهل فهم بين مستغفر لك ومصلّ عليك ومَلَكُ سلام يوصله من الحقّ تعالى إليك وإذا كان السيّد الحق يصلّى عليك فكيف بملائكته وإذا كان ناظراً لك، فما ظنّك بخليفته وما من فاكهة ونعمة عند تناهيها إلا متضرعة لك خاضعة أن تؤتى لك ما أودع الله من المنافع فيها، فما فى الوجود كله حقيقة ولا دقيقة إلاّ ومنك إليها ومنها إليك، رقيقة فعدد الرقائق على عدد الحقائق والدقائق، فلولا ما صحّ لهذا الإنسان أحسنُ تقويم وفُطر على صورة

القديم واستُخرج مَنْ قُصَيْراه الحقُّ لَمَا سكن له، وبه تعشق لمَا صحّ عنه وجودُ خلق ولا دان له الملأُ الأعلى ولا ظهر بالموقف الأجلى ولا عنتْ له وجوه الأملاك ولا درات بنفسه أجرامُ الأفلاك، فاشكر الله ثانيًا، يا أيها الإنسان على ما خصك به الجوادُ الرحمن من كمال هذه النصْبة وأوقفك على معانى حقائق هذه النسبة فابحثْ عن وجودك وأين مرتبتك من معبودك وميّزْ بينك وبين عبيدك، فإنّك إن فعلت هذا حُشرتَ فى الاستواء الرحمانىّ والإنباء الربّانىّ وهذا قد أوضحت لك فى هذا الكتاب الّذى سمّيته إنشاء الدوائر الإحاطية على مضاهاة الإنسان الخالق، والخلائق فى الصُّور المحسوسة والمعقولة والخلائق وتنزيل للحقائق عليه فى أنابيب الرقائق فنصبتُ الأشكال وضربتُ الأمثال وبيّنتُ ما هو فى الإنسَان بما هو إنسان وما فيه بما هو صاحب إيمان أو إحسان تقريبًا، للفهم وتوصيلا للعلم ومن مُوجد الكون نسأل التأييد والعون بمنّه وكرمه.

فصل: واعلموا وفقكم الله لطاعته وجعلكم من الفائزين بمعرفته برحمته، أنّه لمّا كان الغرض فى هذا الكتاب أين مرتبة الإنسان فى الوجود ومنزلته فى حضرة الجود وبروزُه منَ غيبه بعينه وهل كان متصفًا بحال قبل كونه احتَجْنا أن نتكلم على العدم والوجود، ولماذا يرجعان وهل بين ذلك الوجود والعدم ما لا يتّصف بهما أم لا فجعلتُ هذا الفصل لهذا الأمر ومعرفته ثمّ بعد ذلك إن شاء الله نُنْشئ الدوائر والجداول ونمدّ الرقائق والحبائل ونُبرِز الأصول والفروع، ونفرق بين المفروق والمجموع وما يتعلق بهما من الأسماء، وأين الأرض من الإنسان والسماء وكيفيّات التجليات وترتيبها على المقامات، كلّ ذلك وأشباهه فى أبواب مبوَّبة، فى هذا المجموع وأشكال منصوبة بصناعة عَمَليّة ليقْرب على الطالب مأخذُ الفوائد والمعانى منها، ويتصور المعنى فى نفسه صورةً متجسدةً تسهُل عليه العبارة عنها لقوة حصولها فى الخيال ويَحْرص الناظر على استيفاء النظر حتّى يقف على كلّيّة معانيها، إذ المعنى إذا أدخل فى قالب الصورة والشكل تعشق به الحسّ وصار له فرجة يتفرج عليها، ويتنزه فيها

فيؤدّيه ذلك إلى تحقيق ما نصب له ذلك الشكل وجسدت له تلك الصورة فلهذا ما أدخلناه فى التصوير والتشكيل فاعلم أنّ الوجود والعدم ليسا بشىء زائد على الموجود والمعدوم، لكن هو نفس الموجود والمعدوم لكن الوهم يتخيل أنّ الوجود والعدم صفتان راجعتان إلى الموجود والمعدوم، ويتخيلهما كالبيت والموجود والمعدوم قد دخلا فيه، ولهذا تقول قد دخل هذا الشىء فى الوجود بعد أن لم يكن، وإنّما المراد بذلك عند المتحذلقين أنّما معناه أنّ هذا الشىء وُجد فى عينه، فالوجود والعدم عبارتان عن إثبات عين الشىء أو نفيه ثمّ إذا ثبت عين الشىء أو انتفى فقد يجوز عليه الإنصات بالعدم والوجود معًا، وذلك بالنسبة والإضافة فيكون زيد الموجود فى عينه موجودًا فى السُّوق، معدومًا فى الدار فلو كان العدم والوجود من الأوصاف التى ترجع إلى الموجود كالسواد والبياض لاستحال وصفه بهما معًا، بل كان إذا كان معدومًا لما يكن موجودًا كما أنّه إذا كان أسود لا يكون أبيض، وقد صحّ وصفه بالعدم والوجود معًا فى زمان واحد، هذا هو الوجود الإضافى والعدم مع ثبوت العين فإذا صح أنّه ليس بصفة قائمة بموصوف محسوس ولا بموصوف معقول وَحْدَه دون إضافة فيثبت أنه من باب الإضافات والنسب مطلقًا، مثل المشرق والمغرب واليمين والشمال والأمام والوراء فلا يُخَصّ بهذا الوصف وجود دون وجود، فإن قيل كيف يصحّ أن يكون الشىء معدومًا فى عينه يتّصف بالوجود فى عالم مًا أو بنسبة مًا، فيكون موجودًا فى عينه معدومًا بنسبة مًا، فنقول نعَمْ لكلّ شىء فى الوجود أربع مراتب إلاّ الله تعالى فإنّ له فى الوجود المضاف ثلاث مراتب المرتبة الأولى: وجود الشىء فى عينه، وهى المرتبة الثانية بالنظر إلى علم الحق بالمحدث، والمرتبة الثانية: وجوده فى العلم وهى المرتبة الأولى بالنظر إلى علم الله تعالى بنا، والمرتبة الثالثة: وجود فى الألفاظ، والمرتبة الرابعة: وجوده فى الرقوم ووجود الله الحق تعالى بالنظر إلى علمنا على هذه المراتب ما عدا مرتبة العلم، هذا هو الإدراك الذى حصل بأيدينا اليومَ ولا أدرى إذا وقعت المعاينة البصريّة المقدَّرة فى الشرع هل يحصل فى

نفوسنا علمُ إثبات أو مزيدُ وضـوح فى جنس العلم الّذى بأيدينا اليوم فى علمنا به سبحانه فإن كان كذلك فليس له إلا ثلاث مراتب وإن كان يوجب النظر إثباتًا فى الدار الآخرة أو حيث وقعت المعاينة لمنْ وقعت فقد نصفه بالمرتبة الرابعة فتحقَّقْ هذه الإشارة فى علمنا بالله سبحانه فإنها نافعة فى الباب، ثمَّ هذه المراتب بالإضافة إلينا كما قدمنا بتقدُّم وجود العين أو وجود ما يماثل العين أو وجود أجزاء العين مبدَّدةً غيرَ مجموعٍ بعضها إلى بعض، بالإضافة إلى شكل مَّا يخترعه العاقل كلّ هذا لا بدّ من تقديمه أعني واحداً منها ثمّ بعد هذا ينضبط فى العلم ويُتصور فى الذهن، هذا بالإضافة إلينا وبالإضافة إلى الله تعالى إنّما العلم متقدّم من غير زمان بالشىء قبل عينه، فوجود الشىء المحدث فى علم الله تعالى قبل وجود الشىء فى عينه ومتقدّم عليه، غيرَ أنّ ثَمّ سراً سنومئ إليه فى هذا الفصل إن شاء الله تعالى، ونبيّن لك أنّ وجود العين يتقدّم على وجود العلم بالمرتبة ويساويه فى الوجود أزلاً لا من جهة كونها محدثة وهذا فى حقّ الحقّ، وأما فى حق الخلق فسنبين لك أنّ إدراك الحقّ للموجود فى عينه تفصيلا أنّه قد كانت له حالة مَّا بالنظر إلى أمر مَّا لا يتصف فيها بالوجود، ولا بالعدم مع عدمه فى عينه، ثمّ نرجع ونقول: فأمّا تبيين تلك المراتب الأربع المتقدّمة فهى أن نقول: زيد باللسان فنعقل معناه أو نرقمه فى الكاغد زيد، فنعقل معناه أو يظهر فى عينه فنعقل معناه أو نتخيله فى أنفسنا، وهو غير حاضر فنعقل معناه وهذا هو الوجود فى العلم، فكل واحدة من هذه المراتب متحدة المعنى لم يزد باختلافها معنى فى زيد، فكلّ شىء قديم أو محدث لا يخلو من أن يكون فى بعض هذه المراتب أو فى كلّها، فإذا تقرر هذا وثبت أنّه الحقّ فنقول إنّ الإنسان قديم محدث موجود معدوم، أمّا قولنا قديم فلأنّه موجود فى العلم القديم متصور فيه أزلا وهى من بعض مراتب الوجود المذكورة، وأمّا قولنا محدث فإنّ شكله وعينه لم يكن ثمّ كان فيخرج من هذا أنّ زيداً موجود فى العلم موجود فى الكلام معدوم فى العين أزلا مثلاً، فقد تُصُوّر اتصافه بالوجود والعدم أزلا، فصحّ من هذا أن الوجود ليس بصفة للموجود وإن قد

تقرر هذا فبقى لنا أن ننظر بماذا يتعلق العلم بالموجود أو بالمعدوم، ولا نعلم ذلك ما لم نعلم ما هو العلم وإلى ماذا تنقسم المعدومات، فنقول أولا إنّ العلم عبارة عن حقيقة فى النفس تتعلق بالمعدوم، والموجود على حقيقته التى هو عليها أو يكون إذا وجد فهذه الحقيقة هى العلم، والمعدومات تنقسم أربعة أقسام معدوم مفروض لا يصحّ وجوده البتّة، كالشريك والولد للإله والصاحبة له، ودخول الجمَل فى سمّ الخياط، ومعدوم يجب وجوده وجوبًا ترجيحيًا اختياريًا لا اضطراريًا، كشخص من الجنس الواحد وكنعيم الجنّة للمؤمنين ومعدوم يجوز وجوده، كعذوبة ماء البحر فى البحر ومَرارة الحلو وأشباه ذلك، ومعدوم لا يصح وجوده قطعًا اختياريًا، لكن وجود شخص من جنسه وهذا كله أعنى ما يجوز وجوده وما لا يصح اختيارًا، إنّما أريد به الشخص الثانى من الجنس فصاعدًا على أن الحقيقة تُثْبت الإرادة وتنفى الاختيار، كما تُثبت العلم وتنفى التدبير وإن كان ورد فى السمع ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ وورد ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يشَاء ويختَارُ﴾ ولكن منْ وقف على سر وضع الشريعة عرف موضع هذا الخطاب بالتدبير والاختيار، وسأبينه إن شاء الله تعالى فى كتابى هذا أنّه سبحانه مُريد غير مختار وأنّه ما فى الوجود ممكن أصلاً، وأنّه منحصر فى الوجوب والاستحالة وأنّه كلّما ورد فى القرآن الكريم من قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ ﴿وَلَوْ شاء﴾ اقترانُ المشيئة بحرف الامتناع لسبب موجود قديم يستحيل عدمهُ فيستحيل ضد مشيئته فخرجت المشيئة عن بابها المعقول، فى العادة إلى بابها المعقول فى الحقيقة، فمهما ذكرتُ فى كتابى هذا ما يدل على الإمكان أو الاختيار أو التدبير وغير ذلك ممّا تأباه الحقائق فإنما أسوقه للتوصيل والتفهيم الجارى فى العادة، وصاحب الحقيقة يعرف مرتبة الموضوعات ومعه أتكلّم فى الحقائق وإيّاه أخاطب ومن نزل عن هذه الحقائق فإنّه يحمل الكلام على ما استقر فى عُرْف العادة الّذى يتخيل فيه أنّه حقيقة، فيقبل كلٌّ واحد منهما المسألة ولا يرمى بها لكن من وجهيّن مختلفين وبينهما ما بين مفهوميهما فإذا علمتَ هذا فالعلم لا يتعلق من هذه الأقسام إلاّ بالثلاثة، وأمّا المعدوم الّذى لا

يصح وجود البتة فلا يتعلق به علـم أصلاً لأنه ليس شيئًـا يكون فالعلم إذًا لا يتعلق إلاّ بموجـود ولا يتعلق بمعدوم رأسًا، إذ العدم المـحض لا يُتصور تعلقُ العلم به لأنّه ليس على صورة ولا مقيّد بصفة،ولا له حقيقة تنضبط، إلاّ النفى المـحض والنفى المـحض لا يحـصل منه فى النفس شيء إذ لو حـصل لكان وجودًا والعدم من جميع الجهات لا يكـون وجودًا أبدًا، فإن الحقائق لا سبيل إلى قلبهـا، ألا ترى علمك بنفى شـريك عن الله تعالى إن تأملت إلى مـا تقدّر لك فى نفسك ومـا انضبط لك فى قلبك من نفى الشريك فمـا تجد فى النفس شيئًـا إلاّ الوحدانية وهى موجـودة وهى الّتى ضبطتْها النفـس، وإن أبيتَ قبولَ هذا وعسُر عليـك فارجع إلى نظر آخر، وهو أن الشريك معـلوم عندك موجود فى عينه فى المحدثات، فى حق زيد فتلك النسـبة التى أضفتَ بها الشريك إلى زيد موجودة، هى بعينها لم تُضفها إلى الله تعالى، فانظر علمك بالمُحال راجعًا إلى العلم بأجـزاء متفـرقة موجـودة ولولا ذلك ما عقلت نفـيهـا عن الله تعالى فمهما تُصُور لك العلم بعـدم مًا فليس عندك إلاّ العلم بوجود ضدّه، أو بوجود الشرط المـصحّح لنفيه أو بأجـزاء موجودة فى العـالم نفيت نسبتـها وإضافتـها لموجود مًا لحقيقة ذاتيّة موجودة لذلك الموجود هو عليها علمتها أنت فنفيت عنه ما منعت تلك الحقيقة قبول ما اتصف بهـا لذلك وأثبتّها لآخر لحقيقة أيضًا موجودة يتّـصف هذا الموجود الذى أثبـتها له بها، فتـحقق هذه المسألـة فإنها نافعة إن شاء الله تعالى وهذا هو القسم الواحد من أقـسام المعدومات وما عداه فقد جعلناه إمّـا وجوبًا أو جوازًا أو محالاً اختيـارًا مع فرض وجود شخص من الجنس، فكلها راجعـة إلى الوجود وما كان راجعًا إلى الوجـود فالعلم يضبطه ويحصله واعلم أن الإنسان لولا ما هو على الصورة لما تعلق به العلم أزلاً، إذ العلم المتـعلق أزلاً بالحادث إنّما حـصل ولم يزلْ حاصلاً بالصورة المـوجودة القديمة التى خلق الإنســان عليها والعالم كله بأسره على صـورة الإنسان، فهو أيضًا على الصورة التى خلق الإنســان عليها فالعلم إنما يتعلق بالمـعدوم لتعلقه بمثله الموجود، فافهم فـإذا تقرر هذا فقد يمكن أن تحدث فى النفس أن تقول

لى إنى أريد أن أعلم من أى طريق يتعلّق العلم بالمعلوم المعدوم الّذى يجوز وجوده، فإنى فهمت من كلامك أنّه لابدّ من الرؤية وحيتئذ يحصل العلم فى زمان الرؤية، أو فى تقدير زمان أن كان الرائى لا يجوز عليه الزمان وإنّما المراد حصول العلم عند رؤية المعلوم بالإدراك البصرى أو مثل البصرى أو مثل المعلوم أو أجزاء المعلوم، فلتعلم أنّ الأمر كما فهمتَ وأشرت إليه كذا هو عندى فى حق كلّ عالم سواء، ولا أحاشى من الأقوام من أحد غيرَ أنى سأنبهك على ما سكتّ عنه من الاعتراض أدبًا منك وخوفًا على القلوب العُمى الذين لا يعقلون ولمعرفتك تتفطن لما أومأت إليه رمزًا، فاعلم أنّه ليس من شرط تعلق العلم بالمعلوم، عند الإدراك أن تكون أشخاص ذلك الجنس موجودة فى أعيانها، لكن من شرطها أن يكون منها موجود واحد أو أجزاء فى موجودات متفرقة بجمعها، يظهر موجود آخر فتعلمه وما بقى معدومًا فهو مثل له فعلمُك إذًا إنما تعلّق رؤيتك بذلك الموجود وتلك الحقيقة، وليس سماع الأصوات معرفة أعيانها وإنّما تُعْرف عينها من باب الرؤية، وهكذا كلّ معلوم على مَساقِ ما تقدّم فما بقى معدومًا فمُدرك حقيقة عندك إدراكًا صحيحًا؛ لأنّه مثل أمّ أجزاء موجودات لا سبيل إلى هذا وضرورة أنَّ كل عالم أحاطه من غير تخصيص موجود فى نفسه وعينه عالم بنفسه مدْرك لها، وكلّ معلوم سواه إمّا أن يكون على صورته بكمالها فهو مَثَلٌ له أو على بعضِ صورته، فمن هذا الوجه يكون عالمًا بالمعلومات لأنه عالم بنفسه وذلك العلم ينسحب عليها انسحابًا، خذ هذا عمومًا فى كلّ موجود ولا تقيد غيرَ أنّك يجب عليك التحفظ من التشبيه إن دخلت إلى الحضرة الإلهية والتمثيل، فهذا هو إدراك المفصل فى المُجمَل، وأمّا نحن فما أدركنا المجمَل إلاّ من المفصَّل الحادث الحاصل فى الوجود، ثمّ أدركنا فى ذلك المجمل تفصيلاً مقدَّرا يمكن أن يكون وأن لا يكون، فتفهم ما أومأنا إليه فى قولنا عمومًا، فى كلّ موجود ولا تقيّد، فإنّه مَنْ وُجد على صورة شىء فذلك الشىء أيضًا على صورته فبنفس ما يرى صورته رأى مَنْ هو على صورته وبنفس ما يعلم نفسه علم مَنْ

هو على صورته لا ينقصه من ذلك شيء، فإذا تحصّل هذا فى سمعك ونفث به روح القدس فى رُوعك فألق السمع وأحصر القلب وحُدّ الذهن وخلّص الفكر لما أذكره لك إن شاء الله تعالى. فاعلم أن الأشياء على ثلاث مراتب لا رابع لها والعلم لا يتعلق بسواها وما عداها فعدم محض لا يُعْلَم ولا يُجْهَل ولا هو متعلق بشىء، فإذا فهمت هذا فنقول إنّ هذه الأشياء الثلاثة منها ما يتصف بالوجود لذاته فهو موجود بذاته فى عينه لا يصحّ أن يكون وجوده عن عدم، بل هو مطلق الوجود لا عن شىء، فكان يتقدّم عليه ذلك شىء بل هو الموجد لجميع الأشياء وخالقها ومقدرها ومفصلها ومدبرها وهو الوجود المطلق الذى لا يتقيد، سبحانه وهو الله الحى القيوم العليم المريد القدير الّذى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، ومنها موجود بالله تعالى وهو الوجود المقيد المعبّر عنه، بالعالم، العرش، والكرسى والسموات العُلَى وما فيها من العالم والجوّ والأرض وما فيها من الدوابّ والحشرات والنبات وغير ذلك من العالم فإنّه لم يكن موجوداً فى عينه ثمّ كان من غير أن يكون بينه وبين موجده زمان يتقدّم به عليه فيتأخّر، هذا عنه فيقال فيه بعد أو قبل هذا محال وإنّما هو متقدّم بالوجود كتقدُّم أمس على اليوم فإنّه من غير زمان، لأنّه نفس الزمان فعدم العالم لم يكن فى وقت لكن الوهم يتخيل أنّ بين وجود الحقّ ووجود الخلق امتداداً، وذلك راجع لما عهده فى الحسّ من التقدّم الزمانى بين المحدثات وتأخره، وأمّا الشىء الثالث فما لا يتّصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقِدَم وهو مقارن للأزلى الحقّ أزلاً، فيستحيل عليه أيضًا التقدّم الزمانى على العالم والتأخر كما استحال على الحقّ وزيادة؛ لأنه ليس بموجود فإن الحدوث والقدم أمر إضافى يوصل إلى العقل حقيقة مّا وذلك أنّه لو زال العالم لم نطلق على الواجب الوجود قديمًا، وإن كان الشرع لم يجئ بهذا الاسم أعنى القديم وإنّما جاء باسمه الأوّل والآخر فإذا زلتَ أنت لم يُقَل أولاً ولا آخراً؛ إذ الوسَط العاقد للأوليّة والآخرية ليس ثمّ فلا أوّل ولا آخرَ وهكذا الظاهر والباطن وأسماء الإضافات كلها فيكون موجوداً مطلقًا من غير تقييد بأوّلية أو آخريّة،

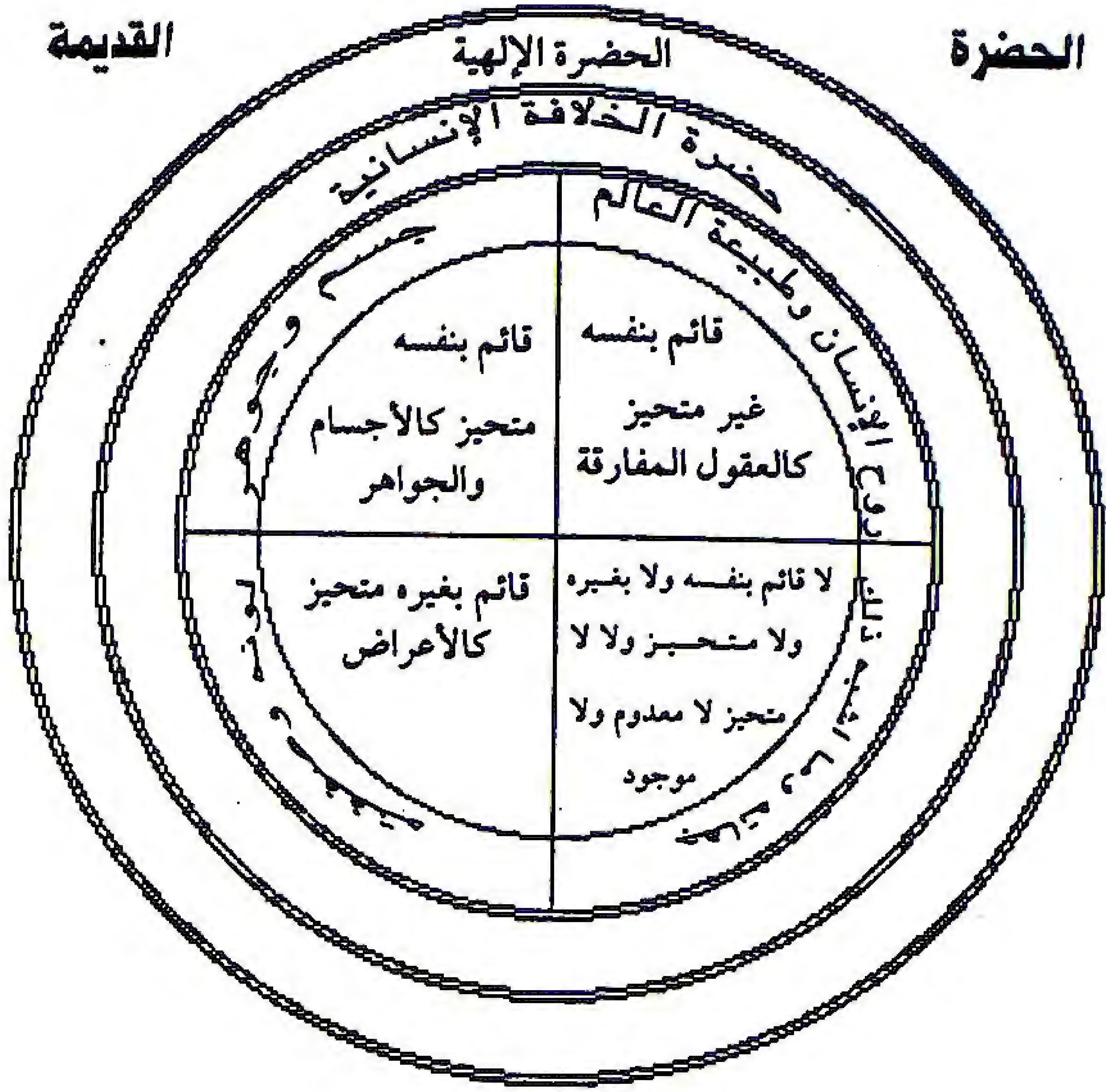
وهذا الشيء الثالث الّذى لا يتّصف بالوجود ولا بالعدم مِثْلهُ فى نفى الأوليّة والآخرية بانتفاء العالم، كما كان الواجب الوجود سبحانه وكذلك لا يتّصف بالكّل ولا بالبعض ولا يقبل الزيادة والنقص، وأمّا قولنا فيه كما استحال على الحق وزيادة، فتلك الزيادة كونه لا موجوداً ولا معدومًا فلا يقال فيه أوّل وآخر، وكذلك لتعلَمْ أيضًا أنّ هذا الشيء الثالِث ليس العَالم يتأخر عنه أو يحاذيه بالمكان؛ إذ المكان من العالم وهذا أصل العالم، وأصل الجوهر الفرد وفلك الحياة، وأُلْحِقَ المخلوق به وكلّ ما هو عالم من الموجود المطلق، وعن هذا الشيء الثالث ظهر العالم فهذا الشيء هو حقيقة حقائق العالم الكلّيّة المعقولة فى الذهن الذى يظهر فى القديم قديمًا وفى الحادث حادثًا، فإن قلتَ هذا الشيء هو العالم صدقتَ، وإن قلت إنّه الحقّ القديم سبحانه صدقت، وإن قلت إنّه ليس العالم ولا الحقّ تعالى وإنّه معنى زائد صدقت، كلٌّ هذا يصحّ عليه وهو الكلّىّ الأعم الجامع للحدوث والقدم، وهو يتعدد بتعدُّد الموجودات، ولا ينقسم بانقسام الموجودات، وينقسم بانقسام المعلومات، وهو لا موجود ولا معدوم ولا هو العالم وهو العالم وهو غير ولا هو غير؛ لأنّ المغايرة فى الوجودَيْن والنسبة انضمام شيء مًّا إلى شيء آخر، فيكون منه أمر آخرَ يسمى صورةً مًّا والانضمامُ نسبة فإذا أردنا أن نُحدث مثلّثًا ضممنا أجزاءً انضمامًا مخصوصًا، فحدثت ثلاثة أركان فقلنا هذا مثلّث وأنواع ذلك من التشكيل والتصوير والألوان والأكوان معلوم فى الكلّىّ الأعم، وهذا مَلَك وإنسان وعقل وغير ذلك، وهذا مقدار ومكان ووَضْع وانفعال مًّا ومنفعل مًّا، وبانضمام الجزئيات الّتى تحت الأجناس الكلّيّات بعضها إلى بعض يحدث عالم التفصيل، علواً وسفلا من غير افتراق، إلاّ ما حصل فى الوهم هذا وجه قولك إنّ هذا الشيء هو العالم وتصدق فى ذلك، وكذلك أيضًا إن قلت إنّه ليس العالم صدقت فإنّ العالم قد كان معدومَ العين وهذا على حالته لا يتّصف بوجود ولا عدم، لكنّ العالم القديم يتعلّق بما يتضمنه هذا الشيء الثالث المجمل من التفصيل كما قدّمناه قبلُ، كما يتعلق علمنا ببعض التفصيلات

ويتعلق بمجملاتها غير مفصّلة، لكن يفصلها متى شاء وهذا سرّ فإنّ علمنا به كذلك لصحة المضاهاة بيننا وبين الحقّ، ولهذا الإشارة من الإمام أبى حامد الغزالىّ وليس فى الإمكان أبْدَع من هذا العالم إذ لو كان وادّخره لكان عجزاً ينافى القدرة وبخلاً يناقض الجودّ، ولهذه العلّة قُطع الإمكان وهذا ليس هو عندى هلى وجه واحد، وأكمل الوجوه عندى فى هذا كونه وجد على الصورة فافهمْ، ولأنّه أيضًا دليلٌ مُوصل إلى معرفة الله فلا بدّ أن يكون مستوفى الأركان، فلو نقص ركن منه لما كان دليلاً ولم تصحّ معرفة، وقد صحت فقد ثبت دلالته، قال النبىّ ﷺ مَنْ عرف نفسه عرف ربّه، ثمّ نرجع فنقول هذا الشىء الثالث الّذى نحن بسبيله لا يقدر أحد أن يقف على حقيقة عبارته، لكن نومئ إليه بضرب من التشبيه والتمثيل، وبهذا ينفصل عن الحقّ الّذى لا يدخل تحت المثال إلاّ من جهة الفعل، لا أنّه يُنْبئ عن حقيقته فكنّا نحيط به علمًا وهذا لا سبيل إليه قطّ، وقد قال تعالى ﴿ولاَ يُحيطونَ به علْما﴾ فنقول نسبة هذا الشىء الّذى لا يُحَدُّ ولا يتّصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم إلى العالم، كنسبة الخشبة إلى الكرسىّ والتابوت والمنبَر والمَحمِل، أو الفضة إلى الأوانى والآلات التى تصاغ منها كالمكحلة والقُرط والخاتم فبهذا تُعرف تلك الحقيقة، فخُذ هذه النسبة ولا تتخيّل النقص فيه، كما تتخيّل النقص فى الخشبة بانفصال المحْبَرة عنها واعلم أنّ الخشبة أيضًا صورة مخصوصة فى العُودية، فلا ننظر أبداً إلاّ للحقيقة المعقولة الجامعة التى هى العودية، فتجدها لا تنقص ولا تتبعّض بَل هى فى كلّ كرسىّ ومحبرة على كمالها، من غير نقص ولا زيادة وإن كان فى صورة المحبرة حقائق كثيرة منها الحقيقة العوديّة والاستطالية التربيعيّة والكميّة وغير ذلك وكلها فيها بكمالها، وكذلك الكرسى والمنبر، وهذا الشىء الثالث هو هذه الحقائق كلها بكمالها فَسَمِّه إن شئت حقيقة الحقائق أو الهَيولى أو المادّة الأُولى أو جنس الأجناس، وسَمِّ الحقائق التى يتضمنها هذا الشىء الثالث الحقائق الأُوَل أو الأجناس العالية، فهذا الشىء الثالث أزلاً لا يفارق الواجب الوجود محاذيًا له من غير

وجود عينيّ، فانتـفت الجهات والتِلقاءات حتّى لو فرضناه مـوجوداً ولم نجعله متميزاً لانتفت عنه التلقاءات والإزاءات فتحقّقْ هذا الفصل واعلمه.

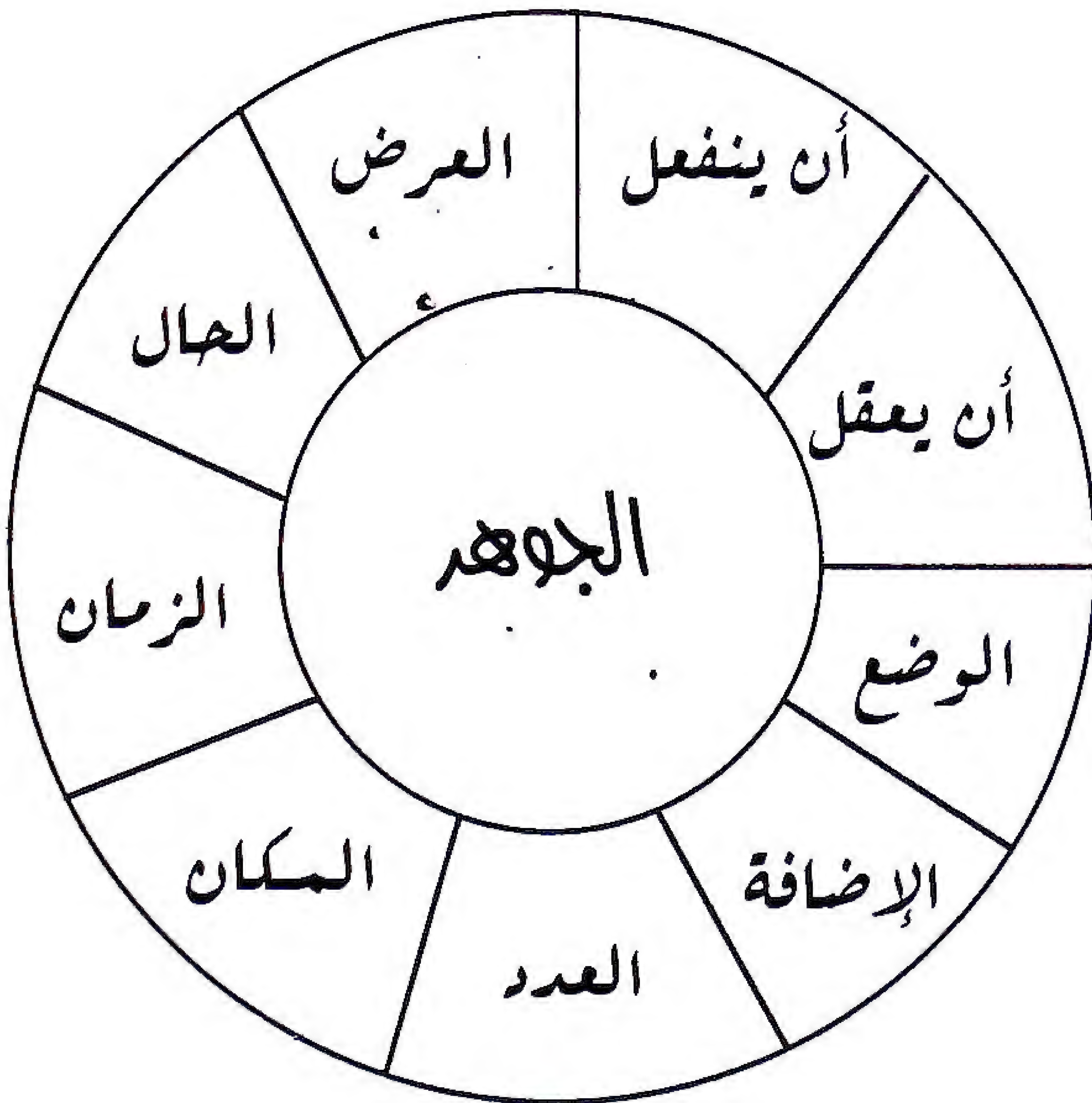
فصل: ولمّا تكلمنا على أقسام المعدومـات وتبينتْ مراتبها أردنا أن نتكلم على الموجـودات وأصنافهـا، وهى على أقسـام منها: وجود مطـلق ولا يُعقَل ماهيتـه ولا يجوز عليه الماهـيّة، كما لا يجوز عليـه الكيفية ولا يُعْلـم له صفة نفسيـة من باب الإثبات وهو الله تعالى وغـاية المعرفة به الحـاصلة بأيدينا اليومَ من صفات السلب مثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِه شيء﴾ و ﴿سُبحان رَبكَ رَبّ العزَّةِ عَمّا يَصفون﴾ فعلى ما قـدّمنا من أنّ العلم لا يتعلق إلا بموجود فـهنا متعلق العلم نفيُ مـا لا يجوز عليـه سبـحانه وتعـالى، ونفى مـا لا يجوز عليـه ثابت عندنا موجـود فينا منسـوب إلينا، هذا قسم ومنهـا: موجـود مجرّد عـن المادّة وهى العقول المـفارقة الروحانيـة القابلة للتشكيل والتصـوير ذوات الرقائق النوريّة، وهى المـعبَّر عـنها بالمـلائكة وهى لا تتخـير، ولا تخـتصّ بمكان دون مكان لذاتها، وليس لهـا شكل مختص به، ولا صورة وإن كانت الصـورة التّى تظهر فيها متـحيزة وهو سرٌّ شريف لطيف، وبهذه النسبـة هى القُوى الروحانية النارية المعبَّر عنها بالجنّ، غـيرَ أنّها تحت قهر الطبيعة فـإنّ الحرارة من صفات ذواتها والملائكة ليست كذلك، ومنها موجـود: يقبل التحيز والمكان، وهى الأجرام والأجسـام والجواهر، الأفراد عند الأشـعريّين ومنها: موجـود لا يقبل التحـيز بذاته ولكن يقبله بالتبـعيّة ولا يقوم بنفسه لكن يَحُلّ فـى غيره وهى الأعراض: كالسواد والبياض وأشبـاه ذلك ومنها موجودات النسب وهى ما يحدث بين هذه الذوات الّتى ذكرناها وبين الأعراض كالأيْن والكيف والزمـان والعدد والمقدار والإضـافة والوضع وأن يُفْـعَل وأن يُنْفَـعَل وكلّ واحـد من هذه الموجـودات ينقسم فى نفســه إلى أشياء كثيـرة لا يحتُاج هنا إلى ذكرها فـلأين كالمكان مثل الفوق والتحت وأشباه ذلك والكيف كالصحة والسقم وسائر الأحوال، والزمان كالأمس واليـوم والغد والنهار والليل والسـاعة، وما جاز أن يسـأل عنه بمتى، والكم كـالمقاديـر والأوزان وتذريع المسـاحات وأوزان الشـعر والكلام وغـير ذلك، مـمّـا يدخل تحت كـمْ والإضـافـة كـالأب والابن والمـالك، والوضع

كاللغات والأحكام، وأن يُفْعَل كـالذبح، وأن ينفعل كالموت عند الذبح، وهذا أَحْصَرُ المـوجودات فالموجودات كلهـا عشرة جواهر وأعراض، وهذه الثـمانية المذكـورة فى الإنسان وحده من بين سائـر ما ذكرناه من الموجـودات، تُجمَع هذه الموجدات كلها وهى فى العالم متفرّقة، فإذا نُفخ فى الإنسان روح القدس التحق بالموجود المـطلق التحاقًا معنويًا مقدَّسًا، وهو حظه من الألوهية فلهذا تقرر عندنا أنّ الإنسان نسـختان: نسخة ظاهرة ونسخة باطنة، فـالنسخة الظاهرة مضاهية للعالم بأسره فيما قدّرنا من الأقـسام، والنسخة الباطنة مضاهية للحضرة الإلهيـة، فالإنسان هو الكلّىّ عـلى الإطلاق والحقيـقة؛ إذ هو القابل لجـميع الموجودات قديمها وحديثهـا وما سواه من الموجودات لا تقبل ذلك، فإنّ كل جزء من العـالم لا يقبل الألوهية، والإله لا يقـبل العبودية بل العالم كلّه عـبد والحقّ سبحـانه وحده إله واحـد صَمـد لا يجوز عليـه الاتّصاف بمـا يناقص الأوصاف الإلهـية، كمـا لا يجوز على العـالم الاتصاف بمـا يناقص الأوصاف الحادثة العـبادية، والإنسان ذو نِسـبتَين كـاملتَين نسـبة يدخل بها إلى الحـضرة الإلهيّة، ونسـبة يدخل بها إلى الحضرةِ الكيانيـة، فيقال فيه عـبد من حيث إنّه مكلف ولم يكن ثمّ كـان كالعالم، ويـقال فيـه رب من حيث إنّه خليـفة ومن حيث الصورة ومن حيث أحســن تقويم، فكأنه برزخ بين العالم والحقّ وجامع لخلق وحقّ وهو الخطّ الفاصل بين الحضرة الإلهـيّة والكونية، كالخطّ الفاصل بين الظل والشمس وهذه حقـيقته، فله الكمال الـمطلق فى الحدوث والقِدَم، والحقّ له الكمـال المطلق فى القِدم وليسْ له فى الحـدوث مدْخَل يتـعالى عن ذلك، والعالم له الكمال المطلق فى الحدوث وليس لـه فى القدم مدخل يخسأ عن ذلك، فصار الإنســان جامعًا ولله الحمد على ذلك فـما أشرفها من حقـيقة وما أطهـره من موجود، وما أخـسها وما أدنسَـها فى الوجود؛ إذ قد كـان منها محـمّد، وأبو جـهل وموسى وفرعـون، فتـحقّق أحسن تقـويم واجعلَه مـركز الطائعين المقربـين، وتحقّق أسفل سافلين واجـعله مركز الكافرين الجـاحدين فسبحان مَنْ ﴿ليسَ كَمـثْله شَىْء وهو السَّميعُ البصـيرُ﴾ وهذه دوائر مـا قررناه على التنزيه والتشبيه.



الدائرة البيضاء الّتى بين الخطّين الأسودَيْن المحيطةُ هى مثال الحضرة الإلهيّة على التنزيه، ولمّا كانت محيطة بكلّ شىء قال الله تعالى : ﴿وَالله بكُلّ شىء مُحيط﴾ وقال الله تعالى ﴿وأنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بكُلّ شَىْء علمًا﴾ والدائرة البيضاء الّتى فى جوفها اللاصقة بها الّتى يشقها الخطّ المستدير الأصغر هى دائرة الإنسان، فمن الخط المستدير الأصغر إلى جهة الحضرة الإلهية هو مضاهاة الإنسان الحضرة الإلهيّة، ومن الخطّ الأصغر إلى الدائرة الصغرى مضاهاة الإنسان عالم الكون، والفصل الّذى وقع فيها على التربيع هو لتعداد العوالم على الجملة، والدائرة الصغرى المحيطة بالمركز هى دائرة العالم الذى الإنسان خليفة عليه وتحت تسخيره والخطوط الأربعة الخارجة من المركز إلى محيطها الفصول الّتى بين العوالم، فتحقق ذلك المقال تعثُرْ على السر الذى نصبناه والله المرشد لا رب سواه.

باب الجَدْوَل الهـيولانىّ وهى الدائرة المحيطة بالمـوجودات على الإطلاق من غـير تقـيـيـد، وهى الحـاويةُ على جمـيع الحـقائق المـعلومـة الموجـودة والمعدومة واللامعدومة وفيها الحياة والمعقولة التى هى فى القديم قديمة وفى المحـدث حادثة، وفيـها العلميـة والإراديّة، وهذا مثـال صورتها لو كـانت لها صورة، ولكن لمّـا كانت معقـولة معلومة عندنا قدرنا على إبرازها فـى المثال، ولكن مجملة فـتكون نقطة الجوهر عبارة عن كلّ ذات قـائمة بنفسهـا قديمة أو حادثة، ويكون العرض منها عبارة عن كل ذات لا تقوم بنفـسها، فيدخل تحتها أجناس الأعراض من كون ولون وغـير ذلك، والصفات كالعلوم والقُـدَر وغير ذلك، وكذلك الـزمان والمكان وسائر الـنسَب على حسب مـا تراه إن شاء الله تعالى فى هذه الدائرة وهى هذه الدائرة المذكورة.



اعلم أنّ هذا الجدول الهيولانىّ هو الحقيقة التى أوجد الحقّ من مادّتها الموجودات العُلويّات والسفليات فهى الأمّ الجامعة لجميع الموجودات، وهى معقولة فى الذهن غير موجودة فى العين، وهو أن تكون لها صورة ذاتية لها لكنّها فى الموجودات حقيقة من غير تبعيض ولا زيادة ولا نقص، فوجودها عن بروز أعيان الموجودات قديمها وحديثها، ولولا أعيان الموجودات ما عقلناها ولولاها ما عقلنا حقائق الموجودات، فوجودها موقوف على وجود الأشخاص والعلم بالأشخاص تفصيلا موقوف على العلم بها؛ إذ مَنْ لم يعرفها لم يفرق بين الموجودات وقال مَثلاً إنّ الجماد والملَك والقديم شىء واحد؛ إذ لا يعرف الحقائق ولا بماذا تتميّز الموجودات بعضها من بعض فهى متقدمة فى العلم ظاهرة فى الموجودات، فإن أطلق عليها تأخُّر فلتأخُّر الوجود الشخصى لا لعينها فهى بالنظر إلى ذاتها كلّيّة معقولة لا تتّصف بالوجود ولا بالعدم، وهى المادّة لجميع الموجودات فقد ظهرت بكمالها بظهور الموجودات، وما بقى شىء يوجد بعد ولهذا قال الإمام: وليس فى الإمكان أبدع من هذا العالم؛ إذ لو كان وادخره لكان بخلاً يناقض الجود وعجزاً ينافى القدرة، ووصف البارى بهذا مُحال فالّذى يفضى إليه محال، فلو وُجد إلى هذا العالم عوالم إلى أبدٍ لا يتناهى لكانت مُثلاً لهذا العالم وأمّا أن يزيد عليه بحقيقة ليست فى هذا العالم فلا سبيل إلى ذلك، وإذا لم تصح زيادة حقيقة فما فى الإمكان أبدع منه، وقد تقرّر هذا فى أوّل الكتاب.

باب جَدول الحضرة الإلهية من جهة الأسماء الحسنى، على ما ورد فى الشرع المطهرً لا على ما يقتضيه الاستقصاء والحصر وهذه صورته:

جدول اسماء الذات		جدول اسماء الصفات	جدول اسماء الأفعال
الله الربّ الملك	الحياة	الحى	المبدئ الوكيل
القدوس السلام	الكلام	الشكور	الباعث المجيب
المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر العلى العظيم الظاهر	القدرة	القهار القاهر المـقتدر الـقوى القادر	الواسع الحسيب المقيت الحافظ
الباطن الكبير الجليل المجيد الحق المتين الواحد الماجد الصمد	الإرادة	الرحـمن الرحـيم الكريم الغفار الغفور الودود الرؤف الحليم البرّ الصبور	الخالق البارى المصور الرزاق الوهاب الفتاح القابض الباسط
الأول الآخر المتعالى الغنى النور الوارث	العلم	العليم الخبير المحصى الحكيم الشهيد	الخافض الرافع المعز المذل
ذو الجلال الرقيب	السمع	السميع	الحكم العدل اللطيف
	البصر	البصير	المعيد المحيى المميت الولى التواب المنتقم المقسط الجامع المغنى المانع الضار النافع الهاذى البديع الرشيد

اعلم وفقك الله أنّ العالمين بالله تعالى ما علموا منه إلاّ وجوده وكونه قادراً عالمًا متكلمًا مريداً حيًا قيومًا سميعًا بصيراً، وما عرفوا سوى نفس الوجود وأنّه سبحانه لا يجوز عليه على المحدثات لصفة هو فى نفسه عليها يُعقَل وجودها ولا تُعرف العبارة عنها، ولهذا لا يجوز أن يقال فيه سبحانه ما هو؛ إذ لا ماهية له ولا كيف هو إذ لا كيفية له وعلى التحقيق ما تعلق علم العالمين به سبحانه إلاّ تلويحًا من حيث الوجود، إن حققت النظر حتى تقع الرؤية إن شاء الله تعالى حيث قدّرها تعالى بمزيد الكشف والوضوح فمن جهة أنّه لا إله إلا الله قلنا: عرفنا الله، ومن جهة الحقيقة كعلمنا بأن الجوهر هو الّذى لا ينقسم المتحيز القابل للأعراض قلنا: لم نعرف.

ولهذا لا يجوز الفكرة فى الله تعالى؛ إذ لا يُعقل له حقيقة فنخاف على المفكّر فى ذاته من التمثيل والتشبيه، فإنه لا ينضبط ولا ينحصر ولا يدخل تحت الحدّ والوصف، وإنّما الفكرة فى أفعاله ومخلوقاته وهذه الأسماء الحسنى الّتى سمّى بها نفسه توصيلاً إليها فى كتابه العزيز على لسان نبيّه الصادق، فمنها ما يدلّ على ذاته تعالى وقد يدلّ مع ذلك على صفاته أو أفعاله أو عليهما معًا، ولكنّ دلالتها على الذات أظهر فما كان من الأسماء على هذا النحو جعلناه من أسماء الذات، وإن كان كما ذكرناه يدلّ على بعض الصفات أو الأفعال أو عليهما معًا، وهكذا فعلنا فى أسماء الصفات وفى أسماء الأفعال من جهة الأظهر، لا أنّه ليس لها مدخل فى غير جَدْولها الّذى جعلناه لها كالرب مثلاً، فإنّ معناه الثابت فهو للذات ومعناه المُصلح فهو من أسماء الأفعال، وهو بمعنى المالك فهو من أسماء الصفات.

واعلم أن هذه الأسماء الّتى جعلناها فى هذا الجدول ما قصدنا بها حصْر الأسماء ولا أنّه ليس ثمّ غيرها وإنّما سُقناها بهذا الترتيب تنبيهًا على ما سنذكره إن شاء الله تعالى، فمتى رأيتَ اسمًا من أسمائه الحسنى فألحقه بالأظهر فيه واكتبه فى جدوله، إذ الأسماء كثيرة جداّ من طريق الاختلاف الّذى حصل

فيها، وإنّما جعلنا هذا فتح باب لك إلى ما يصحّ عندك من الأسماء وفائدة هذا الجدول الّذى وضعناه لها أن يتخلّق العبد بهذه الأسماء حتّى يرجع منها حقائق يدّعى بها ويُنسب إليها من أولها إلى آخرها قال الله تعالى ﴿وإنَّك لعلَى خلق عظيم﴾ ثمّ وصف لنا من خَلْقه ﷺ فقال الله تعالى ﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ فإذا عرفت ما أردناه بهذا الجدول ورتبناه علمت المتخلق به إذا رأيت عليه فى وقت مَّا اسمًا من الأسماء نسبته إلى ذلك الاسم وإلى تلك الحضرة فى ذلك الوقت فتقول فلان الآن فى حضرة الأفعال، إن كان من أسماء الأفعال أو فى حضرة الصفة الفلانية أو فى حضرة الذات كيف شئت على حسب حضرة ذلك الاسم فإن كان الاسم فيه معانى الحضرات الثلاث فتنظر إلى ما غلب عليه من تلك المعانى، فتنسبه إليه وتلحقه بتلك الحضرة فى الحال، وإن كان من جهة المقام فوقها ولكن تحكم عليه بما هو فى الحال غيرَ أنّ المكمَّل منّا لا يحجبه ذلك فى حقّ هذا الشخص إذا كان أعلى من حاله، فإنه لا يخفى علينا مَنْ يَنزل ذلك الاسمَ على ما يعطيه الوقت ممَّن سلطانه ذلك الاسم وحاكم عليه، وبهذا يفرقَ بينهما الكامل منّا ومَنْ دون هذا إنّما يحكم عليه فى الحال بذلك الاسم لا يعرف غير ذلك فهذا فائدة هذا الجدول.

وبدأنا به فى الموجودات، إذ هو الأول الذى لا أوّلية له والأشياء كلها معدومة ولهذا جعلناه على أثر الشكل الهيولانىّ، ومعه لما كان مقارنًا لها فى الأزل من غير أن يكون لها وجود فى عينها، لكنها معلومة له سبحانه يعلمها بحقيقة من حقائقها فهو يعلمها بها ولا بغيرها، إذ هى الشاملة للكلّ وكان الحقّ أزلاً لها ظاهراً وهى له باطن إذ هى صفة العلم وليس العلم بشىء غيرها ولا هى العالم فإن العالم منها من باب العالميّة، وليست منه لكنّها ظهرت فيه من باب الحقيقة، ولهذا جعلنا وجود الحقّ يقابل ما يأتى بعد هذا من أكثر عوالم وجداولها، وسقناه بالأسماء لأنّ مستند الأفعال إليها ولأنّ الذات لا سبيل إلى تصويرها فى الذهن، ولا بدّ أن يحصل فى النفس أمر يُستند إليه

فليكن الأسماء فلم يكن بدٌّ من ذكرها، فهذا الجدول من باب الجوهر المذكور فى الهيولى لا من غيره إذ الجوهر عبارة عن الأصل وأصل الأشياء كلّها وجود الحق تعالى؛ إذ لو لم يكن هذا الأصل الإلهى موجوداً وهذه المادة الهيولانيّة معقولة لما صح هذا الفرع المحدث الكائن بعد أن لم يكن ولما تُصورّ، فتحقَّق ترشُدْ إن شاء الله تعالى وهو المستعان

باب سبب بدء العالم ونشئه:

اعلم وفّقك الله وسدّدك أنّه لمّا نظرنا العالم على ما هو عليه وعرفنا حقيقته ومورده ومصدره ونظرنا ما ظهر فيه من الحضرة الإلهية بعدما فصلناه تفصيلاً، فوجدنا الذات الإلهيه منزَّهة عن أن يكون لها بعالم الكون والخلق والأمر مناسبة أو تعلق بنوع مَّا من الأنواع؛ لأنّ الحقيقة تأبى ذلك فنظرنا ما الحاكم المؤثّر فى هذا العالم فوجدنا الأسماء الحسنى ظهرت فى العالم كله ظهوراً لا خفاء به كلّيًا وحصلت فيه بآثارها وأحكامها لا بذواتها، لكن بأمثالها لا بحقائقها لكن برقائقها فأبقينا الذات المقدَّسة على تقديسها وتنزيهها، ونظرنا إلى الأسماء فوجدناها كثيرة فقلنا: الكثرة جَمْعٌ ولا بدّ من أئمة متقدمة فى هذه الكثرة فلتكن الأئمة هى المسلَّطة على العالَمين، وما بقى من عدد الأسماء إذ الأئمة الجامعون لحقائقها فالإمام المقدَّم الجامع اسمه الله فهو الجامع لمعانى الأسماء كلها، وهو دليل الذات فنزهناه كما نزهنا الذات، وأيضًا فإنه من حيث ما وضع جامعُ الأسماء، فإن أخذناه لكون ما من الأكوان ما نأخذه من حيث ما وضع وإنّما نأخذه من جهة حقيقة ما من حقائقه التى هو مهَيمن عليها، ولتلك الحقيقة اسمٌ يدل عليها من غير اسم الله فلنأخذها من جهة ذلك الاسم الّذى لا يحتمل غيرها ونُبرز الكون منها ونترك اسمه الله على منزلته من التقديس، فإذا تقرر هذا وخرج الاسم الجامع عن التعلق بالكون وبقى على مرتبته حتى لا تبقى حقيقة إلا برزت فحينئذ يظهر سلطان ذاته كلّيًا.

فلنرجع إلى الأئمة الذين هم من جملة حقائقه ونقول: إن أئمة الأسماء

كلها عـقلاً وشرعًا سبـعة، ليس غيرها ومـا بقى من الأسماء فتَـبَعٌ لهؤلاء وهى الحى العليـم المريـد القائـل القادر الـجواد المـقـسط، فـالحى إمـام الأئمـة ومقدَّمهم، والمقسط آخر الأئمة والقائل أدخله الشرع فى الأئمة خاصة، وقبِلَه المقام وسُـرّ به، وما بقى فالروح العقلىّ اقـتضاه إمامًا وانـفرد الروح القدسى بالقائل خاصة، وله مـدخل فى المقسط من جهة مَّا وفى اسمـه الجواد لا غير فاسمه الجواد يعمّ كلّ اسم، رحمانىّ يُعطى سـراً ونعمةً فهو المهيمن على هذا القبـيل من الأسمـاء والمقسط يعمّ كـالاسم غَضَـبىّ يعطى ضراً ونِقـمةً، وهو المهيمن على هذا القبـيل من الأسماء وليس فى العالم إلاّ هؤلاء الأئمة وهذان القبـيلان من الأسمـاء لا غير، ولولا ظهـور الأحكام الشرعـية ما احـتجنا إلى الاسم المقسط، احـتياجًا ضروريًا فـالعقاب والوعيـد اضطرنا إلى إمامة الاسم المقـسط وليس إيلام البـهائم وما فـى ضمن ذلك من حكم اسـمه المـقسط، ولكن من حكم اسمـه المريد وهو من الأئمة المـقدَّمين، فتـحقَّق الشكل إذا رسمناه لك ليثبت فى خيالك، فـإنى سأقيم لك دائرة العالم من غـير نظر إلى شريعة وما يـحكم فيه من هؤلاء الأئمة، وسأقيم لك دائرة السـعادة من العالم ودائرة الشـقاوة، وما يحـكم فيه من هـؤلاء الأئمة فانظـر امتداد الرقـائق من حضـرات الأئمة إلى العالم ومـراتب الأئمة الأوّل فـالأول، الأعلى فالأعلى، وسأقيم لك القـبيلين من الأسماء بين دوائر العالم وحضـرات الأئمة، وأجعل لهم ثلاث دوائر دائرة تضم القـبيلين فى مـقابلة دائرة العـالم الكبرى المطـلقة ودائرتان فى مـقابلة عـالم السعـادة وعالم الشـقاوة وبتمـيُّز القـبيلَين فـانظرها وتحققها حتّى تحصّلها فى خيالك، وسأجعل الرقائق من الأئمة تمتدّ إلى سَدَنَة من الأسماء ومن السـدنة إلى العوالم، وقد تمتدّ الرقيـقة من بعض الأئمة إلى بعض وحينئذ، وتنزل وتتّصل بالعـالم لوقوف بعض الأئمة على بعض، وأكتب على الرقـائق إثرها حتى تعـقل، فألق بالك واشـحُذ فـؤادك واشكر الله الذى سخرنـى لك حتّى علمت من الوجود ما غـاب عنه أكثر الخلق بأقرب مـحاولة

وأصح مثال، وذلك بفضل الله وحَوله وقوّته ومنّه، هذه صورة الدائرة المتقدمة الذكر.

اعلم أنّ من الكشف ما هو عقلى وهو ما يدركه العقل بجوهره المطلق عن قيود الفكر والمزاج، ومنه ما هو نفسانىّ وهو ما يرتسم فى النفوس الخيالية المطلقة عن قيوده المزاجيّة بأزمان الرياضات والمجاهدات بعد كشف حُجب المباينات والممايزات، ومنه ما هو روحانى وذلك بعد كشف الحجب العقلية والنفسانية ومطالعة مَطالع الأنفاس الرحمانية، ومنه ما هو ربّانى وذلك بطريق التجلى إمّا بالتنزُّل أو بالعروج أو بمنازلات أسرارٍ، وهذا النوع يتعدّد بتعدُّد الحضرات الأسمائيّة، فإنّ للمحقّ تجليات من كلّ حضرة من الحضرات الأسمائية وأعلاها هو التجلى الإلهى الجمعى الأحَدى يُعطى المكاشفات الكلّيّة وفوقها التجلّى الذاتىّ الّذى يعطى الكشف بحقيقة الحقائق وبمراتبها وبحقيقة النفس والعماء، وبالحقيقة الإلهيّة وبحقيقة الطبيعة الكلّيّة، وقوله: وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة أى: الملائكة هى أرواح القوى القائمة بالصورة الحسّيّة والقوى النفسانيّة والعقليّة، وإنّما سُميت ملائكة لكونها روابط موصلات تربط الأحكام الربّانية والآثار الإلهية بالعوالم الجسمانيّات، فإنّ الملك باللغة هو القوة والشدّة، فلمّا قويتْ هذه الأرواح بالأنوار الربانيّة وقويت الآثار الإلهيّة بها على إيقاع أحكامها وإيصال أنوارها سُميت ملائكة، وهم ينقسمون إلى عُلوى روحى، وسفلى طبيعى عنصرى، ومثالىّ نورانىّ، فمنهم المهيَّمون، ومنهم المسخرون ومنهم المولدة من الأعمال والأقوال والأنفاس، ظهور الحق فى العالم الروحانى ليس كظهوره فى العالم الطبيعى فإنه فى الأوّل بسيط نورانىّ نزيه فِعلى وحدانى وفى الثانى: مركب ظلمانى انفعالىّ.

قيل: التقى آدم إبليسَ بعد الخطيئة فقال: يا شقىّ وَسْوَسْتَ إلىّ وفعلت،

فقال: يا آدم هَبْ أنيّ كنتُ إبليسك فَمنْ كان إبليسى الشكل مقيَّد بشكله، والفرع منتشر عن أصله.

اعلم أنّ سبب نشء العالم على ما اقتضاه الكشف المثاليّ والحكم الإلهى ما ذكرناه فى كتاب عَنْقاء مُغرِب فى باب محاضرة أزليّة على نشأة أبديّة، وسأذكر منه فى هذا الكتاب ما يُحتاج إليه فى هذا الموضع وذلك أن السدنة من هذه الأسماء لمّا كانت بأيديهم مقاليد السموات والأرض، ولا سموات ولا أرض بقى كلّ سادن بمقْلاده لا يجد ما يفتح فقالوا: يا لَلْعَجَب خزّان بمفاتيح مَخازن لا تعرف مخزنا موجوداً فما نصنع بهذه المقاليد، فأجمعوا أمرهم وقالوا: لا بدّ لنا من أئمتنا السبعة الّذين أعطونا هذه المقاليد، ولم يُعَرِّفونا المخازن التّى نكون عليها فقاموا على أبواب الأئمة على باب الإمام المخصص والإمام المُنعم والإمام المقسط فأخبروهم الأمر فقالوا: صدقتم الخبر عندنا وسنعيّنها لكم إن شاء الله تعالى، ولكن تعالَوا نَصل إلى مَنْ بقى من الأئمة ونجتمع على باب حضرة الإمام الإلهى إمام الأئمة، فاجتمع الكل وهم بالإضافة إلى الإمام المعروف بالله بسَدَنة، فوقف الجميع ببابه فبرز لهم وقال: ما الذى جاء بكم فذكروا له الأمر وأنهم طالبون وجود السموات والأرض؛ حتى يضعوا كلَّ مقلاد على بابه فقال: أين الإمام المخصّص فبادر إليه المريد فقال له: أليس الخبر عندك وعند العليم فقال له نَعمْ قال: فإن كان فأرحْ هؤلاء ممّا هم فيه من تعلُّق الخاطر وشُغْل البال، فقال العليم والمريد: أيُّها الإمام الأكمل قل للإمام القادر يساعدنا والقائم فإنّه لا نقوم به بأنفسنا إلاّ أربعتنا، فنادى الله تعالى القادر والقائل وقال لهما أعينا أخَويكما فيما هما بسبيله، فقالا: نعم فدخلا حضرة الجواد، فقالا للجواد: عزمنا على إيجاد الأكوان وعالم الحدثان، وإخراجهم من العدم إلى الوجود وهذا من حضرتك حضرة الجود، فادفع لنا من الجود ما نُبرزهم به فدفع لهم الجودَ المطلق فخرجوا به من عنده وتعلّقوا بالعالم فأبرزوه على غاية الإحكام والإتقان، فلم يبق فى

الإمكان أبدع منه فإنّه صدر عن الجـود المطلق ولو بقى أبدع منه لكان الجواد قد بخل بما لم يُعْط وأبقاه عنده من الكمال ولم يصحّ عليه إطلاقُ اسم الجواد وفيه شىء من البخل فليس اسم الجواد عليه فيما أعطى بأولى من اسم البخيل عليه فـيما أمـسك، وبطلت الحقـائق وقد ثبت أنّ اسم البـخيل عليه مُـحال، فكونه إن أبقى عنده ما هو أكمل مُحال وهذا أصل نشء العـالم وسببه وما ظهر الامـام المقـسط إلاّ بعد نزول الشـرائع فتـأهبت الأسـماء بمـقاليـدها وعلمت حقـيقـةَ، ما كان عندنـا وما هى عليه بوجـود الأكوان، فـتحقق هـذا الفصل المختصر العجيب

فإنّه نافع فى هذا الباب الله

المرشد للصواب

تمّ الكتاب

كتاب

عقلة المستوفز

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه التوفيق

الحمد لله الواجبِ الّذى افتتح وجودَ السـوَى بالأرواح المهيَّمة، المخلوقة بل المُبـدَعة من فيض السُّبحات وعـيّن منهم العنصرُ الأعظم بالمـقام الّذى لا يقبل الحـركات الحكيمِ الّذى فـتح وجود عالـم التكوين والتدبير بإيـجاد القَلم الأعْلى واللوح المحـفوظ مَظْهرَىْ عالم التـدوين والتسطير مُوجـد مَحلّ الظلّ والمـقدار والغـشَيـان والإيلاج والتكوين، مُظهـر أعيـان الأشـخاص الفلكيّـة والأملاك ومُعيّنِ مقاماتهم فى الأركـان والأفلاك مُسَخِّر الأنوار ومُحَرِّك الأكوار بضروب الأدوار واخـتلاف الأحوال والأطوار، يكوِّرُ النَّهـارَ عَلى اللَّيْلِ ويكور الليل عَلى النَّهَـار على عالم الانشقـاق والانفطار؛ لإيجاد الإنسـان الذى خلقه الله فى أحْسن تقويم وأبرزه نُسخة كاملة، جامعة لصور حقائق المحدث وأسماء القديم أقـامه سبحـانه مَعْنى رابطًا للحقـيقتين، وأنشـأه بَرْزخًا جامعًـا للطرفين والرقيقتين أحْكم بيديه صَنْعته وحسن بعنايتـه صبغَته، فكانت مضاهاته للأسماء الإلهية بـخلْقه ومضاهاته للأكـوان العلويّة والسُّفليّة بخلقـه، فتميَّز عـن جميع الخلائق بالخِلقة المستقيمة والخلائق عيّن سبحانه سرّه مثلاً فى حضرة الأسرار وميّز نورهَ من بين سائر الأنوار، ونصب له كـرسيَّ العناية بين حضرتَيْه وصرّف نَظَر الولاية والنيابة فيه وإليه، فلمّا أقـامه تعالى بهذا المقام الأكمل وردّاه برداء المعلِّم الأجْمَل فنظرتْ إليه الروحانيّات العُلى بعين التعظيم، وذلك قَبلَ وجود مركَّبه البَهيم، فلم يَزَلْ عالِى الكلمة بعلم الأسمـاء، مميزًا لتفاصيل الأشياء إلى أن أخذت مقاماتها الأملاك ودارت بأشـواقها الأفلاكُ، وانفعلت الأكوانُ لذلك الدَّور وانعطاف المكور علـيهـا بعد الكَور، وظهـرت المـولّدات الجسْـمانيـات والجسْميّات ذوات الكَمّيات والكيفـيّات، كالمـعْدن والنبات والحـيوان وليس للإنسـان وجود فى الأعيـان حتّى إذا بلـغت الدورةُ المخـصوصة، وتـوجهت الكلمـة المنصوصـة من الحضـرة العلية المـأنوسة بإيجـاد هذه الكلمة الهـويّة المحروسة قبض الحقّ سبحانه كما روى من الأرض قَبْضَةً من حيث لا يَعْلمون،

وخمر طينته بيدَيْه من غير تشبيه، ولا تكييف، وهم لا يشعرون وسواه متجاوَر الأضداد، وميّزه بالحركة المستقيمة من بين سائر الأولاد، وأعطَتْه قُوَى هذه البنية التصرُّفَ بالحركة المنكوسة الأفقية ثم أنطق الفهوانية فى الروحانيّات بخلافته فطعنت من فورها فى نيابته ولو عاينوا تشريفَ اليدين ما حجبتْهم مجاورةُ الضدّيْن، فلمّا نفخ فيه الرُّوحَ الأنْزَهَ والسرَّ الحاكمَ المتأله عرفت الملائكة حينئذ قدْر هذا البيت الأعلى والمحلّ الأشرف الأسنى، فأوقفهم الحقّ بين يديْه طالبين وأمرهم فوقعوا له ساجدين، والصلاة على المخصوص بهذه المكانة الشريفة والمرتبة المقدَّسة المُنيفة الظاهر بها من غير طعْن ولا إنكار محمّد ﷺ ما اندرجَت الأنوار فى الأنوار واتّحدت الأسرار بالأسرار وسلّم تسليمًا كثيراً.

باب فى نَظْمِ ما يحتوى عليه هذا الكتاب من ذكر العالم العُلوىّ والسُّفلىّ وترتيبه ونَضْده وهو هذا.

الحَمْدُ لله الَّذى بوجوده
ظَهَرَ الوجود وعالم الهَيَمانِ
والعنصر الأعلى الّذى بوجوده
ظَهَرَتْ ذواتُ عوالم الإمكانِ
من غير ترتيب فلا متقدّم
فيه ولا متأخّر بالآن
حتّى إذا شاء المُهيمنُ أن يَرَى
ما كان معلومًا من الأكوانِ
فتح القدير عوالمَ الديوان
بوجود روحٍ ثمّ روح ثانِ
ثمّ الهَباءِ وثمّ جسْمٍ قابلٍ
لعوالم الأفلاك والأركانِ
فأداره فلكًا عظيمًا واسمُهُ العـ
ـرشُ الكريم ومُستوى الرحمنِ

يتلوهُ كرسيٌّ انقسام كلامه
فيلوح من تقسيمه القدمانِ
من بعدهِ فلكُ البروج وبَعْدَهُ
فلكُ الكواكب مَصْدَر الأزمانِ
ثمّ النزولُ مع الخلاء لمَرْكَزِ
ليُقيم فيه قواعد البنيانِ
فأدار أرضًا ثمّ ماءً فَوْقَهُ
كُرَةُ الهَواء وعُنْصُرُ النيرانِ
من فوقه فَلَكُ الهلاك وفوقه
فلكٌ يُضاف لكاتب الديوان
من فوقه فلكٌ لزُهْرةَ فوقَهُ
فلكُ الغزالة مَصْدَرُ المَلَوانِ
من فوقهِ المرّيخُ ثم المُشْترَى
ثمّ الّذى يُعْزَى إلى كَيْوانِ
ولكلّ جسمٍ ما يشاكِلُ طبْعَهُ
خَلْقٌ يسمّى العالم النورانى
فهمُ الملائكةُ الكرام شِعارُهم
حِفْظُ الوجود من اسمه المحْسانِ
فتحركت نحو الكمال فولّدَتْ
عند التحرُّك عالم الشيطانِ
ثمّ المَعادنُ والنبات وبعده
جاءتْ لنا بعوالم الحيوانِ
والغاية القُصْوى ظهورُ جسومنا
فى عالَم التركيب والأبْدانِ
لمّا استَوتْ وتعدَّلتْ أركانُه
نفخ الإلهُ لطيفة الإنسانِ

وكَـــسَـــاه خلعـــتـــه فكان خليـــفـــةً

تَعْـنو له الأفـــلاكُ والـثَّـــقَـــلانِ

وبدَوْرة الفـلك المـــحـــيط وحُكْمــه

أبْدى لـنا فـى عـــالم الـحـــدْثان

فى جَــوف هذه الأرض مــاءً أسْـــوداً

نَتْـنًا لأهل الـشـــرك والطُّـغْـــيـــانِ

يجـــرى علـى مَـــتْـن الرياح وعنـدها

ظُـلـمـــاتُ سُـــخْط القـــاهر الـديَّانِ

دارَتْ بصَـــخْـــرة مَـرْكَـــزٍ سلطـانُه الرُّ

ـــوح الإلهـى العـظـيم الـشــــــانِ

باب الكمـال الإنسانى، أمّـا بعدُ فـإنّ الله تعالـى عَلِمَ نفسَـه فعلم العـالم فلذلك خَرَجَ على الصورة وخلق الله الإنسان، مختصـراً شريفًا جمع فيه مَعانى العالم الكبـير وجعله نُسخة جامعـة لما فى العالم الكبـير، ولما فى الحـضرة الإلهيّة من الأسماء وقال فيه رسولُ الله ﷺ: إنّ الله خلق آدمَ على صورته، فلذلك قلنا خـرج العـالم على الصورة، وفى هذا الـضمير الّذى فى صـورته خِلافٌ لمنْ يعود لأرباب العـقول، وفى قولنا علم نفسه فـعلم العالم غُنيةٌ لِمَنْ تفطن وكان حديد القلب بصيـراً، ولكون الإنسان الكامل على الصورة الكاملة صحّتْ له الخلافة والنيابة عن الله تعالى فى العالم، فلنبيّن فى هذا المنْزل نشأة هذا الخليـفة ومنزلته وصـورته على ما هى عليـه، ولسنا نريد الإنسـان بما هو إنسان حـيوان فقطّ بل بما هـو إنسان وخليفة وبالإنسـانيّة والخلافـة صحّتْ له الصورة على الكمال، ومـا كلُّ إنسان خليفةٌ فإنّ الإنسان الحيـوان ليس بخليفة عندنا، وليس المـخصـوص بها أيضًـا الذكـوريّة فقط، فكلامنا إذًا فى صـورة الكامل من الرجـال والنسـاء فـإنّ الإنسانـية تجـمع الذَّكَـر والأنثى والذكـوريّة والأنوثيّة إنّما هما عَرضان ليستا من حقـائق الإنسانية لمشاركة الحيوان كلها فى ذلك، وإن كان يستـدعيهما حقـائق أُخرُ ثَمَّ من حيث النتاجُ فذلك أمـر آخر قد

ذكرناه فى كتاب النكاح وقد شهد رسول الله ﷺ بالكمال للنساء كما شهد به للرجال، فقال فى الصحيح: كَملَ من الرجال كثيرون وكملتْ من النساء مَرْيَم بنت عمْران وآسيةُ امرأة فِرعَوْن، وسئل بعضُ الأولياء عن الأبدال كم يكونون فقال ﷺ أربعون نفسًا فقال له السائل: لم لا تقول أربعون رجلا فقال: قد يكون فيهم النساء وغرضنا إنّما هو الكمال ظهر فيمنْ ظهر وللرّجالِ عليهنّ درجة وتلك الدرجة الأصليّة فإن حواء وُجِدتْ من آدم فله عليها درجة فى الإيجاد، وكذلك العقل مع النفس والقلم مع اللوح فلما كانت المرأة منفعلة عن الرجل بالأصالة لذلك كانت الدرجة.

باب فى خلق الأرواح المهيّمة والعنصر الأعظم، اعلمْ أنّ لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحْرقَتْ سُبُحاتُ وجهِه ما أدركه بصرُ مَنْ خَلقه، فلذلك نرى الحقّ من غير الوجه الّذى يرانا وإنما يقع الاحتراق والأثر إذا وقعت الرؤية من وجه واحد، وهو وقوع البصر منك على البصر منه، وقد أوجد الله تعالى فى هذه الدار مثالاً لهذا المقام على عزّته وعلوه، فخلق دابةً تسمّى الصلّ إذا وقع بصر الإنسان عليها ووقع بصرها عليه على خطّ واحد فاجتمعت النظرتان مات الإنسان من ساعته بالخاصّية، واعلمْ أنّ الله كان ولا شىء معه، هذا نصّ الخبر النبوىّ وزادَ علماء الشريعة فيه وهو الآنَ على ما عليه كان، فهذه الزيادة مدْرَجة فى كلام رسول الله ﷺ ولا يعرفها كل واحد، وقد سبق فى علمه أن يكمُل الوجود العرفانى بظهور آثار الأسماء الإلهية والنسَب والإضافات، لا أن يكمل هو بذلك تعالى الله علوّاً كبيراً فهو الكامل على الإطلاق ومعنى قولى: ليكمل الوجود فَنعْطيك لذلك مثالاً واحداً وبه تستدلّ على ما بقى، وذلك أنّ العقل والحقيقة تُقسم الوجود إلى ما له أوّل وإلى ما لا أوّل له، وهو كمال الوجود فإذا كان ما لا أوّل له موجوداً وهو الله تعالى والّذى لم يكن ثم كان ويقبل الأولـيّة الحادثة، ليس بموجود فما كمل الوجود ما لم يكن هذا موجوداً ولذلك قوله تعالى لبعض أنبيائه وقد سأله

لِمَ خَلقتَ الخلق فقال: كنتُ كنزًا مخفيًا لم أُعرَفْ فأحبَبْتُ أن أُعرفَ فخلقت الخلق وتعرفتُ إليهم فعرفونى، وذلك أنّ العلم بالله ينقسم إلى قديم وإلى مُحدَث فعلم الله نفسه وألُوهيته بالعلم القديم ونقص من مراتب الوجود العلميّ العلم المحدث فخلق الخلق فتعرف إليهم فعرفوه بقدر ما يعطيه استعدادهم فَوُجِدَ العلم المحدث فكملت مراتب العلم بالله فى الوجود لا أن الله تعالى يكمل بعلم العباد، وبعد أن تقرر هذا وثبت فلنقل إنّ الله كان ولا شيء معه وهو يعلم ويريد بقاء المعدوم في العدم، أى: موصوفًا بالعدم ويكلم نفسه بنفسه ويسمع كلامه ويرى ذاته، وهو الحى بذاته سبحانه فهذه الأسماء والنسب وهو الحى العالم السميع البصير المتكلم المريد، هى التى لم يَزَلْ حكمها أزلا وأما كونه قادراً ورازقًا وخالقًا ومُبدعًا فبالصلاحية والقوة، وما بين الوجودين من امتداد زمانى، ولكن الارتباط بين الوجودين ارتباط المحدث بالقديم على الوجه الّذى يليق بالجلال، فتجلى الحقّ سبحانه بنفسه لنفسه بأنوار السبحات الوجهيّة من كونه عالمًا ومريداً، فظهرت الأرواح المهيَّمة بين الجلال والجمال، وخلق فى الغيب المستور الّذى لا يمكن كشْفه لمخلوق العنصر الأعظم، وكان هذا الخلق دفعة واحدةً من غير ترتيب سَببىّ ولا عِلّىّ، لا سبيل إلى ذلك وما منهم روح يَعرف أنْ ثمّ سواه لفنائه فى الحق بالحقّ واستيلاء سلطان الجلال عليه، ثم إنّه سبحانه وتعالى أوجد دون هؤلاء الأرواح بتجل آخر من غير تلك المرتبة، فخلق أروحًا متحيزةً فى أرضٍ بيضاء، خلقهم عليها وهيَّمهم فيها بالتسبيح والتقديس، لا يعرفون أنّ الله خلق سواهم ولاشتراكهم مع الأول فى نعت الهَيمان، لذلك لم نفصّل بل قلنا الأرواح المهيَّمة على الإطلاق، وكلّ منهم على مقام من العلم بالله والحال وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة، وسُميت أرضًا لنسبة مكانيةٍ لهذه الأرواح المتحيزة، لا يجوز عليها الانحلال، ولا التبدُّل فلا تزال كذلك أبد الآباد، كما سبق فى العلم وللإنسان فى هذه الأرض مثال وله حظ فيهم، وله فى الأرواح الأُوَل مثال آخر، وهو فى كلّ عالم على مثال ذلك العالم ثم نقول: إنّا ما

أوردنا شيئًا ممّا ذكرناه أو نذكره من جزئيات العالم إلاّ واستنادنا فيه إلى خبر نَبَوِىّ يصححه الكشف، ولو كان ذلك الخبر ممّا تُكُلم فى طريقه فنحن لا نعتمد فيه إلاّ على ما يُخبِر به رجال الغيب ﷺ، ثمّ نرجع ونقول: إن هذا العنصر الأعظم المخزون فى غيب الغيب له التفاتة مخصوصة إلى عالم التدوين والتسطير، ولا وجود لذلك العالم فى العين، وهذا العنصر أكمَلُ موجود فى العالم ولولا عَهْدُ الستر الّذى أخذ علينا فى بيان حقيقته لبسطنا الكلام فيه وبيّنا كيفية تعلُّق كلّ ما سِوَى الله به، فأوجد سبحانه على ما قال الوارد الشاهد عند تلك الالتفاتة العقل الأوّل، وقيل فيه: أوّل لأنه أوّل عالم التدوين والتسطير والالتفاتة إنّما كانت للحقيقة الإنسانية من هذا العالم، فكان المقصود فخلق العقل وغيره إلى أسفل عالم المركز أسبابًا مقدمة لترتيب نشأته كما سبق فى العلم ترتيبه ومملكة ممهّدة قائمة القواعد، فإنه عند ظهوره يظهر بصورة الخلافة والنيابة عن الله فلا بدّ من تقدُّم وجود العالم عليه، وأن يكون هو آخر موجود بالفعل وإن كان أوّل موجود بالقصد، كمنْ طلب الاستظلال والاستكنان فوقعت فكْرته على السقف ثم انحدر إلى الأساس، فكان الأساس آخرَ مقصود بالعلم وأوّل موجود بالفعل، وكان السقف أوّل معلوم بالقصد وآخرِ موجود بالفعل فعَيْنُ الإنسان هى المقصودة وإليه توجهت العناية الكلّيّة فهو عَيْنُ الجمع والوجود والنسخة العظْمى والمختصر الشريف، الأكمل فى مبانيه.

باب فى خلق العقل الأوّل وهو القلم الأعلى فأوّل ما أوجد الله من عالم العقول المدّبرة جوهر بسيط، ليس بمادة ولا فى مادّة عالم بذاته فى ذاته علْمه ذاته لا صفة له مقامه الفقر والذلة والاحتياج إلى باريه وموجده ومبدعه، له نسب وإضافات ووجود كثيرة لا يتكثر فى ذاته بتعدُّدها، فيّاض بوجهين من الفيض فيض ذاتىّ وفيض إرادىّ، فما هو بالذات مطلقًا لا يتصف بالمنع فى ذلك وما هو بالإرادة فإنه يوصف فيه بالمنع وبالعطاء، وله افتقار ذاتى لموجده سبحانه الّذى استفاد منه وجوده، وسمّاه الحقُّ سبحانه وتعالى فى القرآن حقًا

وقلمًا وروحًا، وفى السُّنة عقلاً وغير ذلك من الأسماء قد ذكرنا أكثرها فى كثير من كتبنا قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقنا السَّموات والأرضَ وَمَا بَيْنَهُما إلاَّ بالحقّ﴾ وهو أوّل عالم التدوين والتسطير، وهو الخازن الحفيظ العليم الأمين على اللطائف الإنسانية الّتى من أجلها وجد ولها قصد ميّزها فى ذاته عن سائر الأرواح تميزًا إلهيّا، علم نفسه فعلم موجده فعلم العالم فعلم الإنسان قال رسول الله ﷺ: منْ عرف نفسَه عرف ربَّه لسانَ إجمال والحديث الآخر أعْرَفُكم بنفسه أعرَفُكم بربّه لسانُ تفصيل فهو العقل من هذا الوجه وهو القلم من حيث التدوين والتسطير، وهو الروح من حيث التصرُّف وهو العرش من حيث الاستواء وهو الإمام المبين من حيث الإحصاء ورقائقه الّتى تمتدّ إلى النفس إلى الهباء إلى الجسم إلى الأفلاك الثابتة إلى المركز إلى الأركان بالصعود إلى الأفلاك المستحيلة إلى الحركات إلى المولّدات إلى الإنسان إلى انعقادها فى العنصر الأعظم وهو أصلها ستّة وأربعون ألف ألف رقيقة وستمائة ألف رقيقة وستة وخمسون ألف رقيقة، ولا يزال هذا العقل مترددًا بين الإقبال والإدبار يُقْبل على باريه مستفيدًا فيتجلى له فيكشف فى ذاته من بعض ما هو عليه فيعلم من باريه قَدْرَ ما علم منْ نفسه، فعلْمه بذاته لا يتناهى فعلمُه بربه لا يتناهى وطريقة علمه به التجلّيات وطريقة علمه بربه علمه به، ويُقبل على من دونه مفيدًا هكذا أبد الآباد فى المزيد، فهو الفقير الغنىّ العزيز الذليل العبد السيّد ولا يزال الحقّ يُلهمه طلب التجليات؛ لتحصيل المعارف واستواء هذا الاسم عليه كان من أحد العُرُش فأذكر العُرُشَ.

باب فى ذكر العُرُش اعلم أنّ العُرُش خمسةٌ: عَرْشُ الحياة وهو عرش الهُوِيَّة وعرش الرحمانية والعرش العظيم والعرش الكريم والعرش المجيد، فعرش الحياة هو عرش المشيئة وهو مستوى الذات وهو عرش الهويّة، قال تعالى ﴿وكان عرشهُ على الماء﴾ فأضافه إلى الهويّة وجعله على الماء فلهذا قلنا إنّه عرش الحياة قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا منَ الماء كلّ شَىء حَىّ﴾ وقال فيه ﴿وكانَ عرشُه على الماء﴾ أى أظهر الحياة فيكم ﴿ليَبْلوكمْ﴾ وكذلك قال تعالى

فى موضع آخر: ﴿الذى خَلَقَ الموت والحياة لِيَبْلُوَكُمْ﴾ فجعل ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ إلى جانب الحياة فإنّ الميّت لا يُختبر وهو قوله على الماء ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ وهو قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنا من الماء كلَّ شَىْء حَىّ﴾ فهو العنصر الأعظم أعنى فَلَكَ الحياة، وهو اسم الأسماء ومقدَّمها وبه كانت وقوله تعالى ﴿وجَعَلْنا منَ الماء كلَّ شىء حىّ﴾ من حيث هو حى لا من حيث هو جوهر والعرش المجيد هو العقل الذى ذكرناه والعرش العظيم النفس، وهو اللوح المحفوظ الذى نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى ويتلوه العرش الذى هو عرش الرحمانية، وهو فلك الأفلاك، ويتلوه العرش الكريم وهو الكرسى وسنذكر هذه كلها فى أماكنها إن شاء الله.

باب فى العرش العظيم وهو اللوح المحفوظ وهو النفس الناطقة الكلية الثابتة، ولمّا أوجد الله سبحانه القلم الأعلى أوجد له فى المرتبة الثانية هذه النفس الّتى هى اللوح المحفوظ وهى من الملائكة الكرام وهو المشار إليه بكلّ شىء فى قوله تعالى ﴿وكَتَبنا له فى الألواح منْ كلّ شَىْء﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿موعظة وتفصيلاً لكلّ شىء﴾ وهو اللوح المحفوظ وقال تعالى: ﴿بلْ هوَ قرآن مجيد * فى لوْح محفوظ﴾ فهو موضع تنزيل الكُتب وهو أوّل كتاب سُطّر فيه الكون، فأمر القلمَ أن يَجْرىَ على هذا اللوح بما قدّره وقضاه ممّا كان من إيجاده ما فوق اللوح إلى أوّل موجود، وإيجاد الأرواح المهيّمة فى جلال الله تعالى وجماله الّذين لا يعرفون العقل ولا غيره ولا يعرفون سوى منْ هاموا فى جلاله، وطاشوا بمشاهدته شهودهم دائم ليس لهم لحظة إلى ذواتهم، ولا رجعة إليهم أفناهم فناء الأبد عبدوا الله بحقّه لا من حيث أمْرِه وعلى قلوب هؤلاء الأرواح هم الأفراد منّا الخارجون عن دائرة القُطْب، وممّا يكون إلى أن يقال ﴿فريق فى الجنة وفريق فى السعير﴾ ويُذبح الموت ويقوم منادى الحقّ على قدَم الصدق يا أهل الجنة خلود فلا خروج فى النعيم الدائم الجديد ويا أهل النار خلود فلا خروج فى العذاب المقيم الجديد، إلى هنا حدّ الرقم بما بينهما وما بعد هذا فله حكم آخر، إن يمكنْ لنا أن نذكره فى أثناء

كلامنا كان وإن لم يجز منا عليه لسان ذكر فلا حاجة لنا فى التعريف به، فهذا اللوح محل الإلقاء العقلى هو للعقل بمنزلة حواء لآدم عليه السلام وسميت نَفساً لأنّها وُجدت من نفس الرحمن، فنفَّسَ الله بها عن العقل إذ جعلها محلاً لقبول ما يلقى إليها، ولوحًا لما يسطره فيها، وليس فوق القلم موجود مُحدَث يأخذ منه يعبَّر عنه بالدَّواة وهى النُّون كما ذكره بعضهم وإنّما نونه التى هى الدواة عبارة عمّا يحمله فى ذاته من العلوم بطريق الإجمال من غير تفصيل، فلا يظهر لها تفصيل إلاّ فى اللوح الذى هو اللوح المحفوظ فهو محلّ التجميل والنفس محل التفصيل وهذا القلم له ثلاثمائة وستّون سنّا من حيث ما هو القلم، وثلاثمائة وستّون وجهًا ونسبة من حيث ما هو عقل، وثلاثمائة وستون لسانا من حيث ما هو روح مُتَرجم عن الله، ويستمدّ كلّ سنّ من ثلاثمائة وستين بحراً، وهى أصناف العلوم وسميت بحراً لاتساعها وهذه البحور هى إجمال الكلمات الّتى لا تنفد ولها جاء المثل فى القرآن ﴿ولو أنَّ ما فى الأرْض من شَجَرَة أقْلامٌ والْبَحرُ يمدُّه من بعْده سَبْعَةُ أبْحُر ما نَفدَتْ كلمَاتُ الله﴾ لأنّ غاية كلّ نقطة من البحر أن يكْتَبَ بهاَ عين ذاتها لا غير وتبقى الأقلام وجميع المخلوقات الكائنة فى الآن والماضية، والمستأنفة، وهذا الملك الكريم الّذى هو اللوح المحفوظ هو أيضًا قلم لما دونه، وهكذا كلّ فاعل ومنفعل لوح وقلم ولهذه النفس من الرقائق والوجوه على عدد ما للعقل، وجعل الله أمْر التركيب وعالم الأجسام والإنشاءات كلها بيد هذا الملك الكريم، فإذا اعتدلت المبانى واستوت المعانى وتصورت نشآتها نورانية كانت أو نارية أو ظُلمانية أو شفافةً كان القلم الأعلى واهب الأرواح فيها الّتى جعله الله أمينًا عليها، وهو فيض عجيب ذاتى له وإرادى لله تعالى ولهذا الملك الكريم نسبتان: نسبة نورانية وهو مما يلى العقل الكريم، ونسبة ظلمانية وهو ممّا يلى الهباء بحرَ الطبيعة وهى فى نفسها خضراء لهذا الامتزاج الدقيق العجيب، وقد استوفينا ذكرها وصفتها فى كتاب النفس وهو كتاب الزمردة الخضراء وذكرنا أيضًا مقام القلم الأعلى فى كتاب مفرد سميناه الدُّرة البيضاء، والمقصود من هذا الكتاب كان كيف تمهيد المملكة لوجود الخليفة الّذى هو الإنسان.

باب العرش الرحمانى الجامع للموجودات الأربعة وهى الطبيعة والهباء والجسم والفلك.

مــــثل مـــــا لاح لِعَـــيْنِ

فــى الهــــوا بَـرقٌ يَـمَــــانـى

ثم أوجد الله سبحانه الهباء فأوّل صورة قَبِلَ صورةُ الجسم هو الطُّول والعِرَض والعمق فظهرت فيه الطبيعة، فكان طوله من العقل وعرضه من النفس وعمقه الخلاء إلى المركز، فلهذا كانت فيه هذه الثلاث الحقائق فكان مثلثًا وهو الجسم الكلّىّ وأول شكل قَبل هذا الجسم الشكل الكُرىّ، فكان الفلك فسماه العرش واستوى عليه سبحانة بالاسم الرحمن بالاستواء الّذى يليق به الّذى لا يعلمه إلاّ هو من غير تشبيه ولا تكييف، وهو أوّل عالم التركيب فكان استواؤه عليه من العماء وهو عرش الحياة، وهو العرش السادس وهو عرش نسبىٌّ ليس له وجود إلاّ بالنسبة ولذلك لم نجعله فى العُرُش، وهذا البحر هو البحر الفاصل بين الحق والخلق، وهو حجاب العزّة لنا وله فمن أراد منّا الوصولَ إليه وقع فى هذا البحر، فينسب الفعل للكون وما بيد الكون من الفعل شىء بل الفعل كلّه للواحد القهار، وإذا أراد هو الوصول إلينا بما هو عليه وقولنا إذا أراد قولٌ مجازى لا حقيقى بل هى إشارة لتوصيل معنى يجب أن يفهم عنّا كان نزوله إلينا بنا فقيل ينزل، واستوى والله يفرح بتوبة عبده ويضحك ربّنا ويتعجب ويتبشبش، والله يستهزئ بهم وما أشبه هذا كالمكر والكيد وجعل سبحانه لهذا العرش حَملة ثمانية يحملونه يوم القيامة، وأمّا اليوم فيحمله منهم أربعة الملك الواحد على صورة إسرافيل، والثانى على صورة جبرائيل، والثالث على صورة ميكائيل والرابع على صورة رضوان، والخامس على صورة مالك، والسادس على صورة آدم، والسابع على صورة إبراهيم، والثامن على صورة محمد ﷺ، هذه صور مقاماتهم لا صور نشآتهم، قال ابن مَسَرَّة الجبلى رحمه الله فى هؤلاء لمّا ذكرهم كما ذكرناهم: فإسرافيل وآدم

للصُّور وجبرائيل ومحمّد ﷺ للأرواح، وميكائيل وإبراهيم للأرزاق، ورضوان ومالك للوعد والوعيد، ويكون العرش عند هذا عبارة عن الملك وعمَّر سبحانه هذا الفلك بالملائكة الحافين وهم الواهبات، وهنا مقام إسرافيل عليه السلام وهو فم القرْن وبمُشاهدة هذا الاستواء يصير كذا وكذا مرة فى اليوم كالوضع من استيلاء سلطان العظمة الإلهيّة على قلبه، ومن هنا سمع رسول الله ﷺ صَرِيفَ الأقلام، ومن هنا نزل الرَّفرف، ومن هنا غلبت عليه حالة الفناء فتجرد عن عالم التركيب، ومن هنا نودى بصوت أبى بكر الصديق تأنيسًا له إذ كان أنيسه قف إنّ ربّك يصلى عليك، ثم تلا عليه ﴿هو الذى يصلى عليكُمْ ومَلائكته﴾ وهو أحد الحُجب الثلاثة الّتى تبقى بين أهل الجنة وبين الحقّ إذا جمعوا للرؤية وهو آخر الحجب والفلكانِ اللذان بعْدَه ها نحن نذكرهما إن شاء الله.

باب العرش الكريم، وهو الكرسى موضع القدمين ثمّ إنّ الله تعالى أدار هذا الفلك الآخر سمّاه الكرسى، وهو فى جوف العرش كحلقة مُلقاة فى فلاة من الأرض، وخلق بين هذين الفلكينِ عالم الهباء وعمّر هذا الكرسى بالملائكة المدبّرات، وأسكنه ميكائيل وتدلتْ إليه القدمان فالكلمة واحدة فى العرش؛ لأنه أوّل عالم التركيب، وظهر لها فى الكرسى نسبتان لأنّه الفلك الثانى فانقسمت به الكلمة فعبّر عنها بالقدمين كما ينقسم الكلام، وإن كان واحداً إلى أمْر ونهى وخبر واستخبار وعن هذين الفلكين تحدث الأشكال الغريبة فى عالم الأركان وعنهما يكون خَرق العوائد على الإطلاق، وهى من الأشكال الغريبة لا يعرف أصلها، وهو هذا وتظهر فى عَالَمَين فى عالم الخيال كقوله تعالى ﴿يُخَيَّلُ إليه منْ سحرِهِمْ أنَّها تَسعَى﴾ وفى عالم الحقيقة مثل المعجزات والكرامات وهذان الفلكان قَلَّ منْ يعثُر عليهما أو يصل إليهما من أصحابنا إلا الأفراد، وكذلك من أرباب علماء الهيئة والأرصاد وإذا رأوا شكلاً غيرَ مُعتاد فى الطبيعة نسبوا ذلك إلى شكل غريب حَدَثَ فى الفلك عنه صدر هذا الذى هو غير معتاد لا يجرى على قياس، ومن هذين الفلكين كانت

الخواص فى الأشياء وهى الطبيعة المجهولة، فيقولون تُفعل بالخاصية فلو أدركوا حركة هذين الفلكين لم يصح لهم أن يجهلوا شيئًا فى العالم، وقد ذكرنا من عالم التدبير القلم واللوح والطبيعة والهباء والجسم والعرش والكرسىّ، وما بينها من العوالم لأن فى كلّ فلك من الأفلاك وفى كل ركن من الأركان عالَم من جنس كل فلك، وركن وطبيعة ولهم عُمَّارها وسكانها ﴿يُسبِّحُون اللَّيلَ والنَّهارَ لا يفترُون﴾ لأنهم لا يلحقهم فى ذلك عىٌّ ولا نصبٌ فإنّ نسبة التسبيح إليهم نسبة الأنفاس إلينا تقتضيها نشأتهم كما تقتضى نشأتنا الأنفاس، قال تعالى ﴿وإنْ منْ شَىْء إلاَّ يُسبِّحُ بحمْده ولكنْ لا تفقهونَ تَسبيحهمْ﴾ من جهة الفكر والنظر إلاَّ أن يَمُنَّ الله على بعض عباده بعلم ذلك ﴿والله يقول الحقَّ وَهوَ يهْدى السَّبيل﴾.

باب فلك البروج وهو الأطلس، ثم أدار سبحانه فى جوف هذا الكرسى هذا الفلك وهو الأطلس، قال تعالى: ﴿والسَّمَاء ذات البُروج﴾ وهى تقديرات فى الفلك الأطلس الذى لا كوكب فيه، ولهذا سمى بالأطلس وهو بالنسبة إلى الكرسىّ كنسبة الكرسى إلى العرش كحلقة مُلقاة فى فلاة، وخلق بين هذين الفلكين عالم الرَّفارف، وهى المعارج العُلَى، وفيه خلق عالم المُثُل الإنسانية وتسبيحهم سبحانَ من أظهر الجميلَ وستر القبيح، وسَبَبُ هذا التسبيح أنّ الشخص منّا إذا فعل فعْلاً لا يرضى الله تعالى تغيرتْ صورة مثاله فى هذه الحضرة، فَيُرسَل الحجاب بينه وبين منْ فيها حتى لا يرون ما قام بها من التغيير فإذا أقلع عن المُخالفة رجعت إليه صورته لا يَرَوْن منه إلا حسنًا، فلهذا يكون تسبيحهم سبحان منْ أظهر الجميل وستر القبيح، هكذا روينا هذا الخبر وهو عالم الحجب وإرخاء الستور، وفى هذا الفلك مقام جبرائيل، وفيه الملائكة المُقسمات وهم عُمّاره، وإلى هذا الفلك ينتهى علمُ علماء الأرصاد أكثرهم بل ربما كلهم ولا كوكب فيه، والبروج فيه تقديرات فهو منقسم على ذلك اثنى عَشَرَ قسمًا جعل فى كلّ قسم مَلَكًا من الملائكة، وهو رئيس ذلك القسم، وتحفُّ به ملائكة من المقسمات، وأنشأهم على صور مختلفة، وسموا بأسماء

صورهم فى عالمنا فالملك الأول على صورة الميزان وطبيعة بيته الذى هو قسمه من هذا الفلك حارٌّ رَطْبٌ وولاه الحُكْمَ فى عالم التكوين ستة آلاف سنة، ثمّ ينتقل الحكم إلى غيره إلى أن ينتهى إليه فيمكُث هذه السنين المعلومة، وهو أوّل فلك دارَ بالزمان وفيه حدثت الأيّام دون الليل والنهار، وكان أوّل حركة الزمان بهذا الفلك، وقد استدار فى زمان رسول الله ﷺ ولذلك قال رسول الله ﷺ: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خَلَقه الله، وجعل بيد هذا الملك الكريم مفتاح خلق الأحوال والتغييرات والزمان الذى خلق الله فيه السموات والأرض، وأحدث فيه الليل والنهار وهو متحرك والملك الثانى: على صورة العقرب وطبيعة بيته الذى هو قسمه من هذا الفلك بارد رطب وولاّه الحكم فى عالم التكوين خمسة آلاف سنة، كلّما جاءت دولته وجعل الله بيده خلق النار وهو ساكن، والملك الثالث: الّذى يليه على صورة القوس وطبيعة بيته الذى هو قسمه من هذا الفلك حارّ يابس وولاّه الحكم فى عالم التكوين أربعة آلاف سنة، كلّما جاءت دولته وهو ملك كريم بيده أزمّة الأجساد النورانية والظلمانية، وجعل بيده مفتاح خلق النبات، والملك الرابع: خلقه الله على صورة جدى وطبيعة بيته الذى هو قسمه من هذا الفلك بارد يابس وولاه الحكم فى عالم التكوين ثلاثة آلاف سنة، وهو ملك متحرك وجعل الله بيده مفتاح الليل والنهار، والملك الخامس: خلقه الله تعالى على صورة دلو وجعل طبيعة بيته الذى هو قسمه من هذا الفلك حارًا رطبًا، وجعل ولايته ألفى سنة وهو ملك كريم عليه سكون ووقار وهيبة، وجعل بيده مفتاح الأرواح، والملك السادس: خلقه الله على صورة حُوتٍ وجعل قسمه من هذا الفلك باردًا رطبًا وجعل دولته ألف سنة وله اشتراك مع ملك الأجسام النورانية والظلمانية فيهما وجعل بيده مفتاح خلق الحيوان، والملك السابع: خلقه الله على صورة كبش وجعل قسمه من هذا الفلك حارًا يابسًا وجعل دولته اثنى عشر ألف سنة، وهو ملك متحرك وجعل بيده مفتاح خلق الأعراض والصفات، والملك الثامن: خلقه الله تعالى على صورة ثَوْرٍ، وجعل قسمه من

هذا الفلك باردًا يابسًا، وجعل دولته أحد عَشَرَ ألف سنة، وهو ملك عليه وقار وهيبة وعليه عمل السامرى العجْلَ وظنّه لمّا رآه إله موسى عليه السلام فى حديث طويل ليس هذا موضعه، وجعل بيده مفتاح خلق الجنة والنار، والملك التاسع: خلقه الله تعالى على صورة توأمين وجعل قسمه من هذا الفلك حارًا رطبًا، وجعل دولته عشرة آلاف سنة وله اشتراك مع ملك الأجسام فيها، وجعل بيده مفتاح خلق المعادن والملك العاشر خلقه الله تعالى على صورة سرطان، وجعل قسمه من هذا الفلك باردًا رطبًا وجعل دولته تسعة آلاف سنة، وهو ملك متحرك، وجعل بيده مفتاح خلق الدنيا والملك الحادى عشر: خلقه الله على صورة أسد، وجعل قسمه من هذا الفلك حارًا يابسًا وجعل دولته ثمانية آلاف سنة، وهو ملك كريم تعلوه مهابة، وجعل بيده مفتاح خلق الآخرة والملك الثانى عشر: خلقه الله تعالى على صورة سُنُبلة وجعل قسمه باردًا يابسًا وجعل دولته سبعة الآف سنة وله اشتراك مع ملائكة الأجسام، وله اختصاص معين بالأجسام الإنسانية وكمل الفلك وكمل عالم التكوين فعن الأسد والقس والحَمَل وُجدتْ كُرة الأثير، وعن الجوزاء والميزان والدلو وجدت كرة الهواء، وبالسَّرطان والعقرب والحوت وُجدتْ كرة الماء، وبالثور والسنبلة والجدى وجدت كرة الأرض، ومن هذا الفلك إلى المركز حكم الطبيعة بالتغيير والاستحالات والكون والفساد عند قبول المستعد لذلك بالاستعداد الذى خلقه الله فيه وبوجود هذا الفلك حدثت الأيام كما ذكرنا دون الليل والنهار، وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الشأن فدار هذا الفلك بتقدير العزيز عن أحكام تأثيره فيه العليم بما وضعه له من الحكمة البالغة، وهو الفاعل سبحانه لكلّ شىء وهذه أسباب نصبها سبحانه لما سبق فى علمه، ولِيَبْتَلِىَ بها عباده فمن أضاف الفعل إليها فهو مؤمن بها كافر بالله تعالى، ومنْ أضاف الفعل إلى الله تعالى فهو مؤمن بالله كافر بها، هكذا جاء الشرع الذى له الإيمان والكفر وأمّا العقل فإنّه يدلّ على أنه لا فاعل إلا الله، وما أحْسن ما قال ﷺ وما بلغ عن ربّه بأشرف عبارة، وألطف إشارة فقال فى أثر سماء كانت وقد

أصبحوا بخرافات من جُهَيْنَة: أتدرون ماذا قال ربكم قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بالكواكب كافر بى ومؤمن بالكواكب فأمّا منْ قال مُطِرْنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب، ومن قال مطرنا بنَوْء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب، وكان أبو هريرة ﵁ يقول بعد ذلك مطرنا بنوء الفتح ويتلو ﴿مَا يفتح الله للنَّاس من رحمة فلا﴾ الآية فأدار رسول الله ﷺ القِسمَةَ بين المؤمن والكافر بأىّ وجه كان ونبَّه بذلك على القسم الثالث المدرج بينهما، وهم القسم الذى يُضيف الفعل إلى الله تعالى بحكم الإيجاد والإبداع، ويُضيف الفعل إلى المخلوق بحكم التوجه والقصد والانبعاث والكسب، وعلى الوجه الذى أضاف الله تعالى به الفعل إلى عبده فقال ﴿والله خَلَقَكُمْ ومَا تَعْمَلُونَ﴾ وأضاف العمل إلينا بهذا الحكم مع كون ذلك العمل خلقًا له وإبداعًا لا إله إلا هو فهذا جعله كافرًا أى ساترًا، ولم يقل مؤمن بى جاهل بالكواكب لكن قال كافر أى: ساتر ما يعْرف منه.

باب فلك الكواكب الثابتة وهو آخر الأفلاك الثابتة ثم أحدث الله هذا الفلك الرابع، وخلق عالم الرضوان بينه وبين فلك البروج وسطحه أرض الجنّة ومقعّره يكون سقفًا للنار، وفيه أسكنَ رضوان خازن الجنان وهو من الملائكة الكرام وملائكة هذا الفلك يقال لهم: التاليات وقال بعض أهل المقاييس فى قوله تعالى: ﴿وَيَحمِلُ عَرشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمئذ ثَمَانية﴾ أن هذا الفلك أحد الثمانية الحملة والسبعة الأفلاك التى تحته التى سنذكرها إن شاء الله تعالى، وجعل فلك البروج هو العرش وهو الأطلس والأمر على خلاف ما قاله من كلّ وجه، وهذا الترتيب لا يمكن إدراكه إلاّ بالكشف والاطلاع أو بخبر الصادق، وكذا المنجمون أهل الأرصاد وأصحاب علم الهيئة لم يعرفوا ما عرفوا من ذلك إلا بطريق الكشف الحسىّ، فأبصروا حركات الكواكب فاستدلوا بذلك على كيفية الصنعة الإلهية وترتيب الهيئة فأخطئوا فى بعض وأصابوا فى بعض واختلفت آراؤهم فى ذلك اختلاف معروفًا متداولاً بين أهل هذا الشأن، وإن الله تعالى لمّا خلق هذا الفلك رتب فى مقعَّره ألف مرتبة

وإحدى وعشـرين مرتبة قـسم الفلك عليها أقسـامًا كما قـسم فلك البروج على اثنى عشر قسـمًا فظهر لكلّ قسم كرة فظهرت اثنا عـشر كرة وهو فلك الكواكب والسبعة الأفـلاك التى تحته والأربعة الأركان، فهذه اثنا عشـر وحكمها إنّما هو فيـها كـما رتـبه وقدّره الـعزيز العليم وقـد نبّه عـباده على هذا فـقال تعـالى: ﴿والشَّمْسُ تَجْرى لمستَقَرٍّ لَهَا ذلكَ تَقْدِيرُ الْعزِيزِ العلَيم * والقَمرَ قَدَّرناهُ مَنازلَ حَتَّى عَادَ كَالْعرجون الْقديم﴾ فكذلك قسم هذا الفلك الرابع إلى الأقـسام التى ذكرناها وجـعل فى كلّ قسم ملكًا من المـلائكة على صورة عـالم من العوالم الكائنة فى عالم الأركـان، فحصر صـور عالم الأركان بتلك الأقسـام فدار هذا القلم دورة أبرز فيـها عالم الجنان كحـركة الأرض فى إخراج النبات، كـما قال تعـالى فى الأرض ﴿اهْتَـزَّتْ وَرَبَتْ وأنْبَتَتْ منْ كلْ زوجٍ بهـيجٍ﴾ فكلّ فـلك يحكم فيما دونه بما أودعه الحقّ فيه وفَطَرَهَ عليه وهذا الفلك هو فلك الحروف من هُنا انتشأت فى عالم الأجسام على الثمـانية والعشرين منزلة ثمانية وعشرون حرفًـا على المخارج المـستقيـمة، ثمّ حروف خـرجت عن حد الاستقـامة فى الإنسان وغـيره من الحيوانات، وهى بعـدد ما بقى من الأقسام مـقداراً لا يزيد ولا ينقص، ومثالها فى الإنسان كالحروف بين الباء والفاء وكالحروف بين الجيم والشين وكحـرف الخيشوم، وهكذا فى الحيوانات وأخـبرنى بعض العلماء من تلميذ جعفر الصادق ﷺ أنّه أوصلها إلى سبـعة وسبعين حرفًا فى الحيوانات، ولمـا كانت الحـروف من هذا الفلك لا تُعطـى خواصُّـها إلا مـا يعطيـه حكم المنازل، ولا تعطى أبداً شكلاً غـريبًا لأنهـا دون الفلكين غيـر أن لها روحـانية لطيـفـة فى الفلك الأطلس الذى هو سـقف الجنة بهـا يبـقى الكلام على أهل الجنة أعنى الحروف الفكرية، وأمّا اللفظيّة فهى لهم فى نفس هذا الفلك الذى هم فيـه، ولكن هو ألطف وأعْذب من هذا الكلام المـعتاد للـعباد لأنهـا تفعل هناك بالروحـانية الخـالصة، كـشكلنا أيضًا فى الجنان علـى أعدل نشأة فـأنتج الاستـعداد الحسن والفَـيْض الروحانى نتيـجة تناسب نشأتهـا، وبما فى الفلك الأطلس من الطبيـعة وفى هذا الفلك كان فى الجنّة الأنهار والـرياح والأشجار

والحور والقصور والولدان والأكل والشـرب والنكاح والانتقالات من حال إلى حال على أهل الطبيـعة، إلا أن الأمر ثابت فى عين الحـوامل والقوابل بحفظ الاعتـدال فلا يستحـيلون أبداً لكن يختلف عليـها الصُّوَر والحالات والصـفات والأشكال فى المطاعم والمـشـارب والملابس والمـناكح والأعراض بشـريف وأشرف وحـسن وأحسن وجـميل وأجمل حكـمة بالغة من عـزيز عليم، وهنا نُكتة اللطيفة الإنسانية ليست من عالم الاستحالة والفناء بل هى من عالم الثبوت والبقاء، وهى تستدعى بيتًا تدبره يسمَّى الجسم الطبيعىَّ، وهى المخاطبة العاقلة الحية الدائمـة الملتذَّة المتألمة، والجسْم بما هو جسم طبيعى يتـغذى ويتخلل قليلاً قليلاً وينمو قليلاً قليـلاً ويعْطى الغذاء من الزيادة قدْر ما نقص، والفاضل يخرج فى هذه الدار عَذِرَةً وبَولاً وبُصاقًا ومُـخاطًا وعَرَقًا، وهناك ليس إلاّ العرق خاصة يخـرج من أعراضهم يعنى من الأبدان وهو فضـلات الأغذاية أطيب من ريح المسْك، فالمعتـبر من الإنسان لطيفته وهى الحافظة لمـا حصلت والمميزة لما أدركت، فـتفهم هذا فإنه ينفـعك فلما أكمل سبـحانه أفلاك الثبـات والبقاء وصارت الكلمة أربعة بوجود هذا الفلك الرابع، أراد سـبحانه إيجاد عالـم الدنيا من الأركان والسموات السـبع والمولدات التى مآل تركيبها وأجسـامها إلى فساد وانتقال، وما من فلك أوجده الحق تعالى من هذه الأفلاك الثابتة إلاّ وقد جعل الله سبحـانه للمَلَكَين الكريمين القلم واللوح توجُّـها إليها عندمـا أراد إيجاده، ويخلق الله عند التوجه ما شـاء أن يخلقه ممّا شاء أن يتوجَّـهَ عليه لا بالتوجه، لأنه يتعالى ويتقدس عن المعـين والشريك وأحكام الأسباب إذ هو الناصب لها والخالق وما لها سبب إلاّ من حيث التـوجه والقصد، وهو خلق لله تعالى مثل أعمـالنا المرادة لنا بخلقه سبـحانه الإرادة فينا إلى تحـريك يدنا أو إلى فعل من الأفعـال المرادة لنا، فعنـدما تتعلق إرادتنا بتـحريك يدنا أو بفـعل ما خلق الله تعالى الحـركة فى اليد وذلك الفعـل ليس غير ذلك، فلا فـاعل فى الوجود إلاّ هو سبحانه هذا هو الذى أعطاه دليلى وكشفى وهو علمى واعتقادى، نسأل الله الثبـات عليه وأنه سـبحـانه ليس بعلة لشىء، بل هو الواحـد أوجد مـا أوجده

إيجاداً من لم يكن إلى فكان ما ثم أزلى قديم انتَفَت عنه الأولية إلاّ هو لا إله إلاّ هو، فجعل سبحانه للنفس الكليّة الّتى هى اللوح توجهًا من حيث إنّه يريد إيجاد الأجرام النورانية وغيرها، حتى إذا حصلت الاستعدادات لأشخاص أنوار هذه الأفلاك على حسب مقاماتهم ومراتبهم التى أهَّلهم الله تعالى لها وأهَّلها لهم ﴿وما منّا إلا له مقام معلوم﴾ توجه العقل الذى هو القلم عن إذن الواحد القهار توجه النَّفخ، فأوجد الله الأرواح الملكية فى الأشخاص الفلكية فقامت حيّة ناطقة بالثناء على الله تعالى ولذلك خلقها ولنا فى هذا النوع الملكى أبيات أوّلها:

روح من الروح فى جسم من النور
كالماء أوْدَعْته فى جام بلُّور
يُعطيك ظاهره أسرار باطنة
كالمبْصرات إذا ما فُضّ فى النور
له الجناح إذا ما شاء يبسطه
أو شاء يقبضه من غير تشمير
له اليدان له العَينان نبْصرها
فى العَين قائمة من غير تصوير
لواحد سِدْرةٌ علياء يسكُنُها
وآخر هَمُّه فى النَّفخ فى الصُّور
وثالث يقبض الأرواحَ كارهة
وواهب رزقه من غير تغيير
وخامس يسْمع الأرواح دعوته
خير يجود وبخلٌ خَلق تدمير
همُ الكثيرون لا يُحصى مقاصدهم
ولا مراتبهم إلاّ من الطُّور
فَمنْ على الطور يلحظ سر خلقهم
وفوقه سابح فى ماء تنُور

وفرق بين النفخ والدُّعاء ولهذا بيّنّا أنّ النفخ فى البدء والإعادة فإنّ الإعادة كالبداءة سواء، ولهذا قال ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تعُودونَ﴾ وقال فى خلق عيسى عليه السلام الطير ﴿فتَنفخ فيهَا فتكون طيراً بإذنى﴾ وهو إيجاد مخصوص، والدُّعاء ليس كذلك كما قال لإبراهيم عليه السلام ﴿ثمَّ ادعُهُنَّ يأتينَكَ سَعْيًا﴾ وما كان أذهبَ منهنَّ شيئًا إلا فسادَ عين التركيب وأما الأجزاء فهى باقية بأعيانها وليس حكم الجوهر بعد زوال الحياة منه الّتى كان يحملها حسّا لنا مثل الجوهر الذى لم يكن له ذلك أصلاً، مع أنّا نعلم أنه ما من شىء إلاّ سبّح بحمده إيمانًا ولا نعلم الكيفية ولا يكون التسبيح إلاّ من حىّ.

باب خلق الدنيا ثمَّ انصرف النظر والتوجُّه الإرادىّ الإلهى بعد خلقّ ما ذكرناه إلى النفس الّذى هو الملك الكريم، فأوحى الله تعالى أن ينْحدر بالتدبير فى عمق الجسم إلى أقصاه، وذلك نقطة مركزه المعبر عنها بعجب الذنب الذى تقوم عليه النشأة، وهو جزء لا يبلى وهو محلُّ نظر العنصر الأعظم، الذى خلق العقل من التفاتته فانحدر الملك الكريم بإذن العزيز العليم إلى أن انتهى إلى المركز فوجد نظر العنصر الأعظم إليه، وأن أمر الكون المدبَّر كله منه صدر وإليه يعود حكمة بالغة فأدار كرةَ الأرض ابتداء وكانت هذه الحركة من هذا الملك بطالع السَّرطان وهو الملك الكريم الذى ذكرناه فى سماء البروج، وجعل ممّا يلى المركز صخرة عظيمة كُرية وفى نقطة تلك الصخرة الصماء حَيوانًا فى فمه ورَقة خَضراء يسبح الله ويمجده، وهو الحيوان الأشرف ولنا فيه كلام طويل فإنّ مقامه من أعجب المقامات، وعمّر هذه الأرضَ بصنف من الملائكة يقال لهم الناشرات وقد نبه الشرع عليها أنّ الملائكة تنشر أجنحتها لطالب العلم، وهم هؤلاء فإنّ الأرض إنما هى لعباده الصالحين، وهم العلماء بالله وجعل فيها مقدمًا من الملائكة عظيمًا اسمه قاف، وإليه ينسب الجبل المحيط بالأرض جبل قاف، فإنه مقعد هذا الملك وبيده حكم الأرض وحكم الزلازل والرَّجفات والخُسُف وكلُّ ما يَحدث فى الأرض، منها بيد هذا الملك زمامه وجعل هذه الأرض محلُّ أكثر المولدّات وهى المقصودة من بين سائر

الأركان، وفيها ينزل الخليفة وعليها ينزل الأمر الإلهى، ولمّا كانت المقصودة لم تتنزّل الكتب إلاّ بذكرها فقال فى غير موضع السموات والأرض والسماء والأرض وقال: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ وقال ﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ثمّ قال ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ ولم يذكر من الأركان غيرها فدلّ ذلك على أصالتها وعلى أنّها المقصودة ثمّ الكشف يعطى بأنها هى التى خلقت أولا، وأنها أوّل الأركان خلقها قبل بقية الأركان وفيها خلاف كثير بين العلماء، وقبل السموات وما فيها ومنها يكونون فى الجنة وعليها يُحشر الناس غيرَ أن نعوتها تتبدّل فتكون الخاصية فى الحَشْر الساهرة أى لا ينام عليها لهذه الخاصّيّة وقال: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ والجنة مبنية كلها وخلقها من نفائس معادنها من اللؤلؤ والمَرجان والجوهر والدر والياقوت والذهب والفضة والزُّمُرُّد والمِسك والعَنْبَر والكافور وما أشبه ذلك، وإذا وقفت فى الأخبار على أنّ مراكب الجنة من دُرّ وياقوت ومرجان وحورها وولدانها وجميع ما فيها فافهم من ذلك ما فهمت، من أنّ آدم خلق من تراب ومن حمأ مسنون وأنك مخلوق من ماءَ مهين فهو تنبيه على الأصل وكما كانت الأرض للجنة من حيث ما ذكرناه فمنها أيضًا للنار كلُّ معدن خسيس مثلُ الكبريت والحديد والرصاص والنُّحاس والقار والقَطران وكلْ نَتْن وقَذر، وقد عبر الشارع فقال: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾ ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ وصُبَّ فى أذنيه الآنك ويجعل لمن كان يسجدُ اتقاء ورياء وهو المنافق ظهره طبقة نحاس، وقد نبّه بوادى جهنم بالبيت المقدّس وبطن محسّر، وبالأرض الملعونة وبشجرة الغَرْقَد فقسم هذه الأرض وفصلها بين الجنة والنار فللنار منها جزء وللجنة منها جزء وأخبر ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة إلاّ أنّها لا تتبدل بالصفات وقد ذكرنا فى كتاب الجنة ما يشفى فى ذلك، وفى كتاب النار ما يشفى فى ذلك فللأصل الأرض خلقها بما فيها فى أربعة أيّام، وهى أربعة آلاف سنة كل يوم من الأيام ألفُ سنة عنده، فعيّن فيها أماكن الخير وأماكن الشرّ مقدّرة ثمّ إنّ الله تعالى وتقدس خلق الأفلاك الثابتة دائرة بالتوجه نحو

الكمال، والكائنات يوجدها الحق عند دورانها، كما يوجد الشبع عند الأكل، وليس ذلك بمقصود للأفلاك وحلل فى جوف كرة الأرض منها ما حُلل وسَخُف ولطف، فكان ماءً نتنًا وهو البحر العظيم الذى يعذّب به أهل الشّقاء، وهو ماء أسود وكثيراً مَّا يظهر آثاره فى الأماكن المخسوفة ينفخ له منفس فيظر منه على وجه الأرض ما يظهر ومنه مَنبع المياه الرديئة كلها التى لا يلائم مِزاج الإنسان والحيوانات، فدار هذا الماء بالصخرة وصارت الأرض عليه ثمّ حلل سبحانه منه ما حلل ولطفه ممّا يلى المركز، فكان الهواء المظلم وهو اليحموم فدار ذلك الهواء بالمركز الذى هو الصخرة، واشتدت حركة هذا الهواء فامتسك هذا الماء عليه والأرض فوق هذا الماء، وتموج الماء بهذه الريح المظلمة السّمومّية فمادت الأرض، فرأت الملائكة ميد الأرض وقد حصل لهم التعريف من الله، بأنها محلّ خلق يخلقون منها على نشأة مخصوصة لا يمكن معها التصرف إلاّ على ساكن، فقالت يا ربّنا كيف استقرار عبادك على هذه الأرض؟ فأبدى لهم تجليًا أصعَقهم به، وخلق من الأبخرة الغليظة المتراكمة الكثيفة الصاعدة من الأرض الجبال فقالبها عليها فسكن ميد الأرض، وذهب تلك الحركة التى لا يكون معها استقرار، وطوق هذه الأرض بجبل محيط بها وهو من الصخرة الخضراء، وطوق به حيّة عظيمة اجتمع رأسها بذنبها رأيت من صعد هذا الجبل، ومن عاين هذه الحيّة وكلمها، وقالت سلم منى إلى أبى مَدين، وكان من الأبدال من أصحاب خطوة يقال له موسى السّدرانىّ وكان محمولاً له، فسأله يوسف بن يحلف عن طول هذا الجبل فى الهواء، فقال صليت الضُحى فى أسفله والعصر فى أعلاه، فأنا بهذه المثابة يعنى من اتساع الخطوة ثم أفاق الملأ الأعلى من صعقتهم، فرأوا من قدرة الله تعالى ما هالهم فقالوا ربنا هل خلقت شيئًا أشدّ من هذه الجبال؟ فقال: نعم الحديد، فقالوا: ربنا فهل خلقت شيئًا أشد من الحديد؟ فقال نعم النار فقالوا: ربنا فهل خلقت شيئا أشد من النار؟ قال نعم الماء فقالوا: ربّنا فهل خقلت شيئًا أشدّ من الماء؟ قال: نعم الريح، فقالوا: ربنا فهل خلقت شيئًا أشد من الريح؟ قال نعم

الإنسان يتصـدق بصدقة فلا تعْـرف شماله ما تنفق يمينـه، فهذا هو الذى ملك الهواء فمن ملك هواه فهو أشـدُّ من الهواء وهو الذى ينبغى أن يقال له إنسان، ومنْ لم يحكم هذا المقـام فهو حيوان، صـورته صورة الإنسان لا غيـر فقالت سبحانك ما عبدناك حقّ عبـادتك أى ما عرفناك حقّ معرفتك، إذ تكلّمنا بما لا ينبغى لـنا أن نتكلم به فإنّك أنت العليم القـدير، ولمّا كـان وجود هذه الأرض وقد دارت الأفلاك الثابتـة تخيل القدماء الفلاسفة أن الأفلاك السـمويّة مخلوقة قبل الأرض، وأنّه يتنـزل الخلق إلى أن ينتهى إلى الأرض، فـأخطئوا فى ذلك غاية الخطأ، لأنّ ذلك صَنْعةُ حكيم وتقدير عـزيز عليم، يفتقر العلم بذلك إلى إخباره باللـسان الصادق والعلم الضروى أو إقـامة المثل بكيفـية الأمر، وليس للقـدماء فى هـذه الطريقة كلهـا مـدخل فأجـالوا الفكر على عـلم لا يتحـصل بالفكر، فأخطئـوا من كل وجه ثمّ إن الله تعالى أدار بالأرض من جهـة سطحها كُرَةَ المـاء بتسخيف مـن الأرض وتحليل، وعمر هذه الكرة بمـلائكة يقال لهم الساريات، وعـليهم مقـدم يسمى الزاخـر وخلق العالم الملكى الـذى هو عالم الذكر بين المـاء والأرض فلهم شركة فى الماء والأرض، ثمّ أدار بالمـاء الهواء وجعل عُمَّـاره من الملائكة الزاجرات، وعليهم ملك يسـمى الرعد وجعل بين الماء والهواء من المـلائكة عالم الحياة، ثم أدار بالهـواء كرة الأثير وهو النار، وجعل عمارة من الملائكة السابقات وعليهم ملك كريم هو مقدمهم، لا أعرف له اسمًا فإنى مـا عُرِّفتُ بذلك، وجعل عالـم الشوق ممـزوجًا من الهواء والأثير ومن سطح الأرض إلى سطـح هذه الكرة اثنان وسـبعـون سنة، ثـم أدار بكرة الأثير السماء الدنيا وجعل عُمَّـاره من الملائكة السابحات، وعليهم ملك يسمى المُجْتَبَى وفـيه خلق القمر وهو الإنسان المفرد، وفيـه أسكن روحانية آدم عليه السلام بعد مـوته، وجعل بينه وبين كرة الأثير عالـم الخوف من الملائكة، ثم أدار بالسماء الدنيـا هواء نوارنيّا وجعل عماره من المـلائكة ملائكة المزج، ثم أدار بذلك الهواء السماء الثانية وعمرها بالملائكة الناشطات وعليهـم ملك يسمى الروح، وفيه خلق الله كوكبًا يسمَّى عُطارِدَ وهو الكاتب، ثم أدار بالسماء الثانية

هواء عجيبا جعل عماره صنفًا من الملائكة يقال لهم عالم الحِفظ والحافظات، ثم أدار بالهواء السماء الثالثة وعمره بالملائكة القانتات، وعليهم ملك يسمى الجميل وفيه خلق الله كوكبًا يسمى الزُّهَرة وأدار به هواء أسكنه عالم الأُنس ثم أدار بذلك الهواء السماء الرابعة وعمّره من الملائكة بالصافّات وعليهم ملك يسمى الرفيع، وفيه خلق الشمس ثم أدار بهذه السماء هواء عمّره بعالم البسط، ثم أدار بهذا الهواء السماء الخامسة وعمّرها من الملائكة بالفارقات وعليهم ملك يسمى الخاشع، وفيه خلق الله كوكبًا يقال له الأحمر ثم أدار بهذه السماء هواء عمّره بعالم الهيبة، ثم أدار بهذا الهواء السماء السادسة وعمّره من الملائكة بالمُلْقِيات وعليهم ملك يسمى المقرب، وخلق الله فيها كوكبًا يقال له المُشترى، ثم أدار بهذه السماء هواء عمره بعالم الجمال ثم أدار بهذا الهواء السماء السابعة، وعمّره من الملائكة بالنازعات عليهم الملك الكريم وفيه خلق الله كوكبًا يسمى كَيْوَانَ، ثم أدار به هواء إلى مقعر فلك الكواكب الثابتة عمّره بعالم الجلال، وفى هذا الهواء أسكن مالكًا خازن النار وعزرائيل الذى هو ملك الموت، وفيه سِدْرة المُنْتَهى التى أغصانها فى الجنان وأصولها فى أسفل السافلين فهى الزَّقُّوم لأهل النار والنعيم لأهل الجنان، ومعنى قولنا: خلق فى هذه الأكر كلها عالم كذا وعمره بكذا إنما أريد أن الله هيأ فيها مراتب خلقها، وكون فيها أجسامها النوارانيّة وأعدها لقبول الأرواح والحياة، وأسرار هذه الاستعدادات كلّها فى حركات الأفلاك الأربعة الثابتة، فخلق السماء الأولى سماء القمر على طبع الماء باردة رَطْبة: فجعل بينها وبين النار منافرة طبيعية حتى لا تستحيل ناراً، فكان يبطل ما يراد بها من التحريك والأدوار التى يهب الله تعالى المولدات والصور عند دَوَرانها فى عالم الأركان، ورتب مسالك خلقها فيها ومقاماتهم ودار هذا الفلك دورة قَسْريّة فُصِّل مكانه بها من الجسم الكلى فظهر الهواء والذى بينه وبين الفلك الذى يوجد فوقه، وهكذا فعل فى كل سماء من السبع فالسماء الأولى والثالثة على طبيعة واحدة وهى البرودة والرطوبة، والرابعة والخامسة على طبيعة واحدة وهى الحرارة واليبوسة،

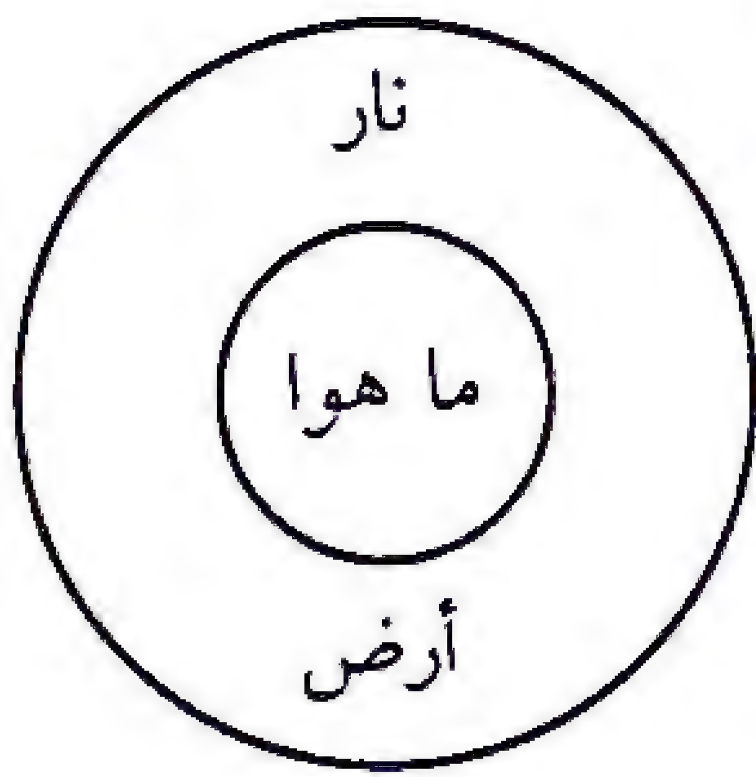
والسماء الثانية ممزوجة والسماء السادسة حارة رطبة، والسماء السابعة باردة يابسة، ثم توجه الحق سبحانه وتعالى على هذه السموات والأرض وما بينهما بخلق الأرواح فى صورها المعبر عنه بالنفخ، فقبلت الأرواح على قدر استعدادها فظهرت أعيان العوالم الذين ذكرناهم من الملائكة وحييت الأفلاك والأركان، فدارت واتصل العمران وشهدت وأحبت البقاء والكمال فتحركت فى دَوَراتها حركة الشوق إلى ذلك، ولا تشعر هذه الأفلاك ما أودع الله من الأسرار فى دورانها، فإذا وفت الطبيعة ما فى قوتها ممّا جبلها الله عليه فى هذا العالم وحصل المنع فى الأركان عن القبول عادت آثار حركات الأفلاك عليها لمّا لم تجد فيها ما تنفذ، فتصادمت تصادم الأشخاص هنا فانفطرت ورجعت إلى أصل المبدأ وحدث الليل والنهار بحدوث الشمس فى السماء الرابعة وتميز اليوم بها عندنا، وجعل الله تعالى حركات هذه الأفلاك كلها على طريقة واحدة من الشرق إلى الغرب كحركات الأفلاك الثابتة بخلاف ما يقول أصحاب علم الهيئة، وذلك أنهم يرون السيَّارة تقطع فى فلك الكواكب الثابتة من النَّطْح إلى البُطَيْن، ومن الحمل إلى الثور فيرون حركتها كأنها بالعكس من حركة فلك الكواكب الثابتة فيجعلون حركتها من الغرب إلى الشرق، وليس الأمر كذلك ولكن حركة فلك الكواكب على مقدار يعطيه تركيبه وطبعه من السرعة، وأفلاك السيّارة معه فى ذلك الدور غير أنه يمشى عنها على قدر قوته بالوزن المعلوم الذى قدره خالقه، فيظهر تأخر القمر وغيره من السيارة عن منزل النَّطْح إلى منزل البُطَين وعن بُرج الحَمَل إلى برج الثور وهو تأخر صحيح ولكن ليس بتأخر حركة ضدية تقابله، وكل من قال إنّ حركات الأفلاك مع حركات الفلك المحيط على التقابل فما عنده علم من شبهة ما ذكرناه، والقهقرة الظاهرة فى بعض السيارات لسرعة تكون فى فلكه فى ذلك الوقت أعطاها تركيب ذلك الفلك وطبعه الذى خلقه الله عليه، وكان هذا الإنشاء العجيب من حضرة الهُوَ المُغيب وهو غيب الغيب، ولم يقع منه الله تعالى إنشاء إلاّ وقد جعل سبحانه توجُّهات للملك الكريم المعبّر عنه بالنفس واللوح إلى هذا الإنشاء وتوجهات

للملك الكريم الـذى هو العقل والقـلم بالوهب الذى له، كـما جـعل الأدوار للأفلاك وسكتنا عن إيضاح تحقيق الأسباب لئـلا يتخيل الناظر فيها منّا أنا ممَّن يجعل الفعل لغير الله أو ممن يجعل الفعل لله بمشاركة السبب، ولسنا من أهل هذين المذهبـين وإنّ مذهبنا أن يقدم الله مـا شاء من خلقه ويؤخر مـا شاء من خلقه ويخلق الشيء من كونه شـيئًا سببًا إن شاء، ولا يجعله سـببًا إن شاء لكن قد شـاء، وقد سبق فى علمـه أنه لا يخلقها إلا هكذا كـما ذكرناه، فَمُـحال أن تكون إلا هكذا لأنّ خلاف الـمعلوم مُحـال فلهذا سكتنا عن ذكـر سببيـّة القلم واللوح، ولا سيّـما وقد قـال بذلك من يعتقـد فيه القائـلون بالشرع أهل الحق أنهم كفّار، وهم القائلون بالعلة والمعلول فالعاقل من نظر لنفسه وعامل الوقت بما يليق بـه وتجنب مواطن التُّهم عند أصـحاب وقتـه التى يؤدى السلوك فيـها عندهم إلى الخروج عن الدين فيما يزعمون، وإن لم يكن الأمر كذلك وجهلوا ولا قدرة لك علـى ردهم عن ذلك، وللحق وجوه كـثيرة فـخذ منهـا ما يوافق الوقت ويؤدى إلى سلامـة الدين والدنيا، والمعـتمد الدين فـإن كان الوقت لا يقتـضى فى تمشـية سلامـة الدين فاختـر لنفسك أن تُظْهِر الـحق والدينَ حتى تموت مـجاهدًا، وإن شئت ستـرت نفسك ودينك وتظهر لهـم فيما هم بسـبيله بظاهرك إذا جبروك علـى ذلك فاضطُرِرتَ إليه، واعتزل عنهم مـا استطعت فى بيـتك لإقامـة دينك من حـيث لا يعلمون، فـقـد كان بدء الإسـلام على هذه الصورة من التكتم وقـد جاء فى القرآن ﴿إلاّ منْ أكْرِهَ وقلبهُ مُطْـمَئنٌّ بالإيمَان﴾ كما قال أيضًا فى المجاهدين ﴿ويقْتلونَ النَّبيّينَ بغيـرِ حقّ ويقتلونَ الذين يَأمُرُونَ بالقسط منَ الناس﴾ فانظر لـنفسك من حيـث دينك فإن إليه مـردك وهو الذى يبقى لك، والدنيـا عرض زائل وعرض مـائل وهو ما لا يبقـى عليك ولا تبقى عليه، واصرمه قبل أن يصرمك وكن من حزب الله ولا تيأسْ من روح الله.

باب فى الاستحـالات، فلمّا كملتْ هذه الأركان والأفـلاك على حسَب ما ذكـرناها ودارت الأحد عـشـر فلكًا، وهى آباؤنا العلويـات وتحركت الأركـان لدورانها وهى القوابل الحوامل أمّهاتنا السُّفليات، وأعْطت الحركات فى الأركان

الحرارة فسخن العالم وتوجه العقل والنفس الذى هو القلم واللوح، وتوجه العنصر الأعظم الشريف الذى هو لكرة العالم كالنقطة، والقلم لها كالمحيط واللوح ما بينهما، وكما أنّ النقطة تقابل المحيط بذاتها كذلك هذا العنصر يقابل بذاته جميعَ وجوه العقل، وهى الرقائق التى ذكرناها قبلُ فهى فى العنصر واحدة وهى فى العقل تتعدد وتتكثّر لتعدد قبوله منه، فللعنصر التفاتة واحدة وللعقل وجوه كثيرة فى القبول فلهذا كان العنصر أشد تحققًا بتوحيد خلقه من العقل، لأنّه أتمّ نسبة وأقوى وإلى العنصر والعقل والإشارة الإلهية عندنا بقوله تعالى ﴿ولو أنَّهمْ أقَامُوا التَّوراة والإنجيلَ وَمَا أُنْزِلَ إليهمْ منْ ربِّهمْ﴾ وَهى بقيّة الكُتُب والصُّحف والمتنزلات ﴿لأكلوا منْ فَوقِهمْ﴾ يُشير إلى محيط من الأسرار والمواهب التى بيد الملك القلم ﴿وَمِنْ تَحْتِ أرْجُلِهِمْ﴾ يشير إلى النقطة من الغيوب واللطائف من العنصر والكلّ منه، وهو مستمدّ من الله تعالى بذاته ولمّا سخن العالم ابتدأت الاستحالات فى الأركان التى بها يقع التوالد والتناسل، وجعل استحالة هذه الأركان بعضها لبعض على حسب ما نظمها العزيز العليم، وانظر ما أعْجب من أنّه جعل أول الأركان وهى الأرض وآخر الدوائر السماوية وهى السماء السابعة على طبيعة واحدة وهى البرودة واليبوسة وجعل بين هذه الأركان منافرة فمنها ما يقتضى المنافرة من كل وجه كالنار والماء والهواء والتراب فلم يتجاوروا، وجعل الحق بينهما وسائط فجعل الماء بين الهواء والتراب، وجعل الهواء بين الماء والنار، وإن كان بينهما منافرة من وجه فبينهما مناسبة من وجه، فالواسطة الذى هو الماء ينافر النار بذاته ويناسب الأرض بما فيه من البرودة، ويناسب الهواء بما فيه من الرطوبة، والواسطة الذى هو الهواء ينافر التراب بذاته ويناسب النار بما هو حارّ ويناسب الماءَ بما هو رطب، فتستحيل الأرض ماء والماء هواء والهواء نارًا والنارُ تُرابًا بغير واسطة، فإذا أراد الأرض تستحيل هواء والهواء يستحيل ترابًا فلابدّ أن يستحيل كل واحد منهما ماءً وحينئذ تستحيل الأرض هواءً والهواء أرضًا ويستحيلان نارًا وحينئذ يلحق الهواء بالأرض والأرض بالهواء، وكذلك الماء إذا أراد أن

يستحيل ناراً والنار ماء فلابد أن يستحيلا هواء أو ترابًا، وحينئذ يستحيل هذا ناراً والنار ماء وهذه الاستحالات إنّما تقع بالإفراط، فإذا جاوز المستحيل حدَّه انتقل إلى ضده من الوجه الذى هو ضده، فإذا جاوزت اليبوسة حدَّها فى النار كانت رطوبة فصارت هواء وإذا جاوزت الرطوبة فى الهواء حدَّها كانت يبوسة، فاستحال الهواء ناراً فإذا جاوزت الحرارة والرطوبة حدَّهما فى الهواء استحال ترابًا، وكذلك النار تستحيل ماء والماء ناراً والتراب هواء، ولكنّ هذه الاستحالات نادرة الوقوع وما رأيت أحداً نبّه عليها لشذوذ وقوعها، وما كلُّ جائز واقع والذى بأيدى علماء هذا الشأن أن يستحيل الشىء إلى الشىء إذا كان بينهما مناسبة من وجه ومنافرة من وجه، وصورة ترتيبها فى النَّشء كما تراه فى الحاشية، وبهذه الاستحالات التى قبلتها الأركان حدثت دائرة الزَّمهَرير والجمد الذى يكون فى الهواء، وجبال البرد والبحر المسجور والماء الذى فى جوف كرة الأرض، والهواء الدائر بالصخرة المظلم والهواء الذى يلى النار فوق دائرة الزمهرير، فصورتها اليوم صخرة فى المركز دار بها هواء على الهواء ماء على الماء أرض على الأرض ماء على الماء هواء على الهواء جَمْدٌ على الجمد بحر على البحر هواء على الهواء نار على النار السماء الدنيا، وهذه الاستحالات أعطاها ما أودعه الله فى الأدوار كلها وبأدوار الأفلاك الثابتة خاصة كانت الجنان وعليها المخلوقون فيها التى هى أرواح محمولة فى أنوار وأجسام شفافة شريفة معْدنية، تناسب فلكها وعنْها انتشأت الخزنة، وكان الخازن الأكبر المقدَّم رضوان إذ كانت حالة الرضى هى الحالة الكبرى فى الجنة فما فوقها حالة فسمى الخازن بها بشرى لهم.



تنبيه: وقد ورد فى بعض الأخبار النبوية أن الناس فى الجنة إذا أخذوا منازلهم فيها ناداهم جل جلاله بالكلام الذى ينبغى أن ينْسب إليه من غير تكييف ولا تشبيه يا عبادى هل بقى لكم شىء فيقولون: يا ربَّنا ما بقى لنا شىء نجيتنا من النار وأدخلتنا الجنّة وكسوتنا وأطعمتنا وسقيتنا وفعلت وصنعت،

فيقول جلّ جلاله وبقى لكم شيء فيقولون: يا ربنا وما بقى لنا فيقول أنا أعلمكم برضائى عنكم فلا أسخط عليكم أبدًا هل رضيتم؟ فيقولون: رضينا عنك فما يسر أهل الجنة بشيء أعظم من سرورهم بهذا الخطاب ﴿خَالدينَ فيهَا أبدًا رَضِيَ الله عَنْهم وَرَضُوا عَنْهُ﴾ هؤلاء المخاطبون بهذا الخطاب هم أهل الجنة هم أهلها العاملون لها والمتعشقون بها، الذين ما طلبوا من الحق سواها وأمّا العارفون أهل الله وخاصته فليس لهم فى هذا الخطاب مدخل؛ إذ قد نالوه فى الدنيا حال سلوكهم فكانوا هم الذين لهم البشرى فى الحياة الدنيا وأولئك فى الآخرة فالعارفون فى الجنة بحكم العَرَض لا بحكم الذات، وهم مع الله بالذات فقيل فيهم أهل الله وخاصته ولم يُنْسَبوا إلى الجنّة لكنّ الجنة تنسب إليهم، وأمّا أهل الجنّة الذين هم أهلها فهم مع الجنة بالذات ومع الله بالعرض، فرؤيتهم لله تعالى فى أوقات مخصوصة، وكلتاهم فى الجنان مع الحور والولدان وبالذات هنا معناه هم مع الله بحقائقهم لا يلتفتون إلى ما سواه إلا بحكم أمره وبمشيئة عدله فى عالم النفوس. وكما انتشأ عالم الرضوان كذلك أيضًا لما سوى النور ظهر مالك وخزنة النار ومالك هو الخازن الأكبر المقدم، وسمى مالكًا لشدّته وقوّته وقهره الظاهر فى عالم الشقاء، فيزيد عذابهم وحرجهم لهذا القهر فإن الأرواح من عالم السعة والانفساح بالأصل، فإذا انحصرت فى هذا العالم الضيق بما اكتسبته كان الضيق عليها أشدّ عذابًا، و ﴿إذا أُلقوا منها مكانًا ضيقًا مقرّنين دعوا هنالك ثبورًا * لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا﴾ لا يتناهى فإنّ عذابكم لا يتناهى ولهم خطاب من الجبار تعالى ﴿اخسئوا فيها ولا تكلّمون﴾ سخطى عليكم سخط لا رضى بعده فلا شيء أشدّ عليهم عذابًا من هذا الخطاب، وجماع هذا الشكل من المركز إلى المحيط شكل القرن أسفله ضيق وأعلاه واسع، وهو الصُّور أى جامع الصور ولذلك كان بالصاد، فأهل الجنة فى أعلاه فهم فى سعة المحيط وهم علّيّون، وأهل النار فى أسفله فى الضيق وهو سجّين فعلى قدر ما فى السعة من النعيم والفرح والسرور والابتهاج لأهل الجنة قدر ما فى الضيق من العذاب والأحزان والغموم، فنسأل الله أن يجعلنا من أهل الله بعقولنا ومن عقل السعة بنفوسنا آمين.

باب فى النكاح والتوالد فأولَ ما دارت الأفلاك وأعطت الاستحالات فى الأركان وسخن العالم فأوّل ركن قبل الأثر ركن النار، وهو الأثير فظهرت الكواكب ذوات الأذناب وهى احتراقات وتكوينات سريعة الاستحالة كما تراها فى العين، وهى نجوم سريعة التكوين والفساد وكانت رجومًا عند مبعث محمد ﷺ فما يلى منها العلو أطفأه بَرْدُ السماء وما وَلِىَ منها السُّفل أطفأه الزمهرير وهو البحر المسجور، وانتشأ فى هذا الركن عالم الجان بين سعيد وشقى وقد ذكرنا نشأتهم فى كتاب أفردناه لهم، والمقصود هنا نشأة الإنسان فمن غلب نور روحانيته على نار طبيعته كان سعيداً، ومن غلب نار طبيعته على نور روحانيته كان شيطانًا بما فيه من الرطوبة والبرودة؛ لأنه ممتزج يقبل العذاب بالنار وإنما نسب إلى العنصر الغالب عليه وهو النار فإنه فيها يكون وهى الظاهرة فيه على جميع الأركان، كما كان الغالب علينا عنصر التراب وإن كنا على جميع الطبائع كلها فقيل فينا ﴿منها خلقناكم﴾ وقيل فى إبليس لعنه الله والجان ﴿وَخَلَقَ الجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنَ نَار﴾ وكان لهؤلاء الجان قبل مبعث محمّد ﷺ مسالك فى كرتهم نحو السماء يسلكون فيها ليستمعوا حديث الملأ الأعلى الملكى وكان الحكم من آدم إلى محمّد ﷺ على ما رتبه الحق للملك الكريم المخلوق على صورة السنبلة، ولذلك كانت النشأة الترابية الإنسانية فظهرت أجساد الآدميين كما سنذكره، فلم تكن النجوم ذوات الأذناب بتلك الكثرة لغلبة الجمود والسكون الذى يقتضيه البرد واليبس، فلمّا جاء محمّد ﷺ وانتهى الزمان ودار كهيئته يومَ خلقه الله انتقل الحكم إلى الملك الكريم الذى خلقه الله على صورة الميزان وهو العدل، وأعطى كل ذى حق حقه وهو ريحى فأشعل الفلك الأثير إشعالا عظيمًا، فكثرت النجوم ذوات الأذناب فى الأثير والاحتراقات وجعلها الحق رجومًا للشياطين، فعمرت كل مسلك فى الأثير فضاقت المسالك على الجن الذين يسترقون السمع ولم يعرفوا ما علة ذلك، فقالوا ﴿وأنّا لمسنا السَّماء فَوجدْناها ملئت حرسًا شديداً وشُهبًا﴾ فالحرس الملائكة وهم الرصد وهو قوله تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ وَمَنْ خَلْفه رَصَداً﴾

والشهب النجوم ذوات الأذناب ﴿**وأنَّا كنَّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجدْ له شهابًا رصدًا**﴾ لأنهم قعدوا لهم كل مَرْصد فكان من أعظم بلاء طرأ على الجن والشياطين منعهم علم الغيب ومسألة خنافر وشصار فيها كفاية ذكرها أبو على البغدادىّ فى كتاب النوادر فى قوله تعالى: ﴿**إنَّا سَمعْنَا كتابًا أنْزِلَ مِنْ بعْد مُوسَى**﴾ ولكن مع هذا كلّه يسلكون بحكم البحث، فإن صادفهم شهاب أحرقهم وجعل بأيديهم عالم الخيال ونصب لكبيرهم ورئيسهم عرشًا على البحر فى مقابلة قوله: ﴿**وكانَ عَرْشُه عَلَى المَاء**﴾ وهذا هو عرش التلبيس، وجعل بيده قوة مثال كلّ شىء فى العالم الحقيقى يأتى به فى عالم الخيال على صورته فى العالم الحقيقى ليضل به أهل الكشف فى كشفهم وأهل الفكر فى النظر فى أدلتهم فبيده مفاتيح الشُّبه والشكوك والأوهام بإذن الله تعالى ليبتلى عباده بذلك، وقد ذكرنا هذا فى كتاب الكشف مستوفى، فلينظر هنالك فإن هذا المختصر لا يحتمله ثمّ أقول وأوجد الله تعالى هذه الدورة المحمدية السياديّة فى هذا الوقت الذى قدّر فيه هذا الحكم ونصب فيه هذا الوالى؛ لتكون أسراره مكتومةً ومقاماته مستورة ويكون الطمس على الأفكار لقوة ناريتها وعدم ثبوتها فلا تستقر على شىء كما استقر القدماء من أهل الأفكار فى الدورة الفلكية قبل مبعث محمّد ﷺ وقبل استدارة الزمان فكانت الحيرة فى أهل الأفكار منّا أكثر من غيرنا من الأمم، ومن تَعِبَ من الفكر وقف حيث تعب فمنهم من وقف فى التعطيل ومنهم من وقف فى القول بالعلل، ومنهم من وقف فى التشبيه ومنهم من وقف فى الحيرة فقال لا أدرى ومنهم من عثر على وجه الدليل فوقف عنده فكلّ إنسان وقف حيث تعب ورجع إلى مصالح دنياه وراحة نفسه وموافقة طبعة فإن استراح من ذلك التعب واستعمل النظر فى الموضع الذى وقف فيه مشى حيث ينتهى به فكره، إلى أن يتعب فيقف أيضًا أو يموت، هذا كله لاشتغال الخواطر وغلبة الحرارة عليها غير أن اللطائف تختلف بانصباب مَوادّها إلى موارد مختلفة، فأكثر الخلق فى هذه الأمة مجبولون على الأمور التى لم يكن أحد من غابر الأمم يصل

إليها إلا بعـد الرياضات والمجاهدات والأفكار الدائمـة، التى أمروا باستعـمالها والخلوات بنفوسهم وهذا كله لما أودع الله فى قوة هذا الحاكم الملكىّ ﷺ إذ كـان الله تعـالى قـد سبق فـى علمه أن يـفعل مـا يفـعله عند الأسـبـاب لا بالأسبـاب؛ إذ لا معين لـه ولا ينبغى فاشـتغلت أيضًـا قلوب أهل الأذكار وهم الصفوة من عبـاد الله تعالى أهل الذكر والاجتهاد فى العـبادات وحفظ الشرائع وهم الصادقون من الصوفية، فنالوا المراتب العليّة فى العلوم الإلهية حتّى كان علماء هذه الأمّـة كأنبياء سـائر الأمم وفتح لهم فى بواطنهم فى مقابـلة ما كان يظهر على ظـواهر بنى إسرائيل من العجـائب، وهم لا يعرفـون ذلك ولا قدره فانكتمت سرائرُ هذه الأمة لتحقُّقها بالحق سبحانه حين نزلت عليه من الأكوان، شعر:

نزلْـتُ علـى الإله مـن العـــبـــاد
عَـــسى ينفـى الكيـــانَ من الفـــؤاد
فــــقـــــال أجَل ولكـن ثَمّ ســـرٌّ
إليـــه فـى افــتـــقـارِكمُ اســـتِنادى
فـــإن يحـــصُلْ فـــذاك لكم مُـعــين
علـى مـــا تطلبـــون مـن الجَـــوادِ

فليس لأولياء هذه الأمة ظهور إلاّ حيث يظهر الحق تعالى، وذلك فى الدار الآخرة فـهم الأخفياء الأبرياء الـذين يعاملهم الحقّ بما أمـرهم أن يعاملوه به، شعر:

إن كـنـتَ لـى أكـــــــون لـك
مـــــا أنت لـى مــــا أنا لـك
فــــأصغ إلى قـــولى تـجـــد
صـــحـــة مـــا قـــد قُلتُ لكْ
ولـتَـلْتَــــزِم طـريـقــــتـى
واجْـــهَـــد وخلِّص عَــمَـلَكْ

تـنَـلْ بمــــــا جــــــئتَ بـه

مــن كلّ خــــــيــــــر أمـلـكْ

وفى هذه الدورة السيادية يكثر نطق الجمادات والنباتات يظهر حياتها عليها، وقد رأينا من ذلك أشياء وراثة نبوية، فإنه قد ثبت عندنا فى الأخبار رواية وكشفًا أشياء مثل سلام الحجر على رسول الله ﷺ وتسبيح الحصى فى كفّه، وفى كفٍّ مَنْ شاء الله من أصحابه وحبٍّ الجبال إيّاه وحنين الجِذْع إليه وكلمة الذراع المسمومة من الشاة المَصْلِيَّة، والأخبار فى ذلك أكثر من أن تحصى وقوله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يُكلِّم الرَّجل عَـذَبَة سوطه وتحدثه فخذه بما عمل أهله، وتقول الشجرة يا مُسلم هذا يهودى خلفى اقتله، وتخرج الدابّة الّتى تُكلمّ الناسَ بما تَسِمُ فى وجوههم، وجعل الله شهورهم قمرية لا شمسية خلاف من تقدم من الأمم السالفة تنبيهًا من الله تعالى للعارفين من عباده لأن آية القمر ممحوة عن العالم الظاهر كما قال ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ وذلك بسلخ النهار منه، وقال لمَن اعتبر فى قوله وتدبيره: ﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فى علو المرتبة والشرف فكان ذلك تقوية لكتم آياتهم التى أعطاهم الله فى بواطنهم وأجرها فيهم، ثم إن الله تعالى خلق الدوابَّ التى تُعَمِّرُ البحر الذى بين السماء والأرض ثمّ جبال البرد والثلج الذى دون البحر ممّا يلى الأرض بقوله تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من جبال فيها من برد وكون فيها حيات بيضاء صغارًا، وقد يصل إلى هذه الجبال بعض الطيور وربّما تصيد من هذه الحيّات الشُّودنيقات الفره البَلَنْسِيَّة ورأينا من ذلك حيوانًا يسمى السمندر وله خاصيَّة عجيبة فى ترك نبات الشعر، وما زال التكوين ينزل إلى أن وصل إلى الأرض فأول تكوين فى الأرض المعادن ثم النبات ثم الحيوان ثم الإنسان وجعل آخر كل صنف من هذه المكونات أوّلاً للذى يليها فكان آخر المَعادن وأول النبات الكَمْأَةُ، وآخر النبات وأول الحيوان النخلة، وآخر الحيوان وأوّل الإنسان القِرد فلنذكر نشأة الإنسان خاصة الذى هو المقصود فى هذا الكتاب ولنُضْرِبْ عن ذكر ما سواه إذ لا حاجة لنا بذكره فى هذا الموضع ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾.

باب نشأة الإنسان الأول: اعلم أنّ الله تعالى لمّا أراد أن يخلق الإنسان بعدما مهد له المملكة وأحكم أسبابها إذ كان الله قد قضى بسابق علمه أن يجعله فى أرضه خليفة نائبًا عنه فيها، فجعل نسخة من العالم كله فما من حقيقة فى العالم إلاّ وهى فى الإنسان فهو الكلمة الجامعة وهو المختصر الشريف وجعل الحقائق الإلهية التى توجهت على إيجاد العالم بأسره توجهت على إيجاد هذه النشأة الإنسانية الإمامية، فقال عز وجل للملائكة ﴿**إنى جاعل فى الأرضِ خَليفة**﴾ فلما سمعت الملائكة ما قاله الحق لها ورأت أنّه مركب من أضداد متنافرة وأنّ روحه يكون على طبيعة مزاجه قالوا: ﴿**أتجعلُ فيها منْ يُفسدُ فيهَا وَيسفْك الدِّمَاء**﴾ غيرةً منهم على جَناب الحق ثم قالوا عن أنفسهم بما تقتضيه نشأتهم ﴿**ونَحنُ نسبِّحُ بحمدكَ ونقدِّسُ لك**﴾ قال ﴿**إنى أعْلم مَا لا تَعْلمون**﴾ ثم نرجع ونقول إنّا روينا أنّ الله تعالى وجه إلى الأرض ملكًا بعد ملك ليأتوا بقبضة منها؛ ليفتح فيها صورة جسد الإنسان وما من ملك منهم إلاّ وتقسم الأرض عليه بالذى أرسله أن لا يأخذ منها شيئًا يكون غذاء للنار فيرجع إلى أن وجه الله عزرائيل فأقسمت عليه كما أقسمت على غيره، فقال لها إن الذى وجهنى وأمرنى أولَى بالطاعة فقبض منها قبضة من سهلها وحزنها وأبيضها أحمرها فظهر ذلك فى أخلاق الناس وألوانهم، فلمّا حضر بين يدى الحق شرفه الحق بأن ولاه قبض أرواح من يخلقه من تلك القبضة فتميزّ وتعيّن خمرّ الله طينة آدم بيديه حتّى قبلت بذلك التعفين النفخ الإلهى، وسرى الروح الحيوانى فى أجزاء تلك الصورة ثم فتح بعد التميز والنفخ هذه الصورة الآدمية وعين لها من النفس الكلّيّة النفس الناطقة الجزئية، فكان الروح الحيوانى والقوى من النَّفس الرحمانى بفتح الفاء وكانت النفس الناطقة الجزئية من أشعة أنوار النفس الكلّيَّة، وجعل بيد الطبيعة العنصرية تدبيرَ جسده وبيد النفس الجزئية تدبير عقله وأيدها بالقوى الحسيَّة والمعنوية وتجلى لها فى أسمائه لتعلم كيفية تدبير ما ملّكها إياه، ثم جعل فى هذه النفس الناطقة قوة اكتساب العلوم بواسطة القوى التى هى كالأسباب لتحصيل ما تريد تحصيله،

فبالنَّفس الرحمانى كانت حياة هذه النشأة، وبالنفس الناطقة عَلِمته وأدركت، وبالقوة المُفكرة فصَّلت ما أجمل الحق فيها فأنزلت الأشياء مراتبها وأعطت كل ذى حق حقه، فبما هو من الطبيعة هو من ماء مهين وآدم من حَمَأ مسنون وصلصال ومن تراب وطين وغير ذلك، وبما هو من النَّفس الكلِّيَّة والروح المضاف إليه تعالى هو حافظ عاقل دَرَّاك متصور ذاكر إلى أمثال هذه الصفات الإنسانية والقوى، ولمّا سرت النَّفخة فيه خرج الهواء من منخريه فعطس فتغيرت صورته، فلمّا انفصل عنه عادت صورته كما كانت فقال له الملك احْمَد الله على رد حسن صورتك إليك فحمد الله، فقال له ربُّه يَرْحَمْك ربُّك يا آدم لهذا خلقتك أى: لتحمدنى فأرحمك فذلك هو تشميتُ العاطس إذا حمد الله، ثم كان من أمره مع الملائكة ما قصه الله علينا وأنزله فى الأرض خليفة جامعًا للأسماء الإلهية والكونية كلهّا لجَمْعِيَّته التى خلقه الله عليها، فهو المشار إليه وإلى كلّ كامل من الناس بقوله ﴿وهو الذى فى السماء إله﴾ من نفسه ﴿وفى الأرض إله﴾ من طبعه ﴿وهو العليم﴾ بما علمه الحقُّ من الأسماء و ﴿الحكيم﴾ بتعيين المراتب وإطلاق الأسماء على مسمياتها، وهذا كله على طريق الإشارة لا على جهة التفسير، فاعلم ذلك فأعطتْه النيابة والخلافة هاتين الصفتين الحقيقيَّتين ﴿أفرأيتَ مَنِ اتَّخَذَ إلهه هواهُ﴾ فهذا هو الإله المتخذ ﴿وأضله الله﴾ أى حيَّره ﴿على علم﴾ فجعل علمه فى حيرته، يقول الصديق العَجْز عن دَرَك الإدراك إدراك فعلمك أنَّ ثم ما لا يعلم علم محقق أنت به عالم بلا شك، وهو قولنا الحمد لله الذى أنا جامع لعلومه ولعلم ما لم يُعْلَمْ أنه لا يعلم، ولما تعدد الكُمَّل من هذه النشأة جعلهم الحق خلائق بعدما كان خليفة، فكلُّ كامل خليفة وما يخلو زمان عن كامل أصلاً فما يخلو عن خليفة الأرض عن ظهور صورة إلهيَّة يعرفها جميع خلق الله معينة، ما عدا الثقلين الإنس والجن فإنها معروفة عند بعضها فيوفون حقها من التعظيم والإجلال لها ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ثم لتعلم أنّ كلّ مولود فإنه يولد على الفطرة التى أخذها الله على بنى آدم من الإقرار بربوبيته لمّا قبض على ظهر آدم فاستخرج منه ذُريَّته كأمثال الذر فقال لهم ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ أنت ربنا،

فهذه هى الفطرة التى فطر الناس عليها وهى الإقرار بربوبية الحق عليهم، فلمّا كبروا صاروا بحكم الآباء والمربين وحكم لهم بحكم الذرّ فمن استمر على الفطر إذا كانت أبواه مسلمين إلى أن يموت عليها كان من السعداء الموحدين، وإن طرأ عليه خلل يزيله عن الفطرة كان بحسب ما زال إليه، ثم يموت على ما هو عليه قبل موته وقبل الاحتضار، وإذا انتقل إلى البرزخ وانفصل عن الدنيا انفصال من لا يرجع يكون فى البرزخ عن الحالة التى كان عليها عند الانفصال، فإن كل على حالة تعطيه السعادة سعد وإن كان على حالة تعطيه الشقاوة شَقِيَ ثم تُرد عليه حياته، وعقله أوفر ما كان فى قبره فيأتيه فتّانا القبر ومعهما محمد ﷺ فيقال له ما تقول فى هذا الرجل ولا يظهران له بما ينبغى له من التعظيم، فإن عُصم الميت منهما فيقول هذا محمّد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا وصدّقنا، فيقولان له: نم هنيئًا فقد كنّا نعرف منك هذا، وإن وقف مع ما يرى من عدم تعظيم السائلين له ﷺ وتلك فتنة القبر فيقول: لو كان لهذا عند الله قدر مثل ما يعتقده المؤمنون فيه لعظمه هذان فيقول: سمعت الناس يقولون فيه أنّه رسول الله، فقلت فيه ما قاله الناس فيقولان له: لا سمعْت ولا قلت فتسلمه ملائكة العذاب ثم يبقى على ذلك إلى حين البعث، ويبعث على ما مات عليه كان ما كان كما ذكرنا، ولا يزال ينتقل فى مواطن القيامة من موطن إلى موطن على تلك الصورة التى قُبض عليها فإن ذلك الموطن وتلك الدار ما هى دار تكليف لو كانت دار تكليف لنفعهم إيمانهم إذا آمنوا وما بقى كافر إلاّ أسلم وآمن، فإنّه يعاين ما لا يقدر على جحده ولا إنكاره ثم إنّ الناس يحشرون إلى أخذ كتبهم، فمن الناس من يُعطى كتابه بيمينه، وهم أهل السعادة، ومنهم من يُعطى كتابه بشماله فيقول: ﴿يا ليتنى لم أوت كتابيه﴾ وهم الكافرون، ومنهم من يعطى كتابه بشماله من وراء ظهره يُضرب فى صدره فينفذ إلى ظهره وهم المنافقون والمرتابون، فأما المؤمنون فهم وجه بلا قفا يرون من كل جهة، وأمّا الكافرون فهم قفا بلا وجه، والمنافقون وجه وقفًا، ثم يرجع لهم الموازين فيوزنون بأعمالهم، فإن

رجح عمله به ثَقُلَ ميزان عمله به وارتفعت الكفة به فأُخذ إلى عليِّين، وإن رجح هو بعمله نزل بكفته إلى سِجِّين وهنالك يقرأ كتابه بما قدّمت يداه.

وأمّا الكفّار المقلدة فى الكفر فيقول القائل منهم **﴿يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتِي ليتنى لم أتخذ فلانًا خليلاً * لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطانُ للإنسان خذولاً﴾** وهم الذين بلغتهم دعوة الرسل عليهم السلام فردوها ولم يعملوا بها، وأما المجرمون فلا يقيم لهم الله عز وجل يوم القيامة وزنا، ولا يعبأ الله بهم من قبورهم إلى جهنم، ويأتى أيضًا طائفة مستجيرة يقول مترجمهم: شعر:

رَءوف رحيم لا يكون مؤاخذًا
عُبيدًا أتاه رجيًا مُتلهفَا
لأجل ذنوب قد أتاها بغفلة
ولو كانت الأخرى أتى متكلِّفا
فإن شئت عفواً لا تؤاخذه إنّه
أتى مستجيراً سائلاً متكتّفا

فأجابه الناطق بلسان الحال: شعر:

إنْ كنتَ أنتَ فأنتَ
وإنْ تَشَأ كُنتُ أنتا
يا مُنيتى يا حَبيبى
بكم وبى حيث كنتا
إنى علمت بأنى
فى حفظكم إذ حفظتا
لو كنت أملك نفسى
عنكم لكنتَ مُلكْتا
عَينْى ولَسْتُ بغير .
لكم فكُنْ لى وأنْتا

كتاب

التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى محمّد بن علىّ العربى الحاتمىّ الطائىّ

الحمد لله الّذى استخرج الإنسانَ من وجود علمه إلى وجود عَيْنِه فى أول إبداعه جوهرة فانظرها بعين الجلال، فذابت حياءً منه عندما حققت نظره فسالت ماء أكنّ فيه جواهر علمه ودُرَرَه، ثم أرسل منه ميزابًا إلى مشربة غصن الامتزاج فأقام به صغره وسمى ذلك الغصن إنسانًا فصوره وشق سمعه وبصره وأحكم ترتيب وجود كلّ شىء فى العالم الأكبر فيه ودبره فقدّره، وأشهده بشاهد الإحسان كلّ شىء فقرره، ورتق سماء عقله بعدما فتقه وفطره وأبطن كونَه فى كونه وأظهره، وحجبه عن سرّه بما هو أخفى وستره حكمةً بالغة لمن دقق النظر فيه واعتبره، ثمّ تجلّى له فى حضرة الاقتدار فَبَهَره فأجفل هاربًا من نيران الهيبة فضمه وقهره وغمسه غمسة فى البحر الأخضر من غير أن يشعره، فإذا سر القدرة الإلهية قد مازجت بشره ثم كشف له عن حضرة الدّيمومية فحقّق بها عمره، ورداه رداء الحياة الأبدية دون كونٍ ضمه ولا أمدِ حصره وأعلى مناره للملائكة وأوضح غُرَرَه فبايعته بالسجود، إذ أمدّه بالأسماء ونوّره وجعله فى أرض الأجسام خليفة فأيده ونصره ثم أبدع له العقل وزيرًا فاستوزره ووهبه سرَّ الخطاب فى نار الشجرة، وأعطاه عصا إعجازه فأهلك بها الخواطر السَّحَرةَ ثمَّ خوفه لدى قسطاس الانقسام وحذّره وقسم مَوارده عليه قسمة منتشرة وأردفها بأجناد إشارات إلهية غير منحصرة وأورد الخواطر على باب حضرته مقبلة مدبرةً فمنها قابلة لعيون الإشارات ومنها مستنفرة وعمَّر مدينتَه فى النَّمط الأوسط ومنها أقفره وأغناه بمطالعة أسرار الملكوت وبها أفقره وأباح له التصرف فى الأكوان بما به عنها زَجَرَه وسوى فى قبضتيه الأخذ بين من آمَنَ به وكفره وأشهده على تلك القضية وقرره، ونصب ملكه جسرًا للعبور

فطوبى لمنْ عبره، ثمّ شاء سبحانه أنْ يدنسه بما به طهره فجعله برزخًا جامعًا للكفرة والبرَرَة وأقامه فى عالم التركيب داعيًا على منابر التذكرة، وأيده بالعلوم الإلهيّة وغمره ونهاه عن إفشاء ما بظهوره أمّره فقال: ألا تنظرون فى عوالمكم إلى سموات أفلاكها مسخرة وأرضين بحارها مسجَّرة وفُلك مشحون أجراه فى بحر الكون عندما أوسقه وعمّره، فهو يمشى بين رِجْلى رجاء وخوف كتب عليهما الصانع القديم بقلم العلم المحيط فى الرجل اليمنى ﴿فَمَنْ يَعْمَل مثْقال ذَرَّة خَيراً يَرَه﴾ وفى الرجل اليُسرى ﴿وَمَنْ يَعمَل مثْقَال ذَرَّة شَرًا يَرَه﴾ فليبادر بالطَّاعة لمن هَدَاهُ النَّجدين وبصّره وليشكْره على رزق قسمه فيسره وعسّره وليبحث عن الكنز الذى حجبه بالجدار الجسمانى وستره ثم ليتدبر كيف أحياه حين أقبره وأماته فى الوقت الذى أنشره وأظلمه بجلابيب ملابس غيوب النور الذى به أقمره ودلّ على النجىّ واللّدنىّ بآيتى محو ومبصرة ثم صيّر آية المحو فى بعض الأحايين منورة وذلك فى الليالى المقمرة عند تقابلهما فى الكرة ثم أظهر ذلك السر فيمن ضرب بعصا الاختبار حَجَرَ الأسرار فحجره، شعر:

فانظرْ إلى شَجَرٍ فَاضٍ على حَجرٍ
وانظرْ إلى ضاربٍ منْ خَلفِ أسْتارِ

فسبحان منْ أودع هذه الأسرار فى وجود حضرة الإنسان المقدَّسة المطهرة فما أغفله عن القيام بشكرها ﴿قُتل الإنسان مَا أكفره﴾ والويل لمن زهد فى اعتبار وجوده وحقره والصغار له فما أذله وما أصغره فليته كما كفره شكره فيكون من الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا فانتظموا فى سلك عسى المدَّخرةُ فى الدار الباقية المؤخَّرة والصلاة على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن تابعه وآزَرَه الملتحفين فى أبراد المعارف الربانية المحبرة المطرزة بعلم فى الحشمة المشهرة ما سبح الملك ربَّه وذكره وزهد أهل العناية فى الجلوة الخضرة.

أما بعد حقق الله سرك بحقائق الوصال وجعلك من الساجدين له بالغدوّ والآصال، فإنى بنيتُ هذا الكتاب الصغير الحجم اللطيفَ الجرم العظيم الفائدة

الكثيـر العلم المستخـرج من العلم اللدنىّ والقاب العدنانىّ المسـمَّى فى الإمام المُبين الذى لا يدخله ريب ولا تخمين بالتـدبيرات الإلهية فى إصلاح المملكة الإنسانيـة، وهو مشـتمل على مقـدمة وتمـهيد وأحـد وعشرين بـابًا من دقائق التوحـيد فى تدبيـر الملك الذى لا يبـيد على التـرتيب الحكمى والنظام الإلهى وجاء غـريبًا فى شأنه مـمزوجًا رمـزه ببيانه يـقرأه الخاص والعـام ومن كان فى الحضـيض الأوهد ومستوى الجـلال والإكرام ﴿قـد علم كل أناس مشـربهم﴾ ففيه للخواص إشارة لائحة وللعوام طريقـة واضحة وهو لُباب التصوف وسبيل التعرف بحضرة التـرؤّف والتعطف يلهج به الواصل والسالك، ويأخذ منه حظه منه الملوك والمـالك، يعـرب عن حقـيـقة الإنسـان وعلو منصـبه على سـائر الحيوان، وأنّه مختصر من العـالم المحيط مركب من كثيف وبسيط لم يبق فى الإمكان شىء إلا أودع فيه أول منشئه ومبـانيه حتى برز على غاية الكمال وظهر فى البـرازخ بين الجـلال والجـمـال، فليس فى الوجـود بخل ولا فى القـدرة نُقـصان صحّ ذلك ذوى العـقول الراجـحة بالدليل والبـرهان ولهذا قـال بعض الأئمـة وليس أبدع من هذا العـالم فى الإمكان والله يؤيّدنا بالعـصْمـة ولطيف الحكمة إنّه فياض النعمة واسع الرحمة.

تمهـــيد الكتـــاب

اعلم وفقك الله لطاعته أنّ الله سبحانه قد شاء أن يُبرز العالم فى الشّفعيّة لينفردَ سبحانه بالوترية فيصح اسم الواحد الفرد ويتميزّ السّيد من العبد، ولمّا وقفت أوقفكم الله على حقائق نفوسكم وأطلعكم على ما أودعه فيكم من لطيف حكمته وغريب صنعته على قوله تعالى ﴿وَهَو الذى مدَّ الأرضَ وَجعَلَ فيهَا رَواسىَ وَأنهاراً وَمنْ كلِّ الثَّمرات جَعَلَ فيها زَوْجين اثْنَيْن يغْشى الليلَ النَّهارَ إنَّ فى ذِلكَ لآيات لقوم يتَفَكرونَ﴾ فأخذت فى الفكر والاعتبار فى هذه الآية فرأيت أنّ الإنسان من جملة الثمرات ينمو كنمائها ويتغذى كغذائها ثمّ ينتهى كنهايتها ويؤخذ منه الفوائد كالأخذ منها ثمّ يأخذ فى النقص كنقصانها ثمّ يهرم كهرمها ثم يموت كموتها ثم رأيناه يولّد كتوليدها فيؤخد بذر منها فيزرع فيحدث فيه الشباب كذلك حتى يصير إلى مثل حالها فقد يؤخذ منه كما أخذ منها وقد يترك فينقطع النَّسل من تلك الثمرة المعيَّنة وكذلك الإنسان فى التوالد والتناسل على ذلك المَهيع فقلنا هذه شجرة فأين أختها التى تصحُّ بها شَفْعيَّتها وإطلاق هذه الآية عليهما فكراً واعتباراً فتتبعنا وجودَ الحكمة فى الإنسان وتفضيله على سائر الحيوان وتقصَّينا أسراره وحكمه ولطائفه ورأيناها بأعيانها فى العالم المحيط الأكبر قدمًا بقدم فلم نَزلْ نقابله حرفًا بحرف، ومعنى معنًى حتى وجدناه كأنه هو فعلمنا أنّ الثمرة الواحدة العالم الكبير المحيط والثمرة الأخرى الإنسان الذى هو العالم الصغير فطلبنا على ذلك تنبيهًا من الكتاب العزيز فوقفنا على آيات نيّرات منها ﴿وفى أنفسكم أفلا تُبصرون﴾ ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفُسهمْ﴾ ﴿وَما خَلقْنا السَّماءَ والأرضَ وَمَا بيْنَهُما بَاطلا﴾ ﴿أفحَسبتُمْ أنَّما خَلَقْناكمْ عَبثًا﴾ و ﴿يتَنزلُ الأمرُ بيْنَهُنَّ﴾ فحمدنا الله سبحانه على ما ألهم وأنْ عَلمنا ما لم نكنْ نعْلم ﴿وكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظيمًا﴾ فانظر نوّر الله بصيرتك إلى ما تفرّقَ فى العالم الأكبر تجده فى هذا العالم الإنسانىّ من ملكٍ وَملكوت حتّى إذا ظهر فى العالم مثلُ النماء وجدته فى الإنسان

كالشعر والأظفـار ونحو ذلك وكما أنّ فى العالم ماءً مالحًا وعـذْبًا وزعاقًا ومرًا فذلك موجود كله فى الإنسان، فالمالح فى عينيه والزعاق فى منخريْه والمرّ فى أذنيه والعـذب فى فمه وكمـا أنّ فى العالم ترابًا وماء وهواءً ونارًا فـفى الإنسان ذلك بعَينه ومنها خلق جسـمه وقد نبّه عليها الحكيم سبـحانه فى الكتاب العزيز وهو قوله تـعالى ﴿هو الَّذى خـلقكمْ مـنْ تُراب﴾ ثم قـال ﴿من طين﴾ وهو امتـزاج الماء والتـراب، ثم قال جل اسـمُه ﴿منْ حَمإٍ مسْنون﴾ وهو المتـغير الريح وهو الجـزء الهـوائى الذى فـيه، ثم قـال ﴿خَلَقَ الإنسَـانَ منْ صَلْصَـال كالفَخَّار﴾ وهو الجـزء النارىّ، وهذه حكمة منه سبحـانه يَخْلق مَا يشـاء وَهوَ العَليمُ القديرُ وكمـا أنّ فى العالم رياحًا أربعًا شمالاً وجَنوبًا وصـبًا ودَبورًا ففى الإنسان أربع قوى جاذبة ومـاسكة وهاضمة ودافعة، وكما أن فى العـالم سباعًا وشياطين وبهائم ففى الإنسان الافتـراس وطلب القهر والغلبة والغضب والحقدُ والفـجور والأكلُ والشُّـرب والنكاح والتـمتُّـعُ كمـا قال عـزّ وجل ﴿يَتَمتَّعُونَ ويأكُلُونَ كَمَا تَأكُلُ الأنْعَـامُ وَالنَّار مثوًى لهمْ﴾ وكما أنّ فى العـالم ملائكة بررة سفرة ففى الإنسان طهارة وطاعة واستقامة وكما أنّ فى العالم منْ يظهر للأبصار ومنْ يخفى فـفى الإنسان ظاهر وباطن عالم الحسّ وعـالم القلب فظاهره ملك وباطنه ملكوت وكـما أنّ فى العـالم سمـاء وأرضًا فـفى الإنسان علوّ وسـفل، وامش بهذا الاعتبار على العالم تجد النسخة الإلهيّة صحيحةَ ما اختلّ حرف ولا نقصَ معنى، ولـم تجدْ له فى مقـابلة الأزَل إلاّ الأبد وهو غير مـتناهى الطَّرف الآخَر شرعا وسبق فى علم قديم باقٍ بإبقاء الله عزّ وجلّ له.

قال العـبد وجَرَتِ المـتصوفـة فى هذا النظر والاعتـبار مجـرى العرب فى كلامها من استعارات والمجاز بأدنى شـبه وأيسر صفة تجمع بينهما وفى القرآن من هذا القبيل كثير إذ القرآن جـارٍ على لغة العرب كما قال ﷺ، وإنما أنزلَ القرآنُ بلسـانى لسان عربىّ مُـبين، ومثله قـوله تعالى ﴿واشْتَعَلَ الرَّأسُ شَـيْبًا﴾ ﴿كَسراب بقـيعة﴾ ﴿كَرَماد اشـتَدَّتْ به الرِّيح﴾ ﴿كمثل صـفوان عليه تراب﴾ ﴿جداراً يريد أن ينقضّ﴾ ﴿واسأل القـرية الَّتى كنَّا فيها والعير التى أقـبلنا فيها﴾

﴿فلمّا تجلى ربه للجبل﴾ فلم تزل الصوفية فى نظرها واعتبارها على هذا المنهج فلنلخص لك ولنقرب عليك كيف تنظر العالم فى الإنسان على ما تقدم، وذلك أن تنظر إلى ما خرج عنك من الموجودات فإذا وقعت عينك على موجود مّا فاطلب الصفة التى غلبت على ذلك الموجود حتى شربها وإذا عرفت تلك الصفة التى أنبأت عنه ودلت عليه فإمّا صفة نفسية له وإمّا صفة غالبة عليه ثمّ تنظر تلك الصفة بعينها فتجدها فى الإنسان لا محالة فتطلق على الإنسان عند مشاهدة تلك الصفة اسم الّذى هو صفته مثل البلادة التى هى غالبة على الحمار دون غيره من الحيوان فنقول فى الإنسان حماراً إذا رأيناه بليداً أو أسداً إذا رأيناه شديداً طالبَ الافتراس ومثل هذا النظر أيضًا فى الأسرار الشريفة مثل أنْ تنظر إلى الشمس والقمر فتجعل الشمس للروح والقمر للنفس وذلك أن النفس ذات كمال ونقص على حسب ما يرد فى داخل الكتاب فكمالها بالعقل والعلم ونقصها بالجهل والشهوات وكما أنّ نقص القمر قد يكون سببه فى الكسوف الأرض وهو الأسفل من العالم كذلك نقص النفس إنما هو من ارتكاب الشهوات ومَحلّها أسفلُ سافلين، وكما أشرقت الأرض بنور الشمس، كذلك أشرقت الأجسام بنور الروح فكشفت الأشياء على ما هى عليه إلى أمثال هذا ممّا يطول ذكره.

قال المؤلف: ولمّا أردنا أن نأخذ فى مقابلة النسختين العالم الأكبر والأصغر على الإطلاق فى جميع الأسرار العامّة والخاصّة رأينا أنّ ذلك يطول وغرضنا من العلوم ما يوصل إلى النجاة فى الآخرة إذ الدنيا فانية داثرة فعدلنا إلى أمر يكون فيه النجاة ويتمشى معه المراد الّذى بنينا عليه كتابنا وهو أنّا نظرنا الإنسان فوجدناه مكلفًا مسخراً بين وعد ووعيد فسعينا فى نجاته ممّا توعد به وتخليصه لما وعد الله فاضطرنا الحالُ فى إقامة القسطاس عليه من العالم الأكبر فقلنا أين ظهرت الحكمة من الخطاب والوعد والوعيد من العالم الكبير فرأينا ذلك فى حضرة الأمر والنّهى وحضرة الإمامة ومقر الخلافة فوجدنا الخليفة شاهداً فيه ظهرت الحكمة وآثار الأسماء وعلى يديه تنفعل أكثر المكونات

المخلوقة للبارى تعالى فتقصينا الأثر وأمْعنَّا النظر فى حظّ الإنسان من هذه الحضرة الإمامية فوجدنا فى الإنسان خليفةً ووزيراً وقاضيًا وكاتبًا وقابض خراج وجبايات وأعوانًا ومقابلة أعداء وقتلاً وأسراً إلى أمثال هذا ممّا يليق بحضرة الخلافة التى هى محل الإرث وفى الأنبياء انتشرت رايتها ولاحت علامتها وأذعن الكلّ لسلطانها ثم خفيت بعد الأنبياء عليهم السلام فلا تظهر أبداً إلى يوم القيامة عمومًا لكن قد تظهر خصوصًا فالقطب معلوم غير معيَّن وهو خليفة الزمان ومحلّ النظر والتجلى، ومنه تصدر الآثار على ظاهر العالم وباطنه وبه يرحم الله من يرحم ويعذب من يعذِّب وله صفات إن اجتمعت فى خليفة عصر فهو القطب وعليه مدار الأمر الإلهىّ وإن لم تجتمع فهو غيره ومنه تكون المادّة لملك ذلك العصر وهذا كله فى الإنسان موجود ونحن إن شاء الله نوردُه فى هذا المجموع أحْسَنَ إيراد مختصراً كافيًا مقنعًا والله ينفع العبد بما قصد ويسلك به الطريق الأقوم الأسد والله أعلم.

مقدمة الكتاب

التصوفُ صافاك الله أمْره عجيب وشأنه غريب وسرُّه لطيف ليس يمنح إلا لصاحب عناية وقدم صدق له أمور وأسرار غطى عليهن إقرار وإنكار وسقنا هذه المقدمة توطئة لعلوم التصوف على الإطلاق فإنّ الإنكار عليه شديد والشيطان المخالف له مريد على أنّا ما سقنا من هذه العلوم فى هذا الكتاب إلا النَّذر اليسير فى آخره وإشارات تتخلله فسقنا هذه المقدمة لتلك الإشارات ومن أراد أن يقف من تواليفنا على جلّ أسرار هذه الطريقة الشريفة فليطالعْ كتاب مناهج الارتقاء إلى افتضاض أبكار البقاء المخدَّرات بخيمات اللقاء وبنيناه على ثلاثمائة باب وثلاثة آلاف مقام كلّ باب عشرة مقامات كلها أسرار بعضها فوق بعض فرجونا وفقك الله فى سياق هذه المقدمة فى هذا الكتاب التى هى كالعلاوة عليه أن يقفَ عليه السالك ابتداء فيكون له عصمة من الإنكار على كلام أهل هذه الطريقة وما يقف عليه فى داخل الكتاب فيقعُ منه التسليم فربما يفتح له قفلُ السرّ الّذى وقف عنده وسلّمه فهذا ما أوردناه جَعَلَنا الله ممَّنْ حسن إسلامه وسلّم ما لم يبلغه، آمين بعزّته.

فاعلم شرح الله سبحانه صدْرك أنّ مبنى هذا الطريق على التسليم والتصديق حتّى قال بعض السادة القادة: لا يبلغ الإنسان درجَ الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق أنّه زنديق ثمّ يؤيد قول هذا السيّد بقول الشريف الرضىّ حفيد علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه، شعر:

إنّى لأكتمُ منْ علْمى جواهرهُ
كىْ لاَ يرَى الحقَّ ذو جَهْلٍ فيفتتنَا
فقد تقدّم فى هذا أبو حَسَنٍ
إلى الحُسين ووصى قبلهَ الحَسنَا
يَا ربَّ جوْهَر علْم لوْ أبوحُ به
لقيل لى أنت ممَّنْ يعْبد الوثَنا

ولاستَحَلَّ رجال مسلمون دَمى

يَرَونَ أقبَحَ ما يأتونه حَسَنَا

فاشترط فى إنكار هذا العلق النفيس رجالاً سمّاهم مُسلمين قد وقعوا مع التخيل والتلبيس وكيف لا ينكر هذا الطريق وهل يبقى أثر للباطل عند ظهور الحق ﴿فماذا بعد الحقّ إلاّ الضلالُ﴾ ﴿وقلْ جاء الحق وزَهق الباطلُ﴾ وقال الشاعر:

ألم تَرَ أنّ الله أعْطاك سورةً

تَرَى كلَّ مَلْك دُونها يَتَذَبذَبُ

بأنّك شَمْس والمُلوكُ كَواكبُ

إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهنّ كَوكَبُ

﴿قل الله ثمَّ ذرهمْ فى خَوضهم يلعبون﴾ حسنات الأبرار سيئات المقربين إنّه ليغانُ على قلبى فأستغفر الله فى اليوم مائة مرة، فانظر هذين الشيئين فى عالم الحسّ الداخل تحت ذل الحصر فكيف بعالم الملكوت فكلّ من تكلم من غير هذا المقام فإنه صاحب أضغاث أحلام ألم ترَ إلى قول الجنيدْ إنّ المحدث إذا قُورن بالقديم لم يبق له أثر وشتّان بين مرء ينطق عن درسه ونفسه وبين مَنْ ينطق عن ربّه ﴿ومَا ينطق عن الهَوى﴾ فإياك وطلبَ الدليل من خارج فتفتقرَ إلى المَعارج واطلبه من ذاتك لذاتك تجد الحقَّ فى ذاتك أرأيتَ لمّا ثبتَت نبوة رسول الله ﷺ واستقر فى نفوس العقلاء أنّه ﷺ ينطق عن الله تعالى لا عن هوى نفسه كيف دخلوا فى رقّ الانقياد والتسليم وتصرفت عليهم وظائف التكليف ولم يسألوا ما الدليل ولا ما العلة، ولقد كان الصَّحابة يسألونه عن الأشياء حتى نهوا عن ذلك فى قوله تعالى ﴿يأيُّها الَّذينَ آمنُوا لاَ تَسألوا عنْ أشياءَ إنْ تُبدَ لكمْ تَسؤكمْ﴾ فقال الصحابى نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ فإن تعرّض لك أيّها الأخُ المسترشدُ من ينفرك عن الطريق فيقول لك طالبهم بالدليل والبرهان. يعنى أهل هذه الطريقة فيما يتكلمون به من الأسرار الإلهيّة فأعرض عنه وقل له مجاوبًا فى مقابلة ذلك ما الدليل على حلاوة العسل ما الدليل على

لذّة الجماع وأشباههما وخبرنى عن ماهية هذه الأشياء فلا بدّ أن يقول لك هذا علم لا يحصل إلاّ بالذّوق فلا يدخل تحت حدّ، ولا يقوم عليه دليل فقل له وهذا مثل ذلك ثم اضرب له مثالاً آخرَ وقل له لو كان لك دار بنيتها بيدك وما اطلع عليها أحد غيرك ففشا ذكرها واتّصل بأسماع الناس خَبرها ثمّ اصطفيتَ أحداً من خواصّك فأدخلته إياها حتّى عاينها وأحاط بما أطلعته منها عليه وهو بمرأى الناس عند إدخالك إيّاه ثم خرج إليهم وقعد يصف لهم ما رأى فيها هل يصحّ أن يقال له ما الدليل فى ذلك المقام على ما تذكره أنّها على هذه الصفة هذا لا يصحّ ولو طالبه أحد بذلك حمقه الناسُ وسخفوه وقالوا هذا شىء لا يقوم عليه دليل غايتنا أن رأينا رجلاً أَدْخله صاحب الدار وخرج فوصف ما رأى فمن حَسَّن الظن به وثبتت عنده العدالة صدَّقه فى قوله ومن لم فلا يلزمه ذلك ولا يحسن من أحد أن ينكر عليه مقالته فإذا أردت أن تقف على ما ادعاه هذا الداخل فارغب إلى صاحبها يدخلك إياها فتشاهد ما شاهد ليس غير ذلك فكذلك يا أخى هذا العلم السنى الذى هو نتيجة التقوى إذا رأينا رجلاً قد اتقى الله سبحانه ووقف عند حدوده واتصف بالزُّهد والورَع وأشباه ذلك ثمّ نطق بعد هذا بعلم لا تسعه عقولنا وَهبه الله سبحانه إيّاه فالواجب علينا التسليم والتصديق فيما ادّعاه وتحسين الظنّ به وتَرْك الاعتراض عليه فإنّ الله تعالى قد يخص منْ يشاء من عباده بما شاء من علومه كما قال ﴿يؤتى الحكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ وقال ﴿وعلّمناه منْ لدنّا علمًا﴾ ومسألة موسى والخضر عليه السلام فيها مقنعٌ أعنى فى الاختصاص ﴿لا يُسأل عمّا يفعل وهم يسألون﴾ هل صدر قطّ أو سمع عن الصحابة أنّهم سألوا النبى ﷺ ما العلة على أن الظُّهر أربع والمغرب ثلاث؟ ولِمَ أُسرَّ فى بعضٍ وجُهر فى بعضٍ ما سمعنا بهذا وإنّما لم يكن ذلك لأنّه قد ثبتت عصمته وبان صدقه وعُلم أنّه لا ينطق عن نفسه فمهما رأيناك تطلب الدليل على من وَرثه ولازَمَ التقوى الذى يدلّ على صحة علمه كدلالة المعجزة على صدق الرسول علمنا أنّ صفة الصدق ما استقرت لديك ولا تبدت قطّ إليك فسلم إليهم أحوالهم ولا تنكر عليهم أقوالهم ﴿وقل رب

زدْنى علمًا﴾ عَسى الله أن يفتح لك بابًا من عنده من ذلك، ولا تنكر عليهم وفقك الله النطق بالغيب مع إيمانك بالمثال المحسوس الذى نصب الله لك إنّ المرآة إذا صقلت وجلى عنها الصّداء وتجلت صورة الناظر فيها أليس يرى نفسه حسنًا أم قبيحًا فإن جاء أحد خلفه تجلت صورته فى المرآة، فعندما نظر إليها قال للحاضرين معه خلفى إنسان أو شىء على صورة كذا وكذا حتى يستوفى ما رأى وهو لم يرهَ بعينه الرؤية المعهودة والتصديق بهذا واجب فإنه محسوس كذلك المعقول نظير المحسوس فيعْمد الإنسان إلى مرآة قلبه فيجلوها من صَداه الأغيار ويميط عنها كلَّ حجاب يحجبها عن تجلى صور المعقولات والمغيبات بأنواع الرياضات المجاهدات فإذا صفت وتجلت تجلى فيها كلُّ ما قابلها من المغيبات فنطق عمّا شاهد ووصف ما رأى ﴿مَا كذَبَ الفؤاد مَا رأى﴾ وهذا مثال على التقريب ولولا التطويلُ لتكلمنا على ضروب المُكاشفة وأصنافها لكن يكفى هذا القدر فمن أراد أن يقف على أنواعها على الكمال من تواليفنا فليقف على جلاء القلوب ثمّ يا ليت شعرى طالب الدليل على هذا العلم المشاهد هل أحاط علمًا بمعانى الكتاب والسنّة حتّى يقال له هو مثل كذا هل أحاله دليل العقل فغاية العاقل الّذى حصل له عقلُ التكليف ووقف عند أحكامه من واجب وجائز ومستحيل أن يجعل ما نطق به هذا الصوفىّ من قبيل الجائز وإنّما صار واجبًا عندهم لا من حيث نفسه إلاّ من حيث العلم القديم بأنه سيكون فإذا أتى هذا الصوفى بالجائز أو بموافقات العقول إذ النبوة والولاية فوق طور العقل فالعقل إمّا يقف أو يجوز لأنّه ما أتى بشىء يهدّ به ركنا من أركان التوحيد ولا ركنًا من أركان الشريعة فما جرم المستمع له فى معرض الإنكار إلا قلّة التصديق فالصفة راجعة إليه والصوفى منزّه عمّا نسبَ إليه فدراك يا أخى دَراك قبلَ حلول الهلاك، ويموت الإنسان على ما كان عليه، ويُحشر على ما مات عليه، وحذار حذار من فوات هذه الأسرار والاستضاءة بهذه الأنوار فافترش أيها الطالب الحبيب بساط التسليم واخرج بالحرية عن رقّ الإنكار واقعد على كرسىّ الفكر وأفرغ عليك حلة المجاهدة واجعل على رأسك تاج

الموافقة والمساعدة وانظر النطق من غير محلّ الخطاب تجده الحق وانظر المستمع تجده مستمعًا مسمعًا مخاطبًا مخاطبًا فإذا كان هو المتكلم والمكلم المستمعَ والمسمع فأنت عدم وإن كنت موجوداً كما أنت حاضر وإن كنت مفقوداً ولذلك أشار ﷺ مخبراً عن ربّه ولا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتّى أحبّه فإذا أحبَبْته كنت سمعه وبصره فمن يكن الحقُّ سمعه وبصره فكيف يخفى عليه شيء ومن كان الحق لسانه كيف ينتهى كلامه فتحقق هذه المقدّمة وقف عندها ترشد وتحمد عاقبة أمرك فوفر دواعيك وفقك الله لما نورده عليك فى هذا الكتاب والله ينفعنا وإياك بالعلم ويجعلنا من أهله آمين بعزّته.

لمّا فرغنا من هذه المقدّمة والتمهيد رأينا أن نقدم فصلاً فى فهرست الكتاب رغبة فى التّيسير لمن أراد أن يقف على سرّ معين منه فينظر بابه فى الفهرست فيسهُل عليه مَطْلبُه.

فصل فى فهرست الأبواب:

١٢- فى السُّفراء والرسل والموجهين إلى الثائرين بمدينة البدن.

١٣- فى سياسة الفؤاد والأجناد ومراتبهم.

١٤- فى سياسة الحروب والمكايد وترتيب الجيوش عند اللقاء.

١٥- فى ذكر السرّ الذى يغلب به أعداء هذه المدينة والتنبيه عليه.

١٦- فى ترتيب الغذاء الجسمانىّ والروحانىّ على فصول السَّنَة لإقامة هذا الملْك وبقائه.

١٧- فى خواص الأسرار المودعة فى الإنسان وكيف ينبغى أن يكون السالك فى أحواله.

وفى هذا الباب أودعت مضاهاة نفس الإنسان حضرة البارى تعالى وهو على خمسة أبواب.

١- كيف إفاضة العقل نور اليقين على ساحة القلب.

٢- فى الحجب المانعة من إدراك عين القلب الملكوتَ.

٣- فى اللوح المحفوظ الّذى هو الإمام المُبين ولوح المحو والإثبات.

٤- فى أسباب الزفرات والوجبات والتحرك عند السَّماع.

٥- فى الوصية للمريد السالك وهو على فصول وبه ختم الكتاب فجميع أبواب هذا الكتاب أحد وعشرون بابًا نذكرها إن شاء الله فى داخل الكتاب على ما هى عليه فى الفهرست وهذا حين ابتداء وبالله أستعين.

بسم الله الرحمن الرحيم عَونُك اللّهُمَّ يا معينُ،،،

الباب الأول

فى وجود الخليفة الّذى هو مَلك البدن وأغراض الصوفيّة فيه وتعبيرهم عنه وهو الروح الكلىّ

قد نبّه الله سبحانه عليه فى قوله تعالى ﴿وإذ قَالَ ربُّكَ للمَلائكة إنِّى جاعل فى الأرضِ خَلِيفةً﴾ واعتباره فى العالم الأصغر استخلاف الروح فى أرض البدن قد قدّمنا فى صدر هذا الكتاب قصدنا فيما أشرنا إليه وعزمنا على إخراجه فى هذا المجموع ومهدّناه مخافة الطَّعن من النُّقاد العمى الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرَةِ هم غافلونَ، وأعربْنا عن حقيقة ما أرَدْنا حتّى لا يجد الناقد إليه مساغًا فنقول على بركة الله ﴿والله يقول الحقَّ وهو يهدى السَّبيل﴾ كان سبب تأليفنا لهذا الكتاب أنّه لمّا زرتُ الشيخ الصالح أبا محمّد الموروري بمدينة سورور وجدتُ عنده كتاب سرّ الأسرار صنفه الحكيم لذى القرنين لمّا ضعف عن المشى معه فقال لى أبو محمّد هذا المؤلف قد نظر فى تدبير هذه المملكة الدُّنيويّة فكنت أريد منك أن تقابله بسياسة المملكة الإنسانيّة الّتى فيها سعادتُنا فأجبتُه وأودعت فى هذا الكتاب من معانى تدبير الملك أكثر من الذى أودعه الحكيم وبيّنت فيه أشياء أغفلها الحكيم فى تدبير الملك الكبير وعلّقته فى دون الأربعة الأيّام بمدينة موردور ويكون جرم كتاب الحكيم فى الربع أو الثلْث من جرم هذا الكتاب فهذا الكتاب ينتفع به خادم الملوك فى خدمته وصاحب طريق الآخرة فى نفسه وكلٌّ يحشر على نيته وقصده والله المستعان.

اعلم نوّر الله بصيرتك أنّ أوّل موجودٍ اخترعه الله تعالى جوهر بسيط روحانى فرد غير متحيز فى مذهب قوم ومتحيز فى مذهب آخرين على حسب ما يرد الكلام على ماهيته فى الباب الثانى من هذا الكتاب إرادةً واختياراً ولو شاء سبحانه لاخترع موجودات متعددةً دفعة واحدة خلافًا لما يدّعيه بعض

الناس من أنّه لا يصدر عن الواحد إلاّ واحد، ولو كان هذا لكانت الإرادة قاصرة والقدرة ناقصة إذ وجود أشياء متعددة دفعة واحدة ممكن لنفسه غير ممتنع والممكن محلّ تعلق القدرة فإن ثبت أنّ أوّل موجود واحد فاختيار منه تعالى وعبر أهل الحقائق عن هذا الخليفة بعبارات مختلفة لكلّ عبارة منها معنى فمنهم من عبر عنه بالإمام المُبين ومنهم من عبر عنه بالعرش ومنهم من عبر عنه بمرآة الحقّ إلى أشباه ذلك فلنذكر الآن تعبيرهم عنه ولأى معنى خصوه بتلك العبارات على حسب ما ظهر من الاعتبار فى صفاته التى وهبه الله تعالى وخصه بها.

فصل: ذكر القوم منهم الإمام أبو حامد الغزالى رضي الله عنه أنّ هذا الخليفة الّذى هو الروح من عالم الأمر وليس من عالم الخلق اصطلاحًا واحتجوا بقوله تعالى ﴿قل الرُّوح مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ وجعلوا «من» هنا للتبيين وأرادوا بعالم الأمر كل من صدر عن الله بلا واسطة إلاّ بمشافهة الأمر العزيز وهو السبب الثانى بالإضافة إلى الوجود المطلق والسبب الأوّل بالإضافة إلى الوجود المقيَّد فهو أوّل فى المبدعات وعالم الخلق كلُّ موجود صدر عن سبب متقدم من غير مشافهة الأمر التى هى الكلمة قال الله تعالى ﴿ألا له الخلقُ والأمرُ تَبارَكَ الله رب العالمينَ﴾ إشارة إلى أنّه سيّدُ العالم وخالقه ومربيه فإذا تقرر هذا فلا مُشاحَّة فى الألفاظ إذا عرف حقيقة المعنى ﴿والله يقول الحقَّ وَهُوَ يَهدِى السَّبِيلَ﴾.

العبارات المصطلح عليها:

قال المؤلف: فأمّا ما أطلق عليه بعضُ المحققين من أهل المعانى المادّة الأولى فكان الأولى أن يطلقوا عليه الممدّ الأوّل فى المحدثات لكنهم سمَّوْه بالصفة الّتى أوجده الله تعالى لها وهذا ليس ببعيد أن يسمى الشىء بما قام به من الصفات وإنّما عُبِّر عنه بالمادّة الأولى لأنّ الله تعالى خلق الأشياء على ضربين منها ما خلق من غير واسطة سبب وجعله سببًا لخلق شىء آخَرَ والاعتقاد الصحيح أنّه تعالى يفعل الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب خلافًا لمخالفى أهل الحقّ والّذى يصحّ أنّ أوّل موجود مخلوق من غير سبب متقدم ثمّ صار سببًا لغيره ومادّة له ومتوقفًا ذلك الغير عليه على العقد الذى تقدم

كتوقف الشبع على الأكل والري على الشُّرب عادة وكتوقف العالم على العلْم والحيّ على الحياة عقلاً وأمثال هذا وكتوقف الثواب على فعل الطاعة والعقاب على المعصية شرعًا فلمّا لحظوا هذا المعنى سمّوه المادةُ الأولى وهو حسن ولا حَرَجَ عليهم في ذلك شرعًا ولا عقلاً.

وعبّر عنه بعضهم بالعرش والّذي حملهم على ذلك أنّه لما كان العرش مُحيطًا بالعالم في قولٍ أو هو جملة العالم في قول آخَرَ وهو مَنْبعُ إيجاد الأمر والنّهي ووجدوا هذا الموجود المذكور آنفًا يشبه العرش من هذا الوجه أعني الإيجاد والإحاطة فكما أنّ العرش محيط بالعالم وهو الفلك التاسع في مذهب قوم كذلك هذا الخليفة محيط بعالم الإنسان ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿الرَّحْمنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ في معرض التمدُّح فلو كان في المخلوقات أعظَم منه لم يكن ذلك تمدحًا.

سرّ للخواصّ: لكن هنا سرّ نرمزه ليلتذ به صاحبه إذا وقف عليه وهو قوله تعالى ﴿الرَّحمنُ عَلَى العرْش استَوى﴾ فالعرش المذكور في هذه الآية مستوى الرحمن وهو محل الصفة، والخليفة الذى سميناه عرشًا حملاً على هذا مستوى الله جل جلاله فبين العرشين ما بين الله والرحمن وإن كان ﴿أيّا ما تَدْعواْ فَله الأسْمَاء الحسنى﴾ فلا خفاء عند أهل الأسرار فيما ذكرناه وحدّ الاستواء من هذا العرش المرموز قوله ﷺ إن الله تعالى خلق آدَمَ على صورته فالعرش الحامل للذات والمحمول عليه للصفة فتحقّقْ أيها العارف وتنبَّه أيّها الواقف وانعم أيّها الوارث ﴿والله يقول الحقَّ وهو يهدى السَّبيلَ﴾.

وعبر عنه بعضهم بالمعلم الأوّل والّذى حملهم على ذلك أنّه لمّا تحققتْ عندهم خلافته وأنّه حامل الأمانة الإلهية ونسبته من العالم الأصغر نسبة آدَمَ من العالم الأكبر وقد قيل في آدم ﴿وَعَلمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ كذلك هذا الموجود ثمّ خاطب الملائكة فقال ﴿أنبئونى بأسْماء هؤلاء إنْ كُنْتُمْ صَادقينَ * قَالوا سبحانكَ لاَ علْم لنَا إلاَّ مَا عَلَّمتنَا﴾ فأمر الخليفة أن يعلمهم ما لم يعلموا فأمرهم الله سبحانه بالسجود لمعلمهم سجود أمر كسجود الناس إلى الكعبة وتشريف

لا سجودَ عبادة نعوذ بالله لا أشرك به أحداً فيكون فى هذا العالم الإنسانى ثمرةُ السجود لا نفس السجود وإنّما هو التـواضع والخضوع والإقرارُ بالسبق والفخر والشرف والتقدم له كتواضع التلميذ لمـعلّمه وإذا حصل موجود فى مقام تتعلم منه المـلائكة فأحرى من دونـهم وذلك تشريف من الله سـبحانه ودليـل قاطع على ثبوت إرادته يختصّ برحمته من عباده من يشاء.

سرّ للخواص: وهو حين أوقع الأسـماء هل عاين المسـمَّيات أم لا؟ وإلا كيف يصحّ إطلاق اسم من غـير مسـمي وهذا موضع نظر وفكر وسر السـجود هنا لا يمكن إيضـاحه وقـد ذكرناه فى مطالع الأنوار الإلـهية، فـأما هل عـاين المسـميات فـقد نبه على ذلك تعـالى بقوله ﴿بأسماء هؤلاء﴾ فالهـاء للإشارة والتنبيه ولا تقع الإشارة إلا على حاضر وإن كانت الإشارة فى هذا الطريق نداء على رأس البعد وبوحـًا بعين العلة فنقول إنّه عاين المسمَّـيات لكن على صورة مًّا وذلـك أنّه عاينهـا فى نفسـه من حيث إنه مـجمـوع أسرار العـالم ونسخـته الصغرى وبرنامـجه الجامع لفوائده وهذه فائدة الإشـارة بقوله تعالى ﴿هؤلاء﴾ فى حقنا.

وعبر عنه بعضهم بمرآة الحقّ والحـقيقة والّذى حملهم على ذلك أنهم لمّا رأوه موضع تجلى الحقائق والعلوم الإلهية والحكم الربانية وأنّ الباطل لا سبيل له إليها إذ الباطل هو العدم المحض ولا يصح فى العدم تجلّ ولا كشف فالحق كلّما ظهر فى الوجود وفى إيراد الشبهات المعارضة للأدلة يتّضح ما أردْنا.

سرّ للخواصّ: السبب الموجب لكونه مرآة الحقّ قوله ﷺ المؤمن مرآة أخيه والأخوة هنا عبارة عن المثليّة اللغويّة فى قوله تعالى ﴿ليسَ كمثْله شَىء﴾ وذلك عند بروز هذا الموجود فى أصفى مـا يمكن وأجلى ظهر فيه الحق بذاته وصفـاته المعنوية لا الـنفسيـة وتجلى له من حـضرة الجود وفى هذا الـظهور الكريم قال تعالى ﴿لقدْ خَلقْنَا الإنْسَـانَ فى أَحسَنِ تَقْويم﴾ فتـأمل هذه الإشارة فإنّه لُباب المعرفة وينبوع الحكمة.

وعبّر عنه الشـيخ العارف أبو الحكيم بن بَرَّجانَ بالإمام الـمُبين وهو اللوح

المحفوظ المعبَّر عنه بـ ﴿وكل شيء﴾ في قوله تعالى ﴿وكتبنا له في الألواح من كلِّ شيء﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿موعظة وتفصيلاً لكلِّ شيء﴾ وهو اللوح المحفوظ هذا دليل أبي الحكيم على تسميته كلَّ شيء والّذى حمله على ذلك قوله تعالى ﴿وكل شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مُبين﴾ ووجدنا العالم كلَّه أسفله وأعلاه محصى في الإنسان فسمّيناه الإمام المبين وأخذناه تنبيهًا من الإمام المبين الّذى عند الله تعالى فهذا حظُّنا منها فتدبَّره وتحققه.

سرّ للخواص: قال الله تعالى ﴿ما فرَّطنا في الكتاب من شيءٍ﴾ اعتباره الّذى هو الإنسان من شيءٍ يفصّل في العالم بأسره الإمام على الحقيقة المبين من كان كلُّ شيء مأمومًا به وهذا لا يصحّ في موجود ما لم يصحّ له المثلية اللغوية الفُرقانية فإذا صحت المثلية صحّ وجودُ الإمام وإذا صحّ وجود الإمام بطلت الإمامة في حق غيره و ﴿لو كان فيهما آلهة إلاَّ الله لفسدتا﴾ فإذا نظرنا في هذا الإمام المبين نظرنا بما استوجب الإمامة فوجدناه استوجبها بأسرار وصفات هو عليها فقلنا هي من نفسه أو من غيره فوجدناها أمانة بيده فقرأنا ﴿إن الله يأمُرُكم أن تؤدُّوا الأمانات إلى أهلها﴾ فلاحت لنا مرآةُ الحقّ المتقدمة فضربنا الإمام المبين في المؤمن مرآة أخيه فخرج لنا واحد في الخارج فسمّاه بعضهم مرآة الحقّ وبعضهم إمامًا فالإمام كتابي والمرآة سُنّيّة.

وعبّر عنه بعضهم بالمفيض وبه كان يقول شيخنا وعمادنا أبو مَدْين شيخ الشيوخ ﷺ أخبرني بذلك عنه غير واحد ممَّن أثق به، والّذى حملهم على ذلك أنّهم لمّا رأوا الأجسام بيوتًا مُظلمة وأقطاراً سوداً مدْمهلّة فإذا غشيها نور الروح أضاءت وأشرقت كالأقطار إن غشيها نور الشمس وبالضرورة نعلم أنّ النور الّذى في بغداد غير النور الذى في مكّة والنور الّذى في موضع مًا غير النور الذى في غيره، ثم نظرنا في السبب لوجود تلك الأنوار التى خلقها الله تعالى عنده لا به فوجدناه جسمًا كريًا نورانيًا يقال له الشمس فكلُّ موضع يقابلها من الأرض يخلق الله فيه نوراً يسمى شمسًا فكما تطلق على كل نور خُلق في الأرض في مقابلة الشمس شمسًا ليس يبعد ولا يمنع أن تطلق على كل نور

أضاءت به أرض الأبدان روحًا وكما يختلف قبول الأماكن لهذا النور لاختلافها فلا يكون قبول الأجسام الصقيلة للنور كقبول الأجسام الدَّرِنَة كذلك يختلف قبول أماكن الأبدان لفيضان الروح لاختلافها فلا يكون قبول البهيمة لفيضانه كقبول الإنسان ولا قبول الإنسان كقبول الملك فلو سمينا الشمس المفيضة صدقنا وحقيقة الإفاضة فى الماء وهو مجاز فى غيره ونسبة هذه الأرواح عندهم إلى الروح الكلىّ كنسبة ولاة الأمصار إلى الإمام ولذلك يثابون إن عدلوا ويعاقبون إن جاروا.

سرّ للخواص: قال الله جل ثناؤه وتقدّست أسماؤه ﴿وأشرقَت الأرضُ بنور ربِّهَا﴾ اعتبار الربوبيّة هنا سيادة المعلّم الأوّلى وتربيتُه وتأثير سَبَبيته وهو المرجوع إليه فى قوله تعالى على طريق التنبيه ﴿يَأيتها النَّفسُ المُطْمَئنَّة * ارجعى إلى ربِّكَ﴾ ونور هذا الربّ المنبَّه عليه هو الروح الحيوانىّ الذى به يشترك البهيمة والإنسان فاعتبار الموت فيه بحجاب الغمام واعتبار النوم بغروب الشمس واعتبار الغفلة بالحجاب الهلالىّ ثمّ قد يغيب الإمام ويبقى الوزير بدله يفيض على المملكة كالقمر ليلاً وليس كفيضان الإمام وكالفيض مادّة الوزير وفيضانه إن فيض بالنظر إلى النفس النباتيّة وهى الحجاب لمادّة النفس المطمئنة، وقد يضيئان، أعنى الإمام والوزير فتبقى الفقهاء نجوم الأحكام فلا يستطيعون إفاضةً لقهر النفس الحيوانية البهيميّة والنفس السبعية واستيلاء سلطانها فتأمل هذا السر تدرك الحكمة الإلهية.

وعبّر عنه بعضهم بمركز الدائرة والذى حملهم على ذلك أنّهم لمّا نظروا إلى عدل هذا الخليفة فى ملكه واستقامة طريقته فى هباته وأحكامه وقضاياه سمَّوه مركز دائرة الكون لوجود العدل به وإنّما حملوه على مركز الكرة نظراً منهم إلى أنّ كلّ خطّ يخرج من النقطة إلى المحيط مساويًا لصاحبه رأوا ذلك غاية العدل فسمَّوه مركز الدائرة لهذا المعنى.

سرّ للخواص: وذلك أنّ نقطة الدائرة أصل فى وجود المحيط ومهما قدِّرت كرةً وجوداً أو تقديراً فلا بدّ أن تقدّر لها نقطة هى مركزها فلا يلزم من

وجود النقطة ووجـود المحيط ووجود الفـاعل من هذه الدائرة رأس الضابط، ولا دائرة فى الوجود كان الله ولا شىء معه، وفخذاه يداه المبسوطتان جوداً أو إيجاداً والفخذ المختصة بالنقطة يد الغيب والملكوت الأعلى والفخذ المختصة بالمحيط يد عالم الملك والشهادة فالواحدة للأمر والأخرى للخلق ﴿والله بكل شئْء محيط﴾ ﴿وقد خلـقتك من قـبلُ ولمْ تك شيـئًا﴾ فيد المركـز معراة عن الحركـة القاطعة للأحيـاز ويد المحيط مـتحركة فـتأمل نَورَ الله بصيـرتك لهذه الإشارات فقد مُهِّدَ لك السبيل.

قال المؤلف ولو تقـصيت آثاره وتتبَّعْت خصـائصه وأطلقت عليه من ذلك ألقابًا لما وسـعها ديوان فاقتصرنـا فى هذا الإيجاز على هذا القدر، لندلّ بذلك على شرفه واجتبائه من بين سائر المحدثات.

الباب الثانى

فى الكلام على ماهيّته وحقيقته

اختلف العلماء فى هذا الروح الّذى عبَّرنا عنه بالخليفة فمنهم منْ قال إنّه جوهر فرد متحيز وزعموا أنّه خلاف الحياة القائمة بالجسم الحيوانى وأنّه حامل الصفات المعنويّة وزعم قوم أنّ الإدراكات مختصة بمحالها ولكن الله تعالى قد ربط وجودها فى الجسم وبقاءها ببقاء الروح فإذا فارق الروح الجسدَ ذهبت الإدراكات لذهابه، وزعم قوم أنّه جسم لطيف متشبث بأجزاء البدن متحللها كتحلل الماء الصُّوفة وأنّه ليس له محلٌ من الجسم يخصه وقال عبد الملك بن حبيب إنّه صورة لطيفة على صورة الجسم لها عينان وأذنان ويدان ورجلان فى داخل الجسم يقابل كلُّ عضو وجزء منه نظيره من البدن وهؤلاء كلهم أحالوا أن يكون عرضًا فقيل لهم وما المانع من ذلك فقالوا لم يكن يبعد عندنا ذلك لنفسه لكنّ السمع منه من ذلك فى قوله إنّ الأرواح تتنعّم وتتعذّب وأنها باقية وهاتان الصفتان ليستا من صفة العرض فإنّ النعيم يؤدى إلى قيام المعنى وهذا محال عقلاً عند أكثر العقلاء والشرع ليس يأتى بالمحال والحديث الثانى فى بقائها يناقض دليل العقل لو كان عرضًا استحال بقاؤه لاستحالة بقاء الأعرض فإنها تتجدد فى كلّ زمان ولكان للحيوان على هذا القول أرواح متعدّدة بعدد أزمانه المارّة عليه وهذا كله باطل والّذى زعم أنّه ليس بجوهر دليله على ذلك تماثل الجواهر فلو جاز أن يكون جوهر واحد روحًا لكان كلّ جوهر روحًا وقد قام الدليل على بطلان هذا فى مسألة العقل فإن الّذى زعم أنّ الروح جوهر أحال أن يكون العقل جوهرًا للتماثل وإذا بطل أن يكون جوهرًا بطل أن يكون جسمًا لأنّ الجسم جوهران فصاعداً وزعم قوم أنه جوهر محدث قائم بنفسه غير متحيز وهو من أحد أقوال الإمام أبى حامد الغزالىّ فيه المنسوبة إليه وأنّه لا

داخل الجسم ولا خارج عنه ولا متصل له ولا منفصل عنه وذلك لعدم التحيز الذى يكون به التصرُّف فى الجهات وهو الشرط المصحح للاتصال والانفصال واعتُرض عليهم بأنّه لا يخلو عن الشىء أو ضده إن كان له ضدّ فقالوا يعرى عنهما إذا كان وجود كل واحد منهما له مشروطًا بشرط فمتى انعدم الشرط انعدم المشروط والشرط المصحح للاتصال والانفصال التحيُّز وقد انعدم فى حق هذا الموجود كما تقول فى الجماد لا عالم ولا جاهل ولا ضدّ من أضدادهما فإنّ الشرط المصحح لقيام العلم أو أضداده بالجسم إنّما فى الحياة ولا حياة فى الجماد فقيل لهذا وما المانع أن يكون عرضًا فاستدل بدليل من قال إنّه جوهر وأبطل أن يكون عرضًا فقيل له فهو جوهر فاستدل بدليل منْ قال إنه عرض فأبطل أن يكون جوهرا مع اعتقاد حصر المحدثات فى جوهر متحيز وعرض ثم قال لهم قد أبطل أن يكون جوهراً وبطل أن يكون عرضًا ومتحيزاً أو قائمًا بمتحيز وهو موجود وليس هو الله سبحانه فقد بطل حصركم ولاح موجود خامس وهو ما ذكرناه على الوصف الذى ادّعيناه قلنا ولم نرجح أحد هذه الأقوال مع العلم أنّ الحقّ فى أحدها لقول القائل:

إنّ الخليفة قد أبى

وإذا أَبَى شيئًا أَبَيْتُهْ

لكن قد ذكرنا ذلك فى غير هذا الكتاب قلنا فلمّا أوجد هذا الخليفة على حسب ما أوجده قال له أنت المرآة وبك ننظر إلى الموجودات وفيك ظهرت الأسماء والصفات أنت الدليل علىّ، وجّهتك خليفة فى عالمك تظهر فيهم بما أعطيتك تمدُّهم بأنوارى وتغذيهم بأسرارى وأنت المطالب بجميع ما يطرأ فى الملك.

استدراك: قلنا: هذا خلاف لا يضرّ ولا يهدّ ركنًا من أركان الشريعة إذ قال كلّ واحد على مذهبه فيه إنّه محدَث وإذا كان هذا فهو المراد والله يوفّق الجميع.

الباب الثالث

فى إقامة مدينة الجسم وتفصيلها من جهة كونها مُلكًا لهذا الخليفة

اعلم أن الله سبحانه لمّا أوجد هذا الخليفة الّذى ذكرناه آنفًا بنى له مدينة يسكنها رعيته وأرباب دولته تسمّى حضرة الجسم والبدن وعيّن للخليفة منها موضعًا إمّا أن يستقر فيه على مذهب من قال إنه متحيز أو يحلّ فيه على قول من قال إنّه قائم بمتحيز وإمّا أن يكون ذلك الموضع المعين له موضع أمره وخطابه ونفوذ أحكامه وقضاياه على من أثبته غيرَ متحيز ولا قائمًا بمتحيز فأقام له سبحانه مدينة الجسم على أربعة أعمدة وهى الإسطقسات والعناصر وسمّى سبحانه الموضع المعين للخليفة منه القلب وجعله مَسكنَ الخليفة أو موضع أمره على ما ذكرنا من الخلاف وقال قوم إنّ موضعه الدماغ والأظهر عندى من طريق التنبيه والاستقراء لا من جهة البرهان أنّه القلب شرعًا لقوله ﷺ مخبراً عن ربّه ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن وقال إنّ الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وذلك أنّ المستخلِف إنّما نظرهُ أبداً إلى خليفته ما يفعله فيما قلده والله سبحانه قد استخلف الأرواح على الأجسام وممّا يؤيد ما ذهبنا إليه قوله تعالى ﴿**ولكن تعْمى القلوب التى فى الصدور**﴾ وليست الإشارة للقلب النباتى فإنّ الأنعام يشاركوننا فى ذلك لكن للسرّ المودع فيه وهو الخليفة والقلب النباتى قصره وقال ﷺ إن فى الجسد مضغةً إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهى القلب فالقلب النباتى لا فائدة له إلاّ من حيث هو مكان لهذا السرّ المطلوب المتوجه عليه الخطاب والمجيب إذا وَردَ السؤال والباقى إذا فنى الجسم والقلب النباتى.فنقول كذلك إذا صلح الإمام صلحت الرعيّة وإذا فسد فسدت، بذا جرت العادة وارتبطت الحكمة الإلهيّة.

سرّ فساده وصلاحه المرتبط بصلاح الرعيّة وفسادها سبب ذلك أنّ الله تعالى إذا ولّى خليفة قومًا فإنّه يعطيه أسرارهم وعقولهم فيكون إذ ذاك مجموع رعيته فمتى خانهم فى أسرارهم وعقولهم ظهر ذلك عليهم وإن اتقى الله فى ذلك ظهر ذلك عليهم وقد تكون أسرار رعيته حين تُعطاه رذلة ناقصة ولهذه الإشارة مثل ما تكونون يولى عليكم فإن غلب عليها صلاح الإمام صلحت وظهر آثار ذلك فى الرعية وأرباب الدولة تمشية غيبية إلهيةً يجدها الإنسان فى نفسه بعد أن لم تكن ولا يدرى من أين وردت عليه ولا كيف حصلت له، فهذا سرّ قوله ﷺ إذا صلحت صلح لها سائر الجسد.

قال المؤلف: ثم بنى له متنزهًا مشرفا عجيبًا عاليًا فى أرفع مكان فى هذه المدينة سمّاه الدماغ وفتح له فيه طاقات وخوخات يشرف منها على ملكه وهى الأذنان والعينان والأنف والفم ثم بنى له فى مقدم ذلك المتنزّه خزانة سمّاها خزانة الخيال جعلها مستقر جباياته وموضع رفع ولاة الحسّ وفيها تُخزن جباياتُ المُبصرات والمسموعات والمشمومات والمطعومات والملموسات وما يتعلق بها ومن تلك الخزانة تكون المرائى والأحلام التى يراها النائم وكما أنّ فى الجبايات حلالاً وحرامًا كذلك فى المرائى مبشرات وأضغاث أحلام وبنى فى وسط هذه المتنزّه خراتة الفكر الذى ترتفع إليه المتخيلات فيقبل منها الصحيح ويرد الفاسد وبنى له فى آخر هذا المتنزه خزانة الحفظ وجعل هذا الدماغ مسكن الوزير الذى هو العقل وله باب فى داخل الكتاب يخصه فأضربنا هنا عن ذكره ثم أوجد له النفس وهى محل التغيير والتطهير ومقر الأمر والنهى وهى الليلة المباركة التى فيهَا يفرق كل أمْر حكيم وحظُّها من العالم العلوى الكرسى كما أنّ الروح محله العرش من ذلك العالم والنفس هى كريمة هذا الخليفة وحرّته وقد أشار إلى ذلك الإمام أبو حامد فى قوله إنّ الروح نكح النفس فتولد ما بينهما الجسم فقال مشيراً إلى ذلك فى خطبة لباب الحكمة له ربنا وربَّ آبائنا العلويات وأمّهاتنا السُّفليات لكن المتصوفة اصطلحوا على كل فعل فيه حظ لكون من الأكوان أنه نفس يعنى أنّه عن أمر النفس سواء كان

ذلك الفعل محموداً أو مذموماً وكلٌّ ما ليس فيه حظٌ إلاّ لله تعالى فهو روح وإنّ الإنسان له ثلاث أنفس: نفس نباتية وبها يشترك مع الجمادات ونفس حيوانية وبها يشترك مع البهائم ونفس ناطقة وبها ينفصل عن هذين الموجودين، ويصح عليه اسم الإنسانية وبها يتميز فى الملكوت وهى الكريمة التى ذكرناها تحت هذا الخليفة ثمّ أوجد الله من تمام النعمة على الإنسان وإكمال النسخة على الاستيفاء فى هذه المملكة أميراً قويًا مطاعًا كثير الرَّجل والخول قويّ العدد والعدد منازعًا لهذا الخليفة سمّاه الهوى ووزيراً سمّاه شهوة فبرز يومًا فى أجناده وخوله يتنزه فى بعض بساتينه فأشرقت النفس التى هى حرة الخليفة عليه فتراءت ونظر كلٌّ واحد منهما لصاحبه فعشقها الهوى فأعمل الحيلة فى الاجتماع بها فما زال يستنزلها ويستعطفها ويبسط لها حضرته ويهاديها بأحسن ما عنده ولم تزل رسل الأمانى وسفراء الغرور تمشى بينهما حتّى مالت إليه وانقادت له وملكها الإحسان والخليفة غافل عن هذا والعقل الذى هو وزيره قد يشعر بذلك وهو يسوس الأمر ويخفيه عسى لا يشعر بذلك الخليفة وترجع عمّا هى عليه فصارت النفس بين أميرين قويّين مطاعين هذا يناديها وهذا يناديها والكلّ بإذن الله تعالى الأصلى ﴿قل كلٌّ من عند الله﴾ و ﴿كلاّ نمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك﴾ ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ فى إثر قوله ﴿وَنَفسٍ وَمَا سَوَّاها﴾ ولهذا جعلناها محل التطهير والتغيير فإن أجابت الهوى كان التغيير وحصل لها اسم الأمّارة بالسوء، وإن أجابت العقل كان التطهير وصح لها اسم المطمئنة شرعًا لا توحيداً ووقوع هذا الأمر لحكمة لطيفة وسرّ عجيب وهو أنّ الله سبحانه لمّا أوجد هذا الخليفة على ما وصفناه من الكمال أراد أن يعرفه سبحانه مع ذلك أنّه فقير ولا حول ولا قوة إلا لسيّده الرّب تعالى فلهذا أوجد له منازعًا ينازعه فيما قلده فلما رأى الروح أنّه ينادى والنفس لا تجيبه وقد قيل له هو ملكك قال لوزيره ما السبب المانع لها من إجابتى؟ فقال له العقل أيها السيّد الكريم إنّ فى مقابلتك موجوداً قام لها فى مقامك أميراً قويّا مُطاعًا صعبَ المرتقى عزيز المنال يقال له الهوى عطيته معجلة مشهودة فأرسل

وزيره إليها فبسط لها حضرته وعجل لهـا أمنيتها فى أوحى زمان فأجابت لدعائه وانقادت له وحصلت تحت قهره واتبعها أجنادك وبادية رعيتك وما بقى لك من مملكتك إلاّ أرباب دولتك المتـحققون بحقائقك والمخـتصون بك وها هو قد نزل بفناء قـصرك ليخـربه ويخرجك عن ملكك ويسـتولى على عـرشك فدراك دراك قبل نزول الهلاك فرجع الروح بالشكوى إلى الله القديم سبحانه فثبتت له فى نفسه عبوديته بالافتقار والعجـز والذلة وتحقق التميز وعرف قدره فذلك كان المراد فـإن الإنسان لو نشأ على الخيـر والنعم طول عمره لم يعرف قـدر ما هو فيه حـتى يُبتلى فإذا مـسّه الضر عرف قَـدر ما هو فيه من النعم والخـيرات عند ذلك عرف قدر المنعم فلمّا رجع الروح بالشكوى إلى ربـه صار سبحانه واسطة بينهـا وبينه فقـال لها: ﴿يأيتـها النَّفسُ المُطْمَـئنَّةُ * ارْجـعى إلى ربِّكَ راضيَـةً مَرْضيَّةً * فادخلى فى عبادى * وادخلى جنَّتى﴾ فلمّا أتاها النداء برفع الوسائط حنَّتْ وأنَّت واشتاقت فأجابت وأنابت بالعناية الإلهية.

سؤال: فإن قيل: لمَ سمّاها مطمئنة وقال لها راضية مرضيّة وهى الآن أمّارة بالسوء؟ **قلنا:** إنّما سماها مطمئنة لتـحقق إيمانها؛ أنّ منادى الهوى لم يكن مُناديًا بنفسه وإنّما كان مناديًا بموجده حيث علمت معنى قوله تعالى ﴿قل كُلٌّ منْ عند الله﴾ و ﴿كلا نمدُّ هؤلاء وهؤلاء﴾ فاطمأنت للنداء لتحققها فى الابتداء.

وقد تقدم السـبب والعلة وقوله ﴿راضية مرضيَّة﴾ يريد بالنداءين مرضـيّة عندنا لتحقق إيمـانها وتوحيدها ﴿فَادْخُلى فى عـبادى﴾ يعنى عباد الاخـتصاص أهل الحضرة الإلهية ﴿وَادْخُلى جنَّتى﴾ يريد المكاره الّتى هى نعم الخليـفة إذ الشهوات جنّة الـكافر وهى نار على الحقيـقة ظاهرها نعيم وباطنها جـحيم وقد نبّه على ذلك رسـول الله ﷺ حيث قال «حُفت الجـنّة بالمكاره وحُفت النار بالشهوات» ويظهر ذلك الله تعالى عنـد خروج الدجّال فذكر النبىّ أنّ له واديين من نار وماء، فمنْ قصد الماء وجد النار ومن قصد النار وجد الماء.

فإن قيل: وكذلك أيضًـا كانت تجيب داعى العـقل وتسمعه من الحق كـما ذكرت فَلِمَ أجابت داعى الهوى ومَرقت؟ **قلنا:** الجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أن فرضنا الكلام فى أوّله على أن الحق تعالى أراد أن يعرف الروح قدره للسبب الّذى ذكرناه فأسمعها نداء الهوى وأصمها عن داعى العقل ليقع ما أراده سبحانه والوجه الآخر أنّ النفس بعض الروح كما كانت حواء بعض آدَم فصار منادى الروح أصلاً من نفسها ومنادى الهوى أجنبيًا عنها فالأصل حاصل والأجنبى غير حاصل فاشتاقت أن تعرف ما لم تعرف فأجابته لترى ما ثمّ كما أجابت حواء إبليس فى أكل الشجرة ومن هنا وقعت بين الهوى والعقل الوقائع والحروب والفتن على هذا الملك الإنسانى وقد يستولى أحدهما عليه وقد يؤخذ منه فيعزله ويأسره وربّما يقتله فى حقّ شخص مّا هكذا استمرت الحكمة الإلهية حتى العرض الأكبر وربّما يملك أحدهما البادية والآخَر الحاضرة وقد يملك أحدهما الملك كله ظاهراً وباطنًا فأمّا العصاة فإنّ سلطان الهوى مالك باديتهم وسلطان العقل مالك حاضرتهم وأمّا المنافقون فإنّ العقل مالك باديتهم والهوى مالك حاضرتهم وأمّا المؤمنون المعصومون والمحفوظون فالعقل مالكهم باديةً وحاضرة وأمّا الكافرون فالهوى مالكهم بادية وحاضرة فإذا كان فى الدار الآخرة وذبح الموت وتميّز الفريقان ونفذ حكم الله ألحق العصاة بالمؤمنين المعصومين فحصل لهم النعيم الدائم وألحق المنافقين بالكافرين فحصل لهم العذاب اللازم فلم يغن المنافق عمله من الله شيئًا فإنّ التوحيد أصل والعمل فرع فإن اتفق فى الفرع شىء يفسده ويهلكه جبره الأصل كالعصاة، وإذا خرب الأصل لم يجبره الفرع كالمنافق فهذا الملك الإنسانى تصرفه فى الدنيا على أربع أطباق لا بدّ من أحدها فى حق كل شخص: إما مؤمن معصوم أو محفوظ وإمّا كافر أو مشرك أصلاً وإما منافق وإمّا عاص وإذ قد تقرر هذا وثبت فلنذكر الآن السبب الّذى لأجله نشأت الفتن والحروب بين العقل والهوى إذ هذا موضعه ﴿واللهُ يَقولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ﴾.

الباب الرابع

فى ذكر السبب الّذى لأجله وقع الحرب بين العقل والهوى

اعلم وفّقك الله أنّ السبب الّذى لأجله نشأت الفتن ووقعت الحروب حتّى كشفت عن ساقها وعمّت الوقائع جميع أقطار المملكة وآفاقها هو طلب الرئاسة على هذا الملك الإنسانى ليخلصه من حصل بيده إلى النجاة إذ لا يصح عقلا ولا شرعًا تدبير ملك بين أميرين متناقضين فى أحكامهما **﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفَسَدَتَا﴾** وإن فرض اتحاد الإرادة فى حقّ المخلوقين فإنّ حكم العادة يأبى ذلك والشرع فى حق هذين الأميرين وما سمعنا بخرقها فى حقّ شخص قطّ وإذا كان هذا فلم يرد الله تعالى أن يدير هذا الملك إلا واحد وصرح بذلك على لسان رسوله ﷺ إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما والخلافة ظاهرة وباطنة وقد تقررت الظاهرة وثبتت وكلامنا هنا فى الخلافة الباطنة على حسب الظاهرة أنبوبًا على أنبوب وجريًا على ذلك الأسلوب.

اعتراض لكشف أسرار: وربما للمنازع أن يستروح من هذا الحديث شيئًا مًا فيقول: قد قال اقتلوا الآخر منهما وما يدريك لعل الهوى تقدّم والعقل تأخّر فيكون الهوى صاحب الخلافة فنقول ليس التقدُّم والتأخر هنا بالزمان وإنّما التقدّم هنا بإحصاء الشرائط أعنى شرائط الإمامة ففيمن وجدتْ كان المقدَّم للإمامة ويُخلع من لم تكمل فيه تلك الشرائط ويقتل إن عاند ولم يدخل فى الأمر فلا يلتفت للزمان، وشرائطُ الإمامة على ما ذكرته العلماء عشر: ست منها خلقية لا تكتسب، وأربع منها مكتسبة، أما الخلقيّة فالبلوغ والعقل والحريّة والذكورية ونسب قريش، وفيه خلاف ولم يره بعض العلماء، وسلامة حاسة السمع والبصر، وأما الأربع المكتسبة فالنجدة والكفاية والعلم والورَع.

قال المؤلف: وهذه الشرائط كلّها موجودة فى هذا الخليفة والهوى معرّى عنهما نعوذ بالله لا أشرك به أحداً فلنذكرها شريطة شريطة حتّى نستوفيها ونبيّن أن الروح قد جمعها.

الشرط الأول فى الخلافة: البلوغ، فإنّ الإمامة لا تنعقد لصبى، اعتباره فى الروح البلوغ نوّر الله بصيرتك أمر شرعىّ وبلوغ الروح اتصاله بالإلهيّة وقد ثبت اتصاله على ما ذكرناه اتصال شرف ورفعة وبلوغ مقام كريم حين أخذ عليها الميثاق فقال لها ﴿**ألست بربكم قالوا بلى**﴾ فلو كانت الأرواح غير بالغة لما تصور منها هذا الجواب ولا توجّه عليها هذا الخطاب شرعًا.

الشرط الثانى: العقل، فإنّ الإمامة لا تنعقد لمجنون إذ هو غير مخاطب ولا تكليف عليه والإمام مكلّف اعتباره فى الروح يعقل عن الله ما يرد عليه منه ولذلك قال ﴿**بلى**﴾ وهى صفة قائمة به عنها صدر العقل الّذى جعلناه وزيراً له فيما يأتى إن شاء الله تعالى.

الشرط الثالث: الحُرّيّة، فإنّ الإمامة لا تنعقد لرقيق وذلك أنّ الإمامة تستدعى أن يستغرق الإمام أوقاته فى أمور الخلق وهذا لا يتفق للعبد إذ سيّده مالك له يقطع عليه النظر فى مهمات الخلق باشتغاله فى تصرفاته اعتباره فى الروح لا يؤجد أشدُّ حرية منه ولا أكمل إذ ليس لأحد عليه ملك إلاّ الله تعالى وكيف يتصور ذلك وهو أوّل المحدثات وكون الإمام مستغرقًا فى مهمات الخلق، فكذلك الروح مستغرق فى مهمات ملكه قال الله تعالى ﴿**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ لا يفترونَ**﴾.

الشرط الرابع: الذكورية، فإنّ الإمامة لا تنعقد لامرأة والّذى منع من ذلك أنّه ليس لها منصب القضاء ولا منصب الشهادات فى أكثر الحكومات شرعًا اعتباره هذا بيّن بنفسه لا يحتاج إلى شرح، والذى منع أن تكون النفس إمامًا وإن اتصفت بصفات الكمال فإنها فى الكون تحت حجاب الصون وهى كريمة هذا الإمام وهى محل الفجور والتّقوى، والعلة مطّردة فى الخلافتين معًا.

الشرط الخامس: النسب، اعتباره الدخول فى المقامات المحمديّة وهى الدَّورة الثانية الإلهيّة التى حضرتها الأوليّة والآخريّة، بُعِثَ آخراً وقيل له متى كنت نبيًا قال ﷺ «وآدم بينَ الماء والطين» فانتهت فى عيسى عليه السلام الدورة من آدم، وكذلك جعله فى كتابه كما قال تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدمَ﴾ فختم بمثل ما به بدأ واختصّت الدورة الثانية الحاكمة على الكلّ المحيطة بجوامع الكلم وهى الدورة التى من الشرق إلى الغرب فكما أنّ محمداً ﷺ أُرسِلَ إلى الكافّة كذلك الروح أُرسِلَ إلى كافّة البدن وفى هذا سرّ عجيب نذكره فى غير هذا الكتاب فهذا فائدة النسب للروح.

الشرط السادس: سلامة حاسّة السمع والبصر، إذ الأعمى والأصمّ لا يتمكن من تدبير نفسه فكيف يدبّر غيره، اعتبارهُ فى الروح سماعه بالحق ونظره بالحق فتقدس عن الآفات وتنزّه، قال ﷺ مخبراً عن ربه: «ولا يزال العبدُ يتقرّب إلىّ بالنوافل حتّى أحبّه فإذا أحببْته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به» وهنا سرّ يبحث عنه فإنه كذلك كان فمن كان الحقّ سمعه وبصره كيف لا يدبّر نفسه وغيره.

الشرط السابع والثامن: النجدة والكفاية، وهما من صفات الأرواح، ألا ترى أن الله تعالى لمّا أراد نصرة عباده أمدّهم بملائكته وأيدهم بهم، قال تعالى ﴿أنى ممدُّكم بألف منَ المَلائكَة مُردفينَ﴾ وقال ﴿وأيَّدهم بروح منه﴾.

الشرط التاسع: العلم، وهذا قد ظهر فى آدم عليه السلام حين عُلِّم الأسماء كلّها، فلا يحتاج إلى ذكره.

الشرط العاشر: الورع، وهو منبعه وإليه مرجعه إذ الشريعة رداؤه والحقيقة إزاره فقد تكملت الشرائط فى هذا الخليفة وصحت خلافته وانعقدت إمامته.

قلنا: فلنرجع إلى السبب الّذى لأجله وقعت الحروب والفتن بينهما فأقول: إنّ السبب فى ذلك طلب الرئاسة على هذا الملك الإنسانى فإذا صحّت الرئاسة لأحدهما عليه سعى فى نجاته وإقامته وحمى دَماره وأعلى مناره وحجبه عن الأسباب الرديئة له فى الدارين على حسب ما يتخيّله أو يعلمه.

واعلم أنّ سبب نجاته من كلّ أمرٍ مهلك هو طاعته لأمر داع من خارج يقال له الشرع عرفه الروح، إذ هو من جنسه وجهله الهوى فالهوى يتخيّل له أنّ النجاة فى حيّزه والروح يعلم أنّ النجاة فى حيّزه فنشأ الخلاف ووقع الشّتات والّذى دعا إلى ذلك أنّ حقيقة الأميرين مختلفان فلمّا جاء الداعى من خارج نظرا إلى نتيجة ذلك الأمر فوجدا له نتيجتين فى الواحدة الهلاك وفى الأخرى النجاة فطلب كلّ منهما سبيل النجاة وتجنب المُهلكات على حسب ما اقتضته الحكمة الإلهية وكلٌّ لو تركَ والاعتذار لكانت له حُجة مًّا ولكن حسمها الحق جلّ اسمه بحجته البالغة حيث قال: ﴿**لا يُسأل عمًّا يفعلُ وهم يُسألون**﴾ وهؤلاء للجنّة ولا أبالى وهؤلاء للنار ولا أبالى، وجف القلم، فنقول إنّ الروح حقيقته نور والهوى حقيقته نار وكل واحد منهما يتنعم بوجوده فى وجوده إذ هى صفته النفسية وإلا فلو تيقّن من حقيقته نار أنّه يتعذب بها وأنّ الفاعل قادر على ذلك لطلب الفرارّ إلى مَحل وجود النور لو تحقق فيه النجاة لكن جهل ذلك فكلّ دعا إلى مقامه بل النار تتعذب بالنور.

* كما تُضرُّ رياحُ الوَرْدِ بالجُعَلِ *

فإذا كان يتعذب بالنور يتخيل أنّ هذا الملك الإنسانى يتعذب أيضًا بالنور فهو أبدًا يطلب أن يخرجه من النور ويحجبه عنه بالأفعال التى تؤديه إلى الخروج عنه وهى الشهوات التى حفت النار بها فمن وردها فقد ورد النار ويطلب أيضًا الروح الّذى هو نور مثل ذلك وكلّ واحد ينظر فى الأسباب الموصلة هذا الملك الإنسانىّ إلى حزبه فيعرضها عليه ويحليه بها وقد صح عندهما أنّه متى تحلى أو اتصف بوصف مًّا كان ملكًا لصاحب هذا الوصف فكان المستولى عليه فوقعت الفتن والحروب ولو تَرَكَ كلّ واحد منهما النظر من نفسه ونظر إلى هذا الداعى من خارج الّذى هو الشارع وقال وجدتُ داعيًا من خارج ثبت صدقه وعصمته فما قال فيه النجاة فهو ذلك وما قال فيه الهلاكُ فهو ذلك لوَقعَ التسليم والانقياد وارتفعت الفتن وحصل الملك فى حزب

النجاة، لكنّ هذا لا يصح أبدًا إذ كانت تزول حقيقـة الهوى فإنه،عين المخالفة فلو عدمت انعدم وذهـب لكن لله تعالى فى هذا تدبير عجيـب يحجب من يشاء ويكشف لمن يشاء ﴿لا يُسأل عمّا يفعلُ وهم يُسألون﴾ ﴿فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكمْ﴾ ﴿ولو شاء ربُّك لَجَـعَلَ النَّاس أمَّة وَاحِـدَةً وَلاَ يَزَالُوانَ مُخْـتلفينَ إلاَّ من رحـمَ ربُّكَ﴾ وهم أهل الجـمع ﴿ولذلك خلقهم﴾ لتظهر أسـماؤه فى الوجود والله أعلم.

الباب الخامس

فى الاسم الّذى يخصّ الإمامَ وَحْده وفى صفاته وأحواله

وأنّ الإمام لا يكون أبدًا إلاّ واحدًا من أربعة

جَرَت الحكمة الإلهيّة فى العالم أن يكون للخليفة عليه اسم يختصّ به وحده دون غيره لا سبيل إلى أن يتسمّى به أحد حتّى إذا ذُكرَ تميّز وعُرف ولم يُعْطَ اللفظ على مجْرَى العادة أن يفهم منه غير الإمام ولا عليه من بقيّة أسمائه ولو كانت ألفًا بوقوع الاشتراك تأسّيًا بمن استخلفه وهو الله تعالى فإنه سبحانه اختصّ باسم الألوهيّة حتّى إذا قال أحد الله لم يُفهم من هذا الإطلاق سوى الفاعل سبحانه ألا ترى لمّا أنزل تعالى قوله ﴿اعبدُوا الله﴾ لم يقولوا وما الله ولمّا قيل لهم ﴿اسْجُدُوا للرَّحْمنِ قالوا ومَا الرَّحْمنُ﴾ قلنا إن نَنْظُر أيَّ اسم يختص به هذا الإمام نطلقه عليه فلم نجد شيئًا إلاّ ما سمّاه به الله تعالى فى قوله ﴿وإذ قال ربُّكَ للملائكة إنّى جاعل فى الأرضِ خليفةً﴾ وقد منع سبحانه أن يوجد منه فى زمان واحد اثنان فحسم ذلك بقوله «إذَا بُويعَ لخليفتَيْن فاقتلوا الآخر منهما» فلا تصحّ إقامة مُلكَ بين مدبّرين وإن اتحدت إرادتهما قال الله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسَدَتَا﴾ لأنه قد يأمر أحدُ الخليفتين بعَين ما ينهى عنه الآخر ولا بدّ من امتثال أمر أحدهما إذ لا يسوغ امتثال الأمرين فإن تركوا عوقبوا وإن أطاعوا أحدهما عاقبهم الآخر إذ بنفس ما يطيعون الواحد عصوا الآخر فعاقبهم منْ عصوه فوجب على من أطاعوه نصرتهم فأدى ذلك إلى حروب وفتن تشغل عن تدبير الملك فيخرب فلهذا نُصَّ على خليفة واحد.

اعتراض: فإن قيل: قد سمعنا الله تعالى يقول ﴿وَهُوَ الّذى جَعَلَكُمْ خَلائفَ الأرضِ﴾ وقد قلت إنّه واحد شرعًا فكيف الجمع فنقول: إنّ سرّ الخلافة واحد وهو متوارث تتوارثه هذه الأشباح فإن ظهرت فى شخص مّا

ما دام ذلك الشخص متّصفًا به من المُحال شرعًا أن يوجد لذلك القبيل فى ذلك الزمان بعينه فى شخص آخر وإن ادّعاه أحد فهو باطل ودعواه مردودة وهو دجال ذلك الزمان فإذا فقد ذلك الشخص انتقل ذلك السرّ إلى شخص آخر فانتقل معه اسم الخليفة فلهذا قيل: «خلائف» فانظر فى هذا الفصل فقد نبّهت فيه على أسرار لم أجرم على إيضاحها.

تنبيه: فإذا تقرر هذا وثبت فينبغى لهذا الخليفة أن يتخلق بأسماء من استخلفه حتّى يظهر ذلك فى أخلاق رعيته وفى أفعالهم وقد ذكرنا معنى التخلق بالأسماء الربانيّة فى كتابنا المترجم بكشف المعنى عن سرّ أسماء الله الحسنى، يأيها السيد الكريم حافظ على شريعتك واجعل ملكك خادمًا لها ولا تعْكس فيُعكس عليك ولا تغفل عن النظر فى كلّ حين فى رعاية الأحكام الظاهرة والأسرار الباطنة المتولّدة عنها التى وهبها الله تعالى لك على طبقات العوالم الّذين ذكرناهم فى الإنسان ثمّ يتدرج الأمر إلى وزيرك فيكون على هذه الحالة إلى كتابك إلى كلّ وال فى مملكتك فعليك بكظم الغيظ وتوقير الكبير ورحمة الصغير ورؤية إحسان المحسن والغض عن إساءته والتغافل عن الزلة والسقطة وذلك بأن تزل العين يومًا بنظرة فى فضول أو اللسان فى لفظة فضول فتكظم الغيظ بالاستغفار والإنابة ممّا وقع فيه لا كمن غمض عينه أعوامًا أو صمت من غير استغفار زمانًا وأمّا توقير الكبير فليس فى الباطن للسنّ حظّ وإنّما هو الكبير بالشرف والمرتبة والصغير على هذه النسبة وإمّا رؤية إحسان المحسن فإذا أحسن إليك عامل من عمالك مثل العين والسمع فلك أن تجزل له العطاء على ذلك من مقامه وما يليق به.

تذكرة: والّذى أوصيك به أيّها السيّد الكريم أن لا تنفذ أمرًا فى ملكك حتّى تنظر إلى عاقبة ذلك الأمر فإن أعقب خيرًا أمضيتَ وإلاّ أمسكت فتأنَّ فى أمورك، أعنى فى الطاعات، إذ العلل كثيرة فإنّ النفس قد تأمرنا بالطاعة لأمر مّا تجب مخالفتها فيه وهذا عند أرباب النفوس باب متّسع فيه عبرة.

يأيها السيّد الكريم والّذى أوصيك به أن لا تتجلى لرعيتك إلاّ لمْحة بارق

أو خيال طارق فإنهم لا يعرفون قدر الخلافة لقصورهم فربما بإدامة التجلى أساءوا الأدب، بل لا يكون إلاّ كذلك، قال الله تعالى: **﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكنْ ينزّلُ بقدر مَا يشاء﴾** فقد نبه على مقام القبض والتجلى ههنا إنّما هو إظهار التوحيد يومًا مًّا أو فى نازلة مًّا لا فى كلّ الأيام ولا فى كلّ النوازل لأنّ استدامة التجلى تؤدى إلى تعطيل الأحكام والديانات وإذا كان ذلك خرب الملك عاجلاً وآجلاً فالله الله ولا لمحة بارقٍ من التوحيد.

سياسة: يأيّها السيّد الكريم أصغ إلى سياسة مَدنية من أخٍ شفيق عليك رفيق بك بل ينبغى لك عندما تريد أن تبرز لأهل مملكتك وتظهر فى عالمك المتّصل والمنفصل من عالم الملكوت والجبروت والشهادة فلتقدم وزيرك العقل إلى جميع مملكتك يقم فيهم مقامك ويعرفهم بتجليك لهم ويوقر فى نفوسهم من هيبتك وجلالك وعظيم سطوتك ما لا تنفر نفوسهم به عنك ويقرر أيضًا فى قلوبهم من حنانك ولطفك ورحمتك وجودك وجسيم منتك ما لا يؤديهم إلا الإدلال عليك فيلقونك فى حدّ الاعتدال لا قانطين ولا مدلّين بل معتدلين إن أرادوا الانبساط عليك قبضهم ما وقر فى نفوسهم من جبروتك وعظيم سطوتك وإن أرادوا الانقباض بسطهم ما وقر فى نفوسهم من حنانك ورأفتك فهم فى شهودك بين الخوف والرجاء فى مقام الهيبة والأنس قد أمنوا العقاب وخافوا الإجلال، شعر:

كأنّما الطيرُ منهم فَوقَ أرْؤسهمْ
لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

وهذا مقام لا يصح إلاّ فى الطائفة الملكوتية والكروبية وأمّا من دونهم فمشاهدة العقاب تمنعهم من الإدلال، قال الله تعالى **﴿يخَافُونَ يومًا تَتَقلبُ فيه القُلُوب والأبْصَارُ﴾** وقال **﴿يخَافون رَبَّهُمْ من فَوْقهمْ﴾**.

يأيها السيّد واجعل عقوبة من عصاك على قدر مرتبته منك وقرب منزلته، ألا ترى أبا يزيد البسطامى رضي الله عنه كيف أقام سَنَةً ما سقى نفسه شربة ماء عقوبةً لها حين امتنعت عليه لأمر أراده منها لله تعالى.

تكملة حكمية: أيها السيّد الكريم، نزهْ نفسك عن الدنيا وأوضارها واجعلها خادمة لك ولرعيتك وما الدنيا إلى جانب منصبك الّذى أهلك الله إليه المقدّس عن تعلق الكونين به فكيف عن الدنيا الّتى مقتها الله تعالى وما نظر إليها من حين خلقها وناهيك من تشبيه النبىّ ﷺ إياها بالجيفة والمزبلة مع إخباره أنّها لا تساوى عند الله جناح بعوضة وأنّها ملعونة ملعون ما فيها إلاّ ما كان من ذكر الله، فيحمل بهمّة خليفة مثلك قد خلقه الله نوراً جوهرةً يتيمةً أن يلحظ ببصره أو بطرفه إلى جيفة أو مزبلة أو يتكالب عليها وقد قال تعالى: «يا دنيا اخدمى من خدمنى واستخدمى من خدمك» فالدنيا وفقك الله تطلبك حتّى توفيك ما قدره لك من استخلفك من جاهك ورزقك وأرزاق رعيتك فأجمل فى الطلب واسع فى تخليص رعيّتك وتخليص نفسك باشتغالك بما كلفك من استخلفك من الأوامر والنواهى والحدود فعليك بالإعراض عن الدنيا تأتك خادمة راغمة والّذى يصل إليك منها وأنت مقبل عليها هو الّذى يصل إليك وأنت معرض عنها.

ذكر كعب الأحبار أن الله تعالى ذكر فى التوراة: «يابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك وأنت محمود، وإن لم ترضَ بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركض فيها ركض الوحش فى البريّة، ثمّ وعزتى وجلالى لا تنال منها إلا ما قدرت لك وأنت مذموم» فعلق الراحة بالقلب مع البدن إذ لا يصح طلب شىء من غير إرادة إذ هى المحركة للباحث على البحث والتفتيش والإرادة من خاصتك المصرفة لعامتك فإن تصرفتْ فى المضمون تصرفًا كليًا لم تتهيأ لامتثال أوامرك عليها وعند عدولها عن ذلك كنت لئيمًا على رعيتك على ما يرد فى داخل الباب فالله الله اجهد أن لا تتعلق لك إرادة إلاّ بمراد محبوبك من جهة ظاهر الأمر وباطن الإرادة بعد وقوع المراد المؤدى إلى العلم بأنّ ذلك الواقع لولا ما سبق فى العلم على ذلك وتعلقت به الإرادة لما وقع على ذلك الوصف مع جواز تبدّله فى نفسه فى وقوعه على غير ذلك فإذا تقرر هذا فإنى أضرب لك مثالاً لمن لم يفهم من عمالك وولاتك فيما

تقدم من طلب الرزق الّذى لا بدّ منه مَثلك فى طلب الدنيا والإعراض عنها والقوت منها والحقّ سبحانه ﴿وَلله المثل الأعْلى﴾ رجل صرف وجهه للشمس فرجع ظله خلفه فقصد نحو الشمس فاتبعه ظله ولم يلحقه ولا نال منه إلاّ ما حصل تحت قدميه وفى الاستواء أعنى استواء الشمس فى قُبة الفلك على رأس الرجُل سرٌ لا ينكشف ولا نودعه كتابًا وهو موجود فى قوله تعالى ﴿ثمّ قبضناه إلينا قبضًا يسيرًا﴾.

ثمّ نرجع إلى المثال فنقول: ثم هذا الرجل إن أقبل بوجهه على ظله واستدبر الشمس وجرى ليلحق ظله فلا هو يلحق الظلّ وقد فاته حظُّه من الشمس وهم الّذين قال الله جلّ اسمه فيهم ﴿ارْجعوا وَرَاءَكُمْ فالتَمسُوا نورًا﴾ وما لحق من الظلّ إلاّ ما تحت قدميه وهو الحاصل له فى استدباره الظلّ فأنت ذلك الرجل والشمس وجود الحق والظل الدنيا وما حصل تحت قدميك القوت الذى لا بدّ منه.

يأيها السيّد الكريم وهل خلقت الدنيا إلا من أجلك وخلقك سبحانه من أجله فأوجدك له وأوجد الأشياء لك، أنزل فى التوراة يابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلى ... فيما خلقت من أجلك، قال الله تعالى فى القرآن العظيم ﴿وَمَا خَلَقت الْجن والإنسَ إلاّ ليعْبدون * ما أُريدُ منهم من رزق ومَا أريدُ أن يطعمونِ﴾ وقال ﴿ومن رَحمته جعَلَ لكم اللّيل والنّهارَ لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ وقال تعالى ﴿الله الذى جعَلَ لكم الأنعام لترْكبُوا منهَا ومَنْهَا تأكلون﴾ ﴿والخيل والبغَالَ والحمير لتَرْكبُوهَا﴾ إلى أمثال هذا ممّا لا يحصى فى القرآن كثرة.

تتميم: يأيها السيّد الكريم تحبّب إلى رعيتك وأجزل لهم العطايا كل صنف ما يصلح به وذلك بأن تمنعهم من المحارم وتجزل لهم مواهب الطاعات على قدر الاستطاعات وتذكر قولَ من استخلفك ﴿يومَ تشهد عَليهم ألسنتُهم وأيْديهم وأرْجُلُهُم بما كَانُوا يَعْمَلونَ﴾ وقوله: ﴿إنّ السمْعَ والبَصَرَ والفؤادَ كلّ أولئكَ كَانَ عنهُ مسئولاً﴾ فهاتان الآيتان شملتا خاصتك وعامتك ﴿ولاَ تمش فى

الأرض مرَحًا﴾ ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾ وتفقَّد النفس الأمارة واللوامة واجعل وزيرك يتلطف لها فى كل حين ويسوسها فإنّها مدبرة بادية مملكتك فإنها لا تلقى للحواسّ إلاّ ما يلقى إليها إن خيراً فخيْر وإن شرّاً فشر فتصلح عند ذلك مملكتك وتكثر جباياتك وتظفر بأعدائك فاجعل أبدًا همتَك فى إصلاح الأقرب فالأقرب يقلّ شغَبُك وتعبك وسلّط الصالح على الفاسد، يصلحه وإيّاك أن يكون ذلك بالخوف الشديد فتزيدهم نفوراً ﴿فبما رحْمَةٍ منَ الله لنتَ لهم ولو كنت فظّا غَليظ القَلْبِ لانفضُّوا منْ حَوْلكَ فَاعف عَنهمْ واستغْفر لهم وشَاورهُمْ فى الأمرِ﴾ فإنَ النفوس مجبولة على حبّ منْ أحسن إليها.

سياسة: يأيها السيّد الكريم ينبغى لك بل هو آكد عليك أن لا تضع شيئًا فى غير موضعه ولا تبرزَ شيئًا إلاّ فى وقته المعهود عندهم وإيّاك وخرق العادة وعند مسيس الحاجة إليه ليكون القبول عليه أشدّ إذ العادة وفّرت الدواعى إلى ذلك الوقت لظهور ذلك الأمر المنتظر مثل لو خرق الله العادة بنزول المطر فى غير وقته واستدامة الصَّحْو فى غير وقته أدّى ذلك إلى القنوط والكفران فهم مع الإحسان يبقون فى الأرض فكيف بالإساءة وإن ظهر مثلُ هذا فى سنة فلأمر مّا وعدل منه ابحث عنه تجده فتخلّق بهذه الأوصاف تكن لك السلامة دنيا وآخرة إذا هممت بأمر فقل إن شاء الله كما قال تعالى ﴿ولاَ تقولَنَّ لشىءٍ إنّى فاعل ذلك غدًا * إلاّ أنْ يشاء الله﴾ ولا تتألَّ على الله ﴿ولا تَنقضُوا الأيمانَ بعد توكيدهَا﴾ ﴿ولاَ تتّخذوا أيمانكم دَخلاً بينكم﴾ واحذر القرناء السوء فإنهم يأكلون درهمك ويقرّبون للنار لحمك ودمك فلا تصحب إلاّ خليلاً تجد معه الزيادة فى دينك فإن رأيت فى صحبته النقص فى ذلك فبئس القرين وهو أكبر عدوّ لك فاحترز منه فى ملكك فإنّه يكون سبب خرابه وهذا القرين فيك هواك كما قيل جاهد هواك فإنّه أكبر أعدائك وقال تعالى ﴿قَاتلُوا الّذينَ يلُونكُمْ منَ الكُفّارِ﴾ وهو أقرب الكفّار إليك فاشتغل به وإلاّ اشتغل بك فإنّ السباع العادية تهدم بادية مملكتك وتحرمك النعيم الدائم وهذا يهدم دينك.

أيّها السيّد الكريم أوصِ وزيرك وحاجبك أن لا يدخل عليك من الصفات الّتى هى جباياتك إلاّ صفة يتحقق فيها أنّها نتيجة عن مقدّمتين صحيحتين ضروريتين وفرع عن أصلين كريمين مستقيمين فإنّ من الصفات ما ترد عليك بها النفس ممّا يعطيها الهوى لتهلك بها فتأتى إليك بها فى أحسن صورة تكون وباطنها ضدّ ذلك حتّى إذا اختبرت ذلك وجدتَ صحته فتحفَّظ فإذا جاءتك بصفة ودخلت عليك فانظر سابقتها وعاقبتها بالأدلة الواضحة الشرعية العقلية والعاديّة واسبرها فى محك النظر ومجارى الفكر وزنها بمعيار العلم وتفرَّس فيها ما تعطيك الأدلة المنصوبة للفراسة فإن تعقب خيراً فتحل بها وإن كانت خلاف ذلك فاقتلها فتلك الصفة هى الّتى نبهنا رسول الله ﷺ عليها بقوله «إيّاكم وخضراءَ الدمن» فالشىء ضرورة إنّما يعقب بحسب أصله وإليه يرجع.

تنبيه: حافظ على ذاتك الشريفة الروحانية واعرف قدرها ولأىّ شىء وجدت وما المراد منها وإن أمكنك أن لا تصرفها فى قيام وقعود وحركة وسكون وأشباه ذلك من جميع أفعالك إلاّ عن أمر إلهىّ علوىّ فتحقق كما قال الخضر ﴿وَما فعلتُهُ عنْ أمْرى﴾ ﴿فنظرَ نظرةً فى النجوم * فَقَالَ إنى سقيم﴾ ﴿وَمَا ينطق عن الهوى﴾ وإياك وإنفاذ أمر فى ملكك حتى تشاور فيه وزيرك فإنّه فى مشاورتك إيّاه تثبت مودتك فى قلبه والمودة تورث الشفقة والشفقة تورث النصح والنصح يورث العدل وبالعدل بقاء المملكة هكذا ينبغى أن تكون صفات الإمام وأحواله وإلاّ هلك ويهلك.

فصل: لا يخلو الإمام أن يكون واحداً من أربعة، بالجود ظهر الوجود ودام قالت الحكماء الملوك أربعة لا خامس لها: ملك سخى على نفسه سخىّ على رعيّته وملك لئيم على نفسه لئيم على رعيّته وملك سخىّ على نفسه لئيم على رعيّته وملك لئيم على نفسه سخىّ على رعيّته ولا يخلو ملك من أحد هذه الأوصاف كذلك هذا الخليفة لا يخلو من أحدها ولم يزل العارفون بالله تعالى على قديم الزمان يتتبعون أنفسهم بالنظر والاعتبار لتصحيح النسختين فنقول ظهر لنا فى الوجود الإنسانىّ علم وهو مقام الجمع وعمل وهو مقام

التفرقـة وهو حدّ الكرسىّ والأول حدّ العـرش فردّ الوتر إلى الكرسى الّذى هو موضع القَدمْين فـتكتَسب الشفعية إلى الأرض وهذا الملك هو الـلّيلة المباركة التى يُفرقُ فيها كل أمْرٍ حكيمٍ، فيأيها السيّد الكريم إن كنتَ صاحبَ علم وعمل فأنت سخىّ على رعيتك سخىّ على نفسك وإن كنت لا صاحب علم ولا عمل فأنت لئيم على نفسك ورعيتك وإن كنت صاحب علم لا صـاحب عمل فأنت سخىّ على نفـسك لئيم على رعـيّتك وإن كنت صاحب عـمل لا صاحب علم فأنت لئيم على نفسك سخى على رعيتك وهنا سرّ مُنِعنا عن كشفها تركناه لأهل الأذواق والتحقيق وانحصرت الأقسام ولْعلّ معـترضًا يقول نسلم القسمين وهما قولك صاحب علـم وعمل فإنّه العالم العامل ولا صـاحب علم ولا عمل وهو عكسه ولا نسلم القسمين الآخرين فنقول له الأقسام صحيحة واضحة وذلك أنّ الأرواح نعيـمهـا بالعلوم والمكاشفـات والأجسـام نعيمـها بالمـحسـوسات من المطعومات والمشمومات وعذابهـما بأضداد هذه فإذا سلمت القسمين فيلزمك أن تسلم القسـمين الآخرين وذلك أن الّذى هو صاحب عـمل لا صاحب علم فإنّه المـقلد وهو صاحب عمل وليس لروحه علوم يلتـذ بها إنّما هى مـسجونة مقيّدة بالنظر إلى ما يئول إليـه محلها من نعيم الجنان ولا نقول إنّ هذا صاحب علم وأمّا القسم الآخر وهو صاحب علم لا صـاحب عمل فهو العالم المرتكب الشهوات والمسخر فى المحرمات فإنّ روح هذا متنعم بما يكشف له من العلوم ورعيته معذبة بما ارتكبت من المحارم المؤدية إلى دار البوار فتدبر هذه الأقسام ترَ الحكمة البالغة ثمّ لنا أن نبيّن ما نريده بالسخاء واللؤم فى هذه المواضع وفى حقّ هذا العـالم المـودَع فى هذا الكتـاب فنقـول إن السـخـاء بذل الشىء عند الحاجة إليه من غير زيادة ولا نقـصان، واللؤم منْع الشىء مع الحاجة إليه فمن جاوز فقد أفـرط ومنْ قصر فقد فرّط وكلا طَرَفى قـصد الأمور ذميم وفى ذلك أقول، شعر:

جَـرَى مَـثَلٌ دلّ السَّمـاءُ مع الحِـجَى
علـيــه علـى مـرّ الـزمــان قــديمُ

توسط إذا مـــا شـئتَ أمـراً فـــإنّه
كـــلا طَرفَى قَــصْــد الأمـــور ذمـــيمُ

فقف رحـمك الله عند هذا الحدّ فظاهر الخليفـة عمل وباطنه علم وظاهره حدّ وباطنه مطـلع والرعية على قـسمين بادية وحـاضرة فالـبادية عالم الشـهادة المنفصل فى حق المتبوع المحمـدىّ والحاضرة على قسمين: خواص وعوام، فالعـوام عالم الشهادة المـتّصل وهى البادية فى حقّ غـير المتبـوع، والخواص على قسمين عالم العقل وعالم النفس فعالم النفس ينقسم قسمين مطيع وعاصٍ فالمطـيع يسمى عالم الجبروت وعـالم النفس على الجملة هو البـرزخ عندهم والعـاصى هم أعداء هذه المـدينة الذين ذكـرناهم وعالم الـعقل على قـسمـين محجـوب وغير محجوب فـأصحاب الأوصاف محـجوبون وهم عالم الملكوت أصحاب المقامات قال الله تعالى ﴿وَمَا منَّا إلاَّ لهُ مقام معْلوم﴾ وغير المحجوب هم أصحاب السَّلب عـرائس الله المُجَنَّوْنَ عنده فى خزائن غيوبه حَجـبهم غَيْرةً عليهم حتّى لا يعرفـهم سواه كما لا يعرفون إلاّ إيّاه وهم فى المـقام الّذى يعبر المحققون عنه بالفناء، الثـالث: المحق الكلّى وهم خواص هذه المدينة فانظر فى هذه الأقسام ترشد إن شاء الله تعالى.

يأيها السـيّد الكريم إذا تحقّـقتَ هذا فابذل لكلّ عـالم ما يحتـاج إليه على حسب ما حددت لك آنفًا وكذلك لنفسك فـتكونَ فى المقام المحمدىّ صاحب علم وعمل وهو الكمـال والسخاء كلّ السخـاء الزُّهد فيما فى أيدى النـاس فما أحبّت رعيّة مليكها حتّى زهد فيما عـندها والسخاء يورث المحبّة والمحبّة تورث القربة والقربة تورث الوصلة والوصلة تورث الجمع وهـنا إشارة مضمونة تحت حـجاب الغيـرة فكذلك ينبـغى لك أن تزهد فى جـميع أفعـالك وأقـوالك واعتقـاداتك وتبنى البيتَ وتوقد السـراج وتضربَ الستارة وتُبرزَ الـصُّور تبد لك الحكمة الإلهيّـة وتلوح لك الحقائق على ما هى عليـه وموضع هذا من الكتاب الغزيز ﴿والله خَلَقَكم ومَـا تعْملون﴾ فكمـا أنّ الإنسـان إذا ترك مـا للناس عند الناس أحبّـه الناس كذلك إذا تركت مـا لله عند الله ولم تطمع فيـه ولا أضفت

شيئًا إلى نفسك من جميع أفعالك كنتَ على الحقيقة زاهدًا وعلى التوحيد راشدًا فاسع فى اكتساب هذه الأوصاف تكن من أهل الاتصاف وقديمًا خبرت الناس فى أوطاننا وأوطانهم فلم أرَ لديهم أعظم قدرًا ولا أكبر خطرًا ولا أجلّ فى نفوسهم من رجل طال صمته وقلّ كلامه وإن تكلّم بالحكمة فإن القلة منها أحسن من الكثرة وأقبل لنفوسهم حَذَرَ السآمة وهو حدّ السخاء المتقدم وقد كان رسول الله ﷺ يتخلل أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم وكذلك ينبغى للوارثين أن يكونوا وكذلك لم أر أعظم عندهم وأجلّ فى نفوسهم وأحبّ إليهم من رجل زهد فيما فى أيديهم واحتجب عندهم ولم يظهر لهم إلاّ عندما يعرف أنّ الحاجة قد مسّتهم للنظر إليه فحينئذ يظهر لهم على ما قدمتُ لك فى أوّل الباب فكلّ شىء يورده فى ذلك المقام قبلَ لتعطش النفوس إليه فإن أقبلوا عليك بشىء من دنياهم فارغب عنها وردّها على فقرائهم فإن أبوا إلاّ بواسطتك فخذ منهم وادفعها إلى فقرائهم على علم منهم بذلك هكذا تكون حالة الإمام وبها يعْظم عند أهل مملكته والحمد لله ربّ العالمين.

الباب السادس

فى العدل وهو قاضى هذه المدينة القائم بأحكامها

أيّها الله السّيّد الهُمام الأعدل الأكمل ينبغى لك إن أردتَ بقاء مملكتك عليك والظَّفرَ بأعدائك أن يكون متولى أحكام رعيّتك ومنفذَ قضاياك العدل فإنه أبقاه الله عليك ما ولىَ مدينة قطّ ولا مملكةً إلاّ ظهرت فيها البركة ونَمَت الأرزاق وعمّت الخيرات جميعها وهو موجود محمود محبوب على مَمَرّ الدهر والأعصار وهو الميزان الموضوع فى الأرض وبه يكون الفصل فى العرض الأكبر بين العباد وهو الحاكم فى ذلك اليوم وهو المأمور به شرعًا وإنّ الملك جسد روحه العدل ومتى لم يكن العدل خربَ الملك وكانت الحكماء يقولون عدل السلطان أنفع للرعيّة من خصْب الزمان وقد أمر الله تبارك وتعالى عباده فقال: ﴿إنَّ الله يأمرُ بالعَدْل والإحْسَانِ﴾ وذم من لم يتصف به ولا جعله حاكمًا عليه فقال: ﴿ويل للمُطفّفينَ * الّذينَ إذا اكتَالوا علَى الناس يستَوفونَ * وإذا كَالوهُمْ أوْ وزَنُوهم يُخسرونَ * ألاَ يظنُّ أولئكَ أنَّهم مبعُوثُون * ليَومٍ عَظيمٍ﴾ وقال لقْمان لابنه ﴿واقصد فى مشْيكَ واغضضْ من صوتكَ﴾ وقال تعالى: ﴿ولاَ تجْهر بَصلاتكَ ولَا تَخافتْ بها وابتغ بينَ ذلكَ سَبيلاً﴾ وهو العدل، وقال تعالى ﴿ولاَ تَجعَلْ يَدَكَ مغْلولةً إلى عُنقكَ ولاَ تبسطها كلَّ البسْط﴾ وقال ﷺ لأبى بكر ارفعْ من صوتك ولعمر اخفض ومنه فعله ﷺ وقد انقطعت إحدى نعليه فنزع الأخرى ومشى حافيًا حتّى يعْدل فى أقدامه وعليه أنشأه الله وصوره ومن وصايا بعض الحكماء ولا تكن حلواً فتشرطَ ولا مرّا فتعفى فالعدل سار فى جميع الأشياء فاجعل العدل حاكمًا على نفسك وأهلك ورجلك وخولك وعبيدك وأصحابك وجميع من توجه عليه حكمك وفى كلامك وفعلك ظاهراً وباطنًا.

الباب السابع

فى ذكر الوزير وصفاته وكيف يجب أن يكون

جرى التدبيـر الربّانى الحكمىّ فى العادة أن لا يستقـيم أمر ملك فى ملكه إلاّ بوزير يدبره يكون واسطة بين المالك والمملوك ولذلك اقتضت الحكمة لمّا أبرزنا هذا الخليـفة المـذكـور أن نجعل له وزيراً يسـمّى عـقلاً وعليـه يتوجـه الخطاب من الله تعـالى إذ هو مدبّر الـمملكة، قـال الله تبارك وتعـالى: إن فى ذلكَ لآيات لأولى الألبــاب وأولى النُّهى ﴿إن فى ذلك لذكـرى لـمنْ كـانَ لهُ قَلب﴾ أىّ عقل ﴿أوْ ألقى السَّمعَ وَهو شـهيد﴾ أى عقيل فأوجـد الله سبحانه لهذا الإمام هذا الوزير الّذى يقال له العقل وإنّمـا سمّى عقلاً لأنّه يعقل عن الله تعالى كلّ مـا يلقى إليه وهو على المـملكة كالعقـال على الدابة يحفظهـا حذر الحران ولهذا سمّـاه عقلاً واصطفاه له وزيراً فعيـلاً يحتمل أن يكون من الوِزْر والوَزَر وكلاهما موجود فيه فإن كان من الوِزْر الّذى هو الثقل فإنّه حامل أثقال المملكة وأعبـائها وإن كان من الوزر الّذى هو المَلجأ فإنّه يلجأ إليـه فى جميع الأشيـاء إذ هو لسان الخليفة والمنفّـذ عنه أوامره فلهذا المـعنى صحّ عليه اسمُ الوزارة لمّا لم يكن أيضًـا بُدّ من وجود معـنى هذا اللفظ وهو موجود عـجيب ومخترع لطيف أوجده البارى فى ثانى مـقام من الإمام وأنزله من الخليفة منزلة القمـر من الشمس على مذهـب من يقول بالاستـمداد ولهذا تراه عند حـضور الملك وتجليه ليست له تلك الصولة ولا يبصر لأنّ الأمر هناك صادر عن الإمام بارتفاع الوسائط وهيبة المشاهدة عظيمة وحظُّها من كتاب الله قوله تعالى ﴿لمنِ الملكُ اليَوْم .. لله الواحِـد القَهَّار﴾ وفى وقت الحجاب وقـعت الدعاوى نعوذ بالله من حجـاب الدعوى فـمتى احتـجب الخليفـة كان للوزير الظهـور وإنفاذ الأوامر والإعطاء والمنع إذ هو لسـان الخليفة والمترجم عـنه وهذا موجود فى

سرّ روحانية القمر والشمس ألا ترى القمر إذا حصل فى قبضة الشمس ليس له نور ولا ظهور لاستيلاء الشمس عليه فإذا كانت الليالى البيضُ كان له الظهور التامّ بمغيب الشمس عن مرأى أعين الناظرين فالقمر فى ذلك الوقت يشاهد الشمس والعالم والناس لا يشاهدون إلاّ القمر وهذا سر عجيب وهذا باب عظيم للحقائق فيه مجال وانفساح ولأرباب القلوب فيه اعتبار بيّن اندماج واتضاح لأن الحكمة غريبة فى إبداره على قدر سراره ثلاثًا بثلاث وقد ذكرنا هذا السرّ فى غير هذا الموضع مستوفى فى كتاب المثلّثات لنا وحظُّه من الكتاب العزيز ﴿قل أعوذُ بربِّ النَّاس * مَلكِ النَّاس * إله النَّاس﴾ وكان شيخنا أبو مَدْيَن ﷺ ما حصل له من سر الوجود عند التجلى المحمدى إلا مقام ملك الناس ولهذا كان يصرح بأنّ سورته من القرآن ﴿تبارَكَ الذى بيده المُلْكُ﴾ ومقامُ إله النَّاس انفرد به القطب ولذلك كان أبو مدْين أحد الإمامين الموجودين فى العالم.

ثمّ نرجع ونقول فلمّا أبدع بنيته وسوى جوهريته أودع فيه حسنَ التدبير والسياسة وجميعَ الأمور اللائقة بالمملكة من مقامه إلى أدنى موجود من رعيته وعلى هذا المَهْيع وردَت الشرائع ثمّ نقش سبحانه جميع العلوم فى جوهر ذاته فصار محلا للعلوم مع أنّه لا يدرى أين يصرفها ولا الحالات الّتى يصرفها فيها وذلك حكمة منه تعالى ليكون مضطرّا إلى الخليفة كما فعل بالخليفة فيما تقدم عارفًا بنفسه وقدره وعارفًا بمخدومه الّذى أوجده من أجله ثمّ أقعد سبحانه الخليفة على عرش الوحدانية وردّاه برداء الفردانيّة وحلاه بالصفات الإلهيّة فاكتسى من الإجلال والهيبة والعظمة ما لو ظهر لعالم الشهادة منها مقدار سَمّ الخياط لبهرهم وصعقوا من حسّهم وسلبوا عن نفوسهم وهذا مقام الخليفة فكيف بنا بمشاهدة الحقّ سبحانه فى دار الكرامة فانظر وفقك الله ما أعظم هذه القوةَ العجيبة الّتى يؤيدنا الله بها فى إدركنا عند النظر إليه جلّ جلاله فى الدار الآخرة فلمّا قام الخليفة فى هذا المقام أدخل عليه والعقل فلمّا دخل عليه تجلت صورة العقل فى جوهريته فى ذات الخليفة فلاحت له الأسرار والعلوم

المنقوشة فيه والناس يغلطون فى هذا المقام فيطلبون من خارج ما هو فيهم فيتعبون ولو وقفوا عند قوله تعالى ﴿وَفى أنفُسكم أفلا تبصرونَ﴾ لاستراحوا، شعر:

قـــد يَرحَـل المــــرء لمطلـوبه

والســـبب المطلـوبُ فى الـراحِلِ

فإذا أراد العقل معرفة شىء فى تدبير الملك وإصلاحه افتقر عند ذلك إلى مشاهدة الإمام فعند المشاهدة يلوح له المراد فيه فيقوم له التجلى منزلة الخطاب من الملك إلى الوزير إذ المراد حصول العلم وبهذا يعبر عن مخاطبة المعقولات فإنهم ليسوا بأجسام تكون فيها أصوات وحروف وإذا لم تكن أصوات وحروف ورقوم إلى غير ذلك من الدلائل فلك أن تنظر إلى ما يؤدى إليه تلك الأدلة من الأصوات وغيرها فى قلب السامع فهو حصول المعنى وهو أثر الكلام من المخاطب فكذلك إذا حصل للعقل آثار العلوم فى قلبه من فيض الروح الكلّىّ عبَّرْنا عنه بالكلام والقول والخطاب فلمّا أوجده على هذه الصفة جعل مَسْكنَه الدماغ ليشرف على أقطار المملكة وأن يكون قريبًا من خزانة الخيال الّتى هى مستقرّ جبايات البادية وقريبًا من خزانة الفكر والحفظ حتّى يقربَ عليه النظرُ فى جميعِ مهمّاته فينبغى لك أيّها الخليفة الأكرم أن تحافظ على وزيرك وتسايسه وتتحبّب إليه فإنّ فى بقائه صلاح ملكك ومدينتك ألا ترى إذا اتفق فى العقل شىء وهلك بفساد محلّه كيف تخرب مدينة الجسم ولا يقدر الروح على تلفيقها فحافظ على الوزير حفظك على نفسك فهو يدك الّتى بها تبطش وعينك الّتى بها تبصر فمتى هممت بإمضاء أمر فى ملكك فقرب العقل وتدبر معه وشاوره وانظر إلى ما يصدر عنه فيه واعمل بما يشير به عليك فإنّ الله تعالى قد أودع الصواب فى رأيه وتحفظ من الوهم فإنّ الوهم موجود يبرز للنفس على صورة العقل فقد يلتبس عليك وهو وزير مطاع له فى الإنسان تأثير عظيم وهو المستولى على الناس والباعث على الأفكار الرديئة وهو يورث الوسوسة فتحفظ منه وميزْ وزيرك عينا واسمًا ولا تستبدّ بنفسك فلا خيرَ فى أمر

ولا ملك لا يدبره عقل ولمّا كان الوزير قد يشبه به من أكثر وجوهه وصفاته لا من كلّها اضطررنا إلى نعته بالنعوت الكاملة التى لا يمكن للوهم أن يتشبّه بها على الكمال فانظر إلى النعوت التى أنا أذكرها لك إن شاء الله فإذا رأيتها قد قامت بموجود مًا فذلك وزيرك وهو المراد فاحفظها وحصلها وحصّنْها تغتبط إن شاء الله تعالى.

تفصيل: خلق الوزير وصفاته فاعلم رحمك الله أن العدل شخصه والهمّة رأسه والجمال وجهه والحفظ حاجباه والحياء عيناه والطلاقة جبينه والعزّة أنفه والصدق فمه والحكمة لسانه والنيةْ عنقه والسعة واحتمال الأذى صدره والشجاعة عضده والتوكل مرفقه والعصمة معصمه والكرم كفه والإيثار بنانه والجود يده واليمن يمينه واليسر يساره والورَع بطنه والعفة فرجه والاستقامة ساقه والرجاء والخوف قدماه والفطنة قلبه والعلم روحه والأمانة حياته والزهد لباسه والتواضع تاجه والخشية إكليله والحلم خاتمه والأنس بيته والهدى طريقه والشريعة مصباحه والفهم دثاره والنصح شعاره والفراسة علمه والفقر كسبه والعقل اسمه والحق سمعه فإذا رأيت هذه الأوصاف فاتخذه وزيراً ولليلك سميراً.

قال المؤلّف: ولمّا كانت الفراسة علمَ هذا الوزير المذكور ومحلَّ كشفه واطلاعه على ممكنات الخواطر ومغيّبات الأمور احتجنا إلى أن نسوق منها طرفًا مختصراً عقيب هذا الباب حكميّة وشرعية إن شاء الله.

الباب الثامن

فى الفراسة الشرعية والحكميّة

قال الله تعـالى ﴿إنَّ فى ذلكَ لآياتٍ للمتَوسـمينَ﴾ وقال ﷺ «اتـقوا فراسـة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله» فـالفراسة أكـرمك الله نور من أنوار الله عزّ وجل يهدى له عباده ولها دلائل فى ظاهر الخلق جـرت الحكمة الإلهيّة بارتباط مدلولاتها بـها وقد تشذّ ولكن ذلك نادر فى الفـراسة الحكميّة إذ هى مـوقوفة على أدلة عاديّة ضـعيفة وأمّـا الشرعيّة فلا تشـذّ لأنهّا عن أمر إلهىّ كـما قال: ﴿ومَا فعلته عن أمرى﴾ فهى مستمـرة عند أهلها لأن دلائلها فى نفس من قامت به بخلاف الحكمـيّة فإن أدلتها فى نفس المـتفرّس فيه فـرأينا أن نسوق فى هذا الباب الفراستين معًا على أخصر ما يمكن وأتمّه.

الفراسة الحكمية أعزّك الله من المعارف الفكريّة والعلوم النظريّة والأحكام التجريبيّة وإنما مسّت الحاجة إليها فى هذا الكتاب إذ ليس كلّ أحد يهبه الله نور اليقـين ويزيل حجاب الريون عن عين بصـيرته فينتظم فى سلك أهل الفـراسة الشرعية فلـما لم يتمكن هذا لكل أحد لكونها موهوبةً من الله تـعالى فلا يفوز بها إلاّ الخواص من عبـاده وكتابنا هذا موضوع للخاصّ والعامّ فيـما يحتاج إليه وهذا الباب من آكد ما يحتاج إليه ويعـوّل عليه لأنّ الإنسان مضطرّ إلى معاشرة الناس ومخاللتهم كلُّ إنسان فى صـنفه وفى عالمه وإذا كان عنده هذا الاضطرار وليس عنده من الفراسة الشـرعية ما يميـز به بين إخوانه سقنا فصلا كـافيًا من الفراسـة الحكميّة ليـقف الإنسان عنده ويصـرفه فى مهـمّاته ويشتـغل بضروب الطاعات عسى الله أن يفتح له بابًا من عنـده إلى نور اليقين وملاحظة الملكوت الأعلى فاعلم يا أخى وفـقنا الله وإياك أنّ أحسن الهيئـات وأعدل النَّشآت الّذى ينبغى لك أن تتخـذه سجيراً ولليلك سمـيراً ولملكك وزيراً، منْ ليس بالطويل

ولا بالقصير ليّن اللحم رطبه بين الغلظ والرقة أبْيض مشوب بحمرة وصفرة معتدل الشَّعر طويله ليس بالسبط ولا الجعد القطط فى شعره حرة ليس بذلك السوادُ أسيل الوجه أعين مائل إلى الغثور والسواد معتدل عظم الرأس مائلُ الأكتاف فى عنقه استواءٌ معتدل اللَّبَّة ليس فى وركه ولا صلبه لحم خفى الصوت صاف ما غلظ منه وما رقّ ممّا يستحبُّ غلظه أو رقته فى اعتدال طويل البنان للرقة سبط الكف قليل الكلام والضحك إلا عند الحاجة ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء فى نظره فرح وسرور قليل الطمع فى المال ليس يريد التحكم عليك ولا الرئاسة ليس بعجلانَ ولا بطىء فهذا قالت الحكماء أعْدل الخلقة وأحكمها وفيها خُلُقَ سيّدنا محمّد ﷺ حتى صحّ له الكمال ظاهراً وباطنًا فإن قدرتَ أن لا تصحب إلاّ مثلَ هذا فافعل ولا تقف مع شهوتك إذا لم ينور الله بصيرتك فإن رزقت النور الإلهى فأنت إذ ذاك سلطان العالمين وصاحب الحقيقتين الوجود تحت قهرك وبأسك وأمرك واعلم يا أخى أن الحكماء زعموا فى مقالاتهم فى الفراسة ورأيت ذلك تجربة أن أعدل الخلق ما تقدّم وصفهُ وممّا ذكروا فى مقالاتهم أنّ البياضْ الصادق مع الزُّرقة والشقرة الكثيرة دليل على القحة والخيانة والفسوق وخفّة العقل فإن كان مع ذلك واسعَ الجبهة ضيقَ الذقن أزعَر أوجَن كثير الشعر على الرأس فقالت الحكماء إنّ التحفظ ممَّن هذه صفته كالتحفظ من الأفاعى القتّالة.

الشعر: واعلم أنّ الحكماء قالوا إنّ الشعر الخشن يدلّ على الشجاعة وصحّة الدماغ والشعر الليّن يدْلّ على الجبن وبرد الدماغ وقلّة الفطنة وكثرة الشعر على الكتفين والعنق يدلّ على الحمق والجرأة وكثرة الشعر على الصدر والبطن يدلّ على وحشة الطبع وقلّة الفهم وحبّ الجور والشقرة دليل على الحمق وكثرة الغضب وسرعته والتسلُّط والأسود من الشعر يدل على العقل والأناة وحب العدل والمتوسط من هذين يدلّ على الاعتدال:

الجبهة: قالت الحكماء الجبهة المنبسطة الّتى لا غصون فيها تدلّ على

الخصومة والشغب والرقاعة والصَّلف ومن كانت جبهته متوّسطة فى النتوّ والسعة وكانت فيها غصون فهو صادق محبّ فهم عالم يقظانُ مدبّر حاذق.

الأذنان: ومن كان عظيم الأذنين فهو جاهل إلاّ أنّه يكون حافظًا ومن كان صغير الأذن فهو أحمق سارق.

الحاجب: والحاجب الكثير الشعر يدلّ على العىّ وغث الكلام فإن امتدّ الحاجب إلى الصُّدغ فصاحبه تيّاه صلف ومن رقّ حاجبه فاعتدل فى الطول والقصر وكان أسودَ فهو يقظان فهم.

العين: أرْدأ العيون الزرق وأردأ الزرق الفيروزجية فمن عظمت عيناه وجحظت فهو حسود وقح كسلان غير مأمون وإن كانت زرقاء كان أشد وقد يكون غاشا ومن كانت عيناه متوسطةً مائلة إلى الغئور والكحلة والسواد فهو يقظان فهم ثقة محبّ فإن أخذت فى طول البدن فصاحبها خبيث ومن كانت عينه جامدة قليلة الحركة كالبهيمة ميت النظر فهو جاهل غليظ الطبع ومن كانت فى عينه حركة بسرعة وحدّة نظر فهو محتال لصّ غادر ومنْ كانت عينه حمراء فهو شجاع مقدام فإن كان حواليها نقط صفر فصاحبها أشر الناس وأرداهم.

الأنف: إذا كان دقيقًا فصاحبه نزق ومن كان أنفه يكاد يدخل فى فمه فهو شُجاع ومن كان أفطس فهو شبق ومن كان ثقب أنفه شديد الانتفاخ فهو غضوب وإذا كان غليظ الوسَط مائلاً إلى الفطوسة فهو كذوب مهذار وأعدل الأنوف ما طال غيرَ طول فاحش ومن كان أنفه متوسط الغلظ وقناه غير فاحش فهو دليل على العقل والفهم.

الفم: ومن كان واسع الفم فهو شجاع ومن كان غليظ الشفتين فهو أحمق ومن كان متوسط الشفتين فى الغلظ مع حُمرة صادقة فهو معتدل ومن كانت أسنانه ملتوية أو ناتيةً فهو خدّاع متحيل غير مأمون ومن كانت أسنانه منبسطةً خفافا بينهما فلج فهو عاقل ثقة مأمون مدبّر من كان لحم الوجه منه منتفخ الشدقين فهو جاهل غليظ الطبع ومن كان نحيف الوجه أصفر فهو ردىء خبيث خدّاع شكس من طال وجهه فهو وقح من كانت أصداغه منتفخة وأوداجه

ممتلئة فهو غضوب من نظرته فاحمر وخجل وربما دمعت عيناه أو تبسم تبسمًا لا يريده فهو لك متودّد محبّ فيك ولك في نفسه مهابة.

الصوت: الصوت الجهير يدلّ على الشجاعة والمعتدل بين الكدّ والتأنى والغلظ والرقة يدلّ على العقل والتدبير والصدق سرعة الكلام ورقته تدلّ على القحة والكذب والحيل، الغلظ فى الصوت دليل على الغضب وسوء الخلق، الغنّة فى الصوت دالة على الحمق وقلّة الفطنة وكبر النفس.

التحرُّك الكثير دليل على الصلف والهدر والخداع الوقار فى الجلسة وتدارك اللفظ وتحريك اليد فى فصول الكلام دليل على تمام العقل والتدبير وصحّة العقل.

العنق: قصر العنق دليل على الخبث والمكر، طول العنق ورقته دليل على الحمق والجبن والصياح فإن انضاف إليهما صغر الرأس فإنّه يدلّ على الحمق والسَّخف، غلظ العنق يدلّ على الجهل وكثرة الأكل، اعتدال العنق فى الطول والغلظ دليل على العقل والتدبير وخلوص المودّة والثقة والصدق.

البطن: البطن الكبير يدل على الحمق والجهل والجبن، لطافة البطن وضيق الصدر تدلان على جودة العقل وحسن الرأى.

عرض الكتفين **والظهر** يدلان على الشجاعة وخفة العقل، انحناء الظهر دليل على الشَّكاسة والنزاقة استواء الظهر علامة محمودة بروز الكتفين دليل على سوء النيّة وقبح المذهب، إذا طالت الذراعان حتى تبلغ الكفُّ الرَّكبة دلّ على شجاعة وكرم وقبل النفس وإذا قصرت فصاحبها جبان محبّ للشرّ.

الكفّ الطويلة مع الأصابع الطوال تدل على النفوذ فى الصناعة وإحكام الأعمال وتدبير الرئاسة.

القَدَم: اللحم الغليظ فى القدم يدل على الجهل وحبّ الجور القدم الصغير اللين يدلّ على الفجور، رقة العقب تدلّ على الجبن، وغلظته تدلّ على الشجاعة.

الساق: غلظ الساقين مع العرقوبين دليل على البله والقحة، من كانت

خُطاه واسعة بطيئةً فهو منجح فى جميع أعمال مفكر فى عواقبه والضدّ للضد.

فهذا وفّقك الله فصل مختصر فى الفراسة الحكمية على ما وضعته الحكماء فتحققه ترشد فى معرفة الناس إن شاء الله تعالى وحده.

قال المؤلّف: ولنعمدْ فى هذا الفصل الّذى ذكرته الحكماء إلى النشأة المعتدلة المذكورة فى أول هذا الباب ولنمش عليها النشأة الروحانية حرفًا حرفًا فأقول:

اعلم لمّا كان للروح الإنسانى وجه إلى النور المحض ووجه إلى الظلمة المحضة وهى الطبيعة كانت ذاته متوسطة بين النور والظلمة وسبب ذلك أنّه خلق مدبرًا لنشأة طبيعية عنصريّة كالنفس الكلية الّتى بين الهباء والعقل فالهباء ظلمة والعقل نور محض والنفس بينهما كالسُّدفة فمتى ما لم يغلب على اللطيفة الإنسانية أحد الوصفين كان معتدلاً يؤتى كلَّ ذى حق حقَّه ومتى ما غلب عليه النور المحض أو الظلمة المحضة كان لما غلب عليه كما ذكر فى النشأة الجسميّة من الطول المفرط أو القصر المفرط والبياض المفرط والسواد المفرط وكلُّ ضدّين على التفاوت فى أحد الطرفين فأقول أمّا البياض المفرط فاستفراغه للنظر فى عالم النور بحيث لا يبقى فيه ما يدبر به عالم طبيعته فيفسد سريعًا قبل حصول الكمال فكان مذمومًا وكذلك فى الجانب الآخر وهو السواد المفرط بحيث يمنعه النظر فى طبيعته عن عالم النور فذلك أيضًا مذموم فإذا كان وقتًا ووقتًا كما قال ﷺ لى وقت لا يسعنى فيه غير ربّى وكان له وقت مع أصحابه ووقت مع أهله وكذلك الطول والقصر مدّة إقامته فى النظر فى أحد الجانبين فينبغى أن تكون المدّة بقدر الحاجة وأمّا اعتدال اللحم فى الرطوبة بين الغلظ والرقّة فهو اعتداله فى البرزخيّات بين المعنى والحسّ كاللحم بين الجلد والعظم وأمّا اعتدال الشعر فكونه بين القبض والبسط وأمّا كونه أسيل الوجه فهى الطلاقة والبشاشة وأمّا كونه أعْينَ فصحّة النظر فى الأمور وأما كون عينه مائلة إلى الغئورة والسواد فاستخراج الأمور الخفية

والعلوم الغيبيّة وأمّا كونه معتدل عظم الرأس فتوفير العقل وأمّا كونه مائل الأكتاف فاحتمال الأذى من غير أثر وأمّا كونه مستوى العنق فالاستشراق على الأشياء من غير ميل إليها وأمّا كونه معتدل اللبة الّتى هى مجرى النفس لاستقامة الأصوات فاستقامة الكلام فى الخطاب بما يليق بالمخاطب وأمّا كونه ليس فى وركه ولا صلبه لحم فنظراً إلى الأمور الّتى يلجأ إليها ويتورك عليها أن يكون مخلصه لأحد الطرفين فإنه إن كانت برزخية فقد تغدر به فى غالب الأمر وأمّا كونه خفى الصوت فهو حفظ السر وأمّا صفاء الصوت فهو أن لا يزيد فيه شيئًا وأمّا طول البنان فلطافة التناول وأمّا بسط الكفّ فرمى الدنيا من غير تعلق وأما قلة الكلام والضحك فنظره إلى مواضع الحكمة فيتكلم ويضحك بحسب الحاجة وأمّا كون ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء فهو أن يغلب عليه الجنوح إلى العالم العلوىّ وأما كونه فى نظره فرح وسرور فهو استجلاب نفوس الغير عليه بالمحبة وأمّا كونه قليل الطمع فى المال فهو البعد عن الغائلة وأما كونه ليس يريد التحكم عليك ولا الرئاسة فهو شغله بكمال نفسه لا بك وأمّا كونه ليس بعجلان ولا بطىء أى ليس بسريع الأخذ مع القدرة ولا عاجز فهذا قد ذكرنا اعتدال النشأة اللطيفة الإنسانيّة حرفًا بحرف على النشأة المعتدلة الطينية الّتى ذكرناها عن الحكماء آنفًا ثمّ نأخذ بتفصيل الأعضاء على هذا المثال بقدر ما يوقف للنظر السديد فى ذلك ولم نودعه هنا لئلا يطول الكتاب فلنرجع إلى الفراسة الشرعيّة فأقول.

الفراسة الشرعية: اعلم رحمك الله ونور بصيرتك أنّ عالم الملكوت هو المحرك لعالم الشهادة وهو تحت قهره وتسخيره حكمةً من الله تعالى لا لنفسه استحق ذلك فعالم الشهادة لا تصدر منه حركة ولا سكون ولا أكل ولا شرب ولا كلام ولا صمت إلاّ عن عالم الغيب وذلك أنّ الحيوان لا يتحرك إلاّ عن قصد وإرادة وهما من عمل القلب وهو من عالم الغيب والحركة وما شاكلها من عالم الشهادة، وعالم الشهادة عندنا ما أدركناه بالحسّ عادةً وعالم الغيب ما أدركناه بالخبر الشرعىّ أو النظر الفكرىّ فيما لا يظهر للحسّ عادة فنقول إنّ

عالم الغيب يدرك بعين البصيرة كما أن عالم الشهادة يدرك بعين البصر وكما أن البصر لا يدرك عالم الشهادة ما لم يرتفع عنه حجاب الظلم أو ما أشبهه من الموانع فإذا ارتفعت الموانع وانبسطت الأنوار على المحسوسات أدرك البصر المبصرات فإدراكها مقرون بنور البصر ونور الشمس أو السراج وأشباهها من الأنوار كذلك عين البصيرة حجابها الريون والشهوات وملاحظات الأغيار إلى مثل هذه من الحجب فتحول بينها وبين إدراك الملكوت أعنى عالم الغيب فإذا عمد الإنسان إلى مرآة قلبه وجلاها بأنواع الرياضات والمجاهدات حتى زال عنها كل حجاب واجتمع نورها مع النور الذى ينبسط على عالم الغيب وهو النور الّذى يتراءى به أهل الملكوت وهو بمنزلة الشمس فى المحسوس اجتمع عند ذلك نور عين البصيرة مع نور التمييز فكشف المغيّبات على ما هى عليه غيرَ أنّ بينهما لطيفة معنى وذلك أنّ الحسّ يحجبه الجدار والبعد المفرط والقرب المفرط والأجسام الكثيفة الحائلة بينه وبين من يريد إدراكه وهذا لقصور عادةً وقد تنخرق لنبى أو ولىّ كقول النبى ﷺ إنى أراكم من وَراء ظهرى وفى الأولياء ابتداء المكاشفات لهم فى أوّل سلوكهم فإنّ المريد أوّل ما يكشف له عن المحسوسات فيرى رجلاً مقبلاً أو على حالة مّا وبينهما البعد المفرط والأجسام الكثيفة بحيث أن يراه بمكّةَ أو يرى الكعبة وهو بأقصى المغرب وهذا كثير عند المريدين فى أول أحوالهم ذقت ذلك كله ولله الحمد ثم ينتقلون عن ذلك إن كانوا من أهل العناية والاختصاص بالوارثة النبوية وإن بقى عليهم ذلك أعنى خرق العادة على الدوام فهم المعبر عنهم بالبدلاء وإن تخلّلهم ذلك فى وقت دون وقت فهو إمّا وارث وإما عابد صاحب الفترات وأمّا عالم البصيرة فلا ، إذ عالم الغيب ليس بينه وبين عين البصيرة مسافة ولا بعد ولا قرب مفرط وحجابه إنما هو الران والقفل والكنّ وقد ارتفعت بالمجاهدات فلاحت أعلام الغيوب لكن ثمّ أمر تدركه وهو إن انجلت عين البصيرة كما ذكرنا فإن ثَمَّ حجابًا آخراً إلهيًا وهو أن النور الذى ينبسط من حضرة الجود على المغيبات فى الحضرات الوجودية ليس يعمها إلاّ على قدر ما يريد الله تعالى أن

يكشف لك منها مع أنك فى غاية الصفاء والجلاء وذلك هو مقام الوحى دليلنا على ذلك لأنفسنا ذوقنا له ولغيرنا قوله تعالى ﴿قلْ ما كنتُ بدْعًا من الرُّسُلِ ومَا أدْرى مَا يُفعلُ بى وَلاَ بكمْ إن أتبع إلاَّ مَا يوحَى إلىَّ﴾ مع غاية الصفاء النبوىّ فكيف بالولىّ الذى ما فتح له من الطريق خرق إبرة فهذا هو الحجاب الإلهى وهو فى الكتاب العزيز ﴿وَمَا كان لبَشَر أن يكلمه الله إلاَّ وَحيًا أوْ من وراء حجاب﴾ فقوله ﴿إنْ أتبع إلاَّ ما يوحى إلىَّ﴾ هو قدر ما يكشف له من عالم الغيب فيرى تأثيره فى عالم الشهادة فيتكلم به على ذلك الحد فيقول يكون كذا ولا يكون كذا وعاقبة أمر مَّا إلى كذا على قدر الكشف وهذا الحجاب الإلهى لا يمكن رفعه عقلاً ولو بلغ المرء على الغايات بدليل أنّ هذا الحجاب إنّما هو العلم الأزلىّ المتعلق بمعلومات غير متناهية وكل ما حصره الوجود فهو متناه ولا تكشف عين البصيرة إلاّ ما دخل فى الوجود بوجه مَّا من أوجه مراتب الوجود فلا حجة لك فى قوله تعالى ﴿وَكلَّ شَىء أحْصيناهُ فى إمَام مبين﴾ قال الله تعالى ﴿ما نفدتْ كلمات الله﴾ وقال ﴿لَنفدَ البحر قبلَ أنْ تَنْفد كَلمات ربّى﴾ وذلك لعدم التناهى فإذا تقرر لنا هذا وصح لنا حدُّ الكشف عن عالم الغيب فمهما ظهر ممن حصل فى هذا المقام شىء من ذلك على ظاهره فى حق شخص مَّا فتلك الفراسة وهى أعلى درجات المكاشفة وحظها من الكتاب المبين ﴿إن فى ذلكَ لآيات للمُتوسّمين﴾ وذلك أن لها علامات فى الحسّ بينها وبين عالم الغيب ارتباط وهذا علم موقوف على الذوق خلاف الفراسة الحكمية فإنها موقوفة على التجربة والعادة وقد لا تصدق وهذا لا سبيل عند أهل هذا الشأن إلى تكذيبه فإنّه نور الله تعالى فلا يعطى إلاّ الحقائق فهكذا تكون الفراسة الشرعية وسبب حصولها ما ذكرناه وقد جعل الله لعالم علمها علامات فى ظاهر الموجودات كما جاء الأثر عن عثمان ﷺ حين أخذ على الرجل فى نظره إلى ما لا يحل له فقال له الرجل أوحى بعد رسول الله ﷺ قال لا ولكن قال رسول الله ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله رأيت ذلك فى عينيك وتلك العلامات إنّما هى حجب نصبها الله تعالى لأعين

الغير لتأنيس القلوب الضعيفة واستمالتها حتّى تطمئن ولو قال غير النبىّ إنّما رأيت ذلك لمّا انبسط نور اليقين على الكتاب الحفيظ فنظرت فعلك فيه فقضيت عليك محبة الأذان لقبضت عنه النفوس مع صدقه فى ذلك فلمّا علقت بعلامات ظاهرة سكن القلب والخاطر الضعيف إلى ذلك مع قوة دليل الشرع فى قوله «اتقوا فراسة المؤمن» فاجتمع من ذلك بعض إيمان ومع ذلك قد يتهم ويقال لعله كاهن أو صاحب رأى فالعلل كثيرة.

تنبيه: بقى لنا من الباب شىء فى الغرض الّذى قصدنا وهو تصحيح النسختين بالمقابلة فى الفراستين الشرعية والحكميّة وذلك أنّ للقائل أن يقول إذ ولا بُدَّ عندكم من المقابلة فأين حظُّ الأشقر والأزرق والعظيم الأنف والمعتدل الكحولة من هذه الفراسة الشرعية فنقول له سألت سؤال عارف ونحن إن شاء الله نخلصه لك ونلخصه بأيسَر شىء وهو أنّا نظرنا إلى الفراسة الحكمية فرأينا أربابها والقائلين بها والقاطعين بحكمها راجعين إلى طرفين وواسطة وقسموا الأشياء إلى محمود ومذموم فجعلوا الخير كلّه والمحمود فى الوسط وجعلوا الذم والشرّ فى الطرفين فقالوا فى الأبيض والأشقر والأزرق ما سمعتَ من الذم وأنّه غير محمود وكذلك الأكحل الشديد السواد والدقيق الأنف جداً مذموم كلٌّ هذا والمعتدل بينهما الغير مائل إلى أحد الطرفين ميلاً كليًا هو المحمود على حسب ما تقدم فى الفراسة الحكمية فلمّا رأيناهم قد حصروا هذه الأشياء وقصروها على هذا القدر نظرنا فى هذا العالم أين ظهر الحسن والقبح فقلنا لا حسن ولا قبح إلا شرعًا على هذا قام لنا الدليل فلمّا رأينا أنّ الحمد والذم على الفعل من جهة مّا شرعًا نظرنا كيف نجمع طرفين وواسطة لنجعل الطرفين مذمومًا ولنجعل الوسط محموداً الّذى هو محلّ اعتدال فنقول الإنسان لا يخلو أن يكون واحداً من ثلاثة بالنظر إلى الشرع وهو إما أن يكون باطنيًا محضًا وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالاً وفعلاً وهذا يؤدى إلى تعطيل أحكام الشرائع وقلب أعيانها وكلٌّ ما يؤدى إلى هدم قاعدة من قواعد الدين فهو مذموم بإطلاق عَصَمَنا الله وإياكم من ذلك وإما أن يكون

ظاهريًا محضًا متغلغلاً بحيث أن يؤديه ذلك إلى التجسيم والتشبيه فهذا مثل ذلك ملحوق بالذّم شرعًا وإمّا أن يكون جاريًا مع الشريعة على فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشى وحيثما وقف وقف قدمًا بقدم وهذا هو الوسط وبهذا تصح محبّة الله له قال تعالى ﴿فَاتبعونى يحببكمُ الله ويغفر لكمْ ذُنوبكم﴾ فباتّباع الشارع واقتداء أثره صحّت محبة الله للعبد وغفرت الذنوب وصحت السعادة الدائمة فهذا أعزّك الله وجهُ مقابلة النسختين.

فإن قال قائل: سلمنا هذا التقابل وهو صحيح فكيف نميزه من الإنسان على التعيين وأنا رأيت رجلاً ساكتًا يشهد الصلوات والجماعات وهو مع ذلك منافق مُصرّ **قلنا**: قد تقدم مكان هذا فى الباب ولكن لا بدّ أن نجيبك على ما سألت وذلك أن السكوت وشهود الصلوات وأشباههما من عالم الشهادة وكونه كافرًا بها فى سرّه فهو من عالم الغيب ونحن إذا تحصّل لنا الفراسة الشرعية حكمنا بكونه كافرًا فى نفوسنا وأبقينا ماله ودمه معصومًا شرعًا لظهور كلمة التوحيد فمعاملتنا له على هذا النسق وما كلفنا غير هذا وهذا وفقك الله تلخيص الفراسة الشرعية والحكمية قد أوضحتها لك غاية الإيضاح والتبيين والله سبحانه يوفق سيّدنا للعمل بأسباب حصُولها فى نفسه ويحابيه بالوقوف عليها إنّه القادر على ذلك.

الباب التاسع

فى معرفة الكاتب وصفاته وكتُبه

عَليك بكاتب لَبق رشيق
ذكيّ فى شمائله حَرارَهْ
تناجيه بطرفك من بعيد
فيفهم رجعَ لحظك بالإشارَهْ

الكاتب وفق الله الإمام وسلك به حيث لا خلف ولا أقام موجود لطيف كريم شريف أصفق عالم الغيب على شرفه واعتلائه نجيّ إدريس عليه السلام وهو أوّل من خط بالقلم وهو صاحب جلاء القلب وغطائه وبيده زمام منع الخير وعطائه تجول بين سناه الباهر وسنائه وتردد بين شُعاعه وضيائه ومنفذ الأوامر على القرب والبعد عالم بسرّ من له الأمر من قبل ومن بعْدُ يغنى ويفقر ويشح ويؤثر سجلّه ذاتُ النفس الكلية وهى حرة الإمام الزكية الموصوفة بالمطمئنة الراضية المرضيّة كتب فى رقها المنشور العلوم البرزخيّة فعندما يظهر آثاره على صفحات قراطيس الأجسام عبر عن ذلك بنفوذ أمر الإمام ونحن إن شاء الله نذكر فى هذا الباب صفة الكاتب والكتاب فى فصلين والله المؤيد لا ربَّ غيره.

فصل فى الكاتب: اعلم وفقك الله أن الله تعالى جعل فى المملكة الكبرى لوحًا محفوظًا وقلمًا معلومًا عليا بيمين مقدسة عن التأليف والتغيير فنفذ أمر الإرادة بالعلم من الحق إلى اليمين بتحريك القلم على سطح اللوح المحفوظ بعلم ما كان وما هو كائن وما يكون وما لا يكون ولما أثبتنا هذا الكتاب على مقابلة النسختين ومقابلتهما على النشأتين أردْنا أن نعرف أين الكاتب منا، شعر:

قلمی ونوحی فی الوجود یمدُّه

قلم الإله ولوحه المحفوظُ

ویدی یمین الله فی ملکوته

ما شئت أجری والرسوم حظوظ

فالكاتب صفة لطيفة علمية تسمى اليمين لها عين ومادتها من عليين وهو مقام الأبرار صاحب الشراب الممزوج فإذا أراد الإمام أن يظهر أمرًا من الملكوت فى عالم الشهادة تجلى للقلب فانشرح الصدر وذلك عبارة عن كشف الغطاء فارتقم فيه مراد الإمام وذلك القلب هو مرآة العقل فرأى العقل فى مرآته ما لم يكن رآه قبل ذلك فعرف أنّه مراد الإمام فاستدعى الكاتب فأطلعه على المراد وقال له اكتب فى ذات النفس كذا وكذا فإذا حصل فى النفس خرج على الجوارح فلهذا قلنا فيه إنّ شرابه ممزوج لأنه امتزج بعين المقربين وهو العقل فلهذا حصل له الشرف الكامل فى حقّه.

فإن قيل: ما مقام هذا الكاتب العرش أو الكرسىُّ أو بينهما وقد علمنا على ما قررنا فى مواضعها أنّ الكرسى هو محلّ الفرقان وهو النفس قال الله تعالى ﴿وَنفسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فجورها وتقواهَا﴾ فهذا فرقان والكاتب مرتبته أن يكتب فى مذموم ومحمود على اختلاف الأحوال وليس مقامه بحيث كتابته فخبرنى كيف يتفق هذا؟ قلنا قولك صحيح فاعلم أنه ليس من العرش إلى الكرسى مدح ولا ذم سوى علوم مقدَّسة وتنزلات نزيهة عن الاتصاف بالفرقان والعرش مقام الإمام والكرسى بمقام النفس وهى محلّ التغيير والتطهير حالا ومقامًا فإذا نفذ الأمر إلى الكاتب فإنه ينفذ واحدًا مقدسًا لا يتصف بذم ولا حمد والكاتب إنما يكتب من الخزانة المحمدية وهى التى يُفرق فيها كل أمر حكيم، فيؤخذ ذلك الأمر من الخزانة المحمدية على ما وضع لمتعلقه فإن كان حمدًا فهو ذلك فيحصل عند ذلك للكاتب علمًا وعينًا لا حالاً ولا مقامًا لأنه فوق ما يكتب فما يصدر عنه إلا حسن فهو بذاته مع تصرفه فى شغله الذى هو الكتابة من الخزانة المحمديّة فالذى حصل الأمرَ ورده أمرين إنّما هو الرسول

بذلك الأمر والمخاطب فالكتابة من ظاهره والكاتب من بـاطنه فحقيقة الرسول هى الممـدة لحال الكاتب فى حـاله ومقـامه وحاله أو حـقه هو المـمد له فى رقومه وأفعـاله فهو فرق من حيث هو مشـرف وهو واحد من حيث ذاته وهذا كلّه ليس لنفسه لأنّه لو أراد الله تعـالى أن يبدله بالتقديس تعبيراً وبـعليينَ سجينًا لما منعه من ذلك مانع لكن هنا سر نسوقه فى معرض السؤال لترتفع الهمة إلى طلبه وهو أن نقول أمن المحال أن يوجد هذا الكاتب فى سجين حتّى نقول إنّ بعض أبى جهْل وغيره من الفـراعنة فى عليين أعنى كاتبه وحقيقـته وبعضه فى سجين أو تكون المشيئة فى حق المعتنى به تقدس كاتبه وحقيقته وغير المعتنى فى السجين وإن كان محالاً ارتفاعه عقلاً فقد شرح شقى الشقى بكليته فانظروا فى كشف هذا السر المستور وفتح هذا الباب المقفل من أنفسكم لا من غيركم قلنا فهذا الكاتب مـوجود شريف اصطنعه الخليفـة لنفسه واتخذه سمـيراً لأنسه فمـمّا يحب عليه أن يكون حـسن الخلقْ صبوراً حـمولاً للأذى كاتمًـا للأسرار الملكوتية فـصيحًا بليغًـا يستدرج المعانى الكثـيرة فى عبارات وجيـزة تنبئ عنها صريحًا لا يسوق نصًا فى كتابه إلا فى مـقام يأمن عقابه فإن لم يأمن فليسق من ألفاظ فى كتـابه ما يحتمل معنيـين فصاعداً حتّى لو ظـهر على الإمام فى بعض كـتبـه شىء يعطيه أحـد محـتمـلات اللفظ وكرهَ الإمـام ذلك عدلَ الإمـام إلى الاحتـمال الثانى الذى يحتـمله ذلك اللفظ والله كثيـر العفو والتجـاوز فإنه إذا دخله الاحـتمـال سقط كـونه دليلاً علـى شىء معين وهذا من مهـارة الكاتب وثقابته وأن يجمع بين اعتدال حروفه ومعـانيه ولا يستعمل فى كتابه إلا الألفاظ الصقيلة المعتادة الخطابية التى بها وقع فى النفـس وتعلـق بالقلب وأن يبدأ فى سجـلاته بالحمـد والثناء والصلاة ثمّ يأخـذ فى عدل الإمـام وأوصافه الـحسنة الشريفة ومقدمه المنيف ويرغب فيه ثم بعـد ذلك يذكر ما أمر به فإن كان خيراً فهو المـرغوب وإن كان غيـر ذلك، فقد قيل لأبى يزيد: أيعـصى العارف وقال ﴿وكَانَ أمرُ الله قَدَراً مَقدوراً﴾ واعلم يا أخى أن الكاتب إذا كان على ما ذكرناه فهو قرع باب الصديقية ومن ثمَّ يحصل له ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله.

فصل فى الكتاب: ولمّا كانت اليمين الكاتبة افتقرنا إلى قلم ودواة واستمداد ولوح يقع فيه الخط كالحق واليمين والنون والقلم الأعلى واللوح المحفوظ وما هو مثل التخطيط فى الحال وارتقام الأمثلة فى اللوح ومثل ما يكون إيجاد العوالم الصادرة عن الأمثلة المرقومة فى اللوح فافهم اللوح المحفوظ هنا ولوح المحو والإثبات وانظر كيف أثبتناه حاويًا لما يتناهى فى رقمه وكل ما دخل فى الوجود متناه فابحث كيف لا يتناهى وما هو فى العالم الأصغر كالقطب ولعله السر المرقوم فى الصدر وهو موضع يحتاج العارف إلى الالتجاء فى معرفته فاللوح هو محل الكتابة فلنسمّه الكتاب ونقول إنّه ينقسم قسمين: كتاب مرقوم، وكتاب مسطور، قال الله تعالى: ﴿**والطُّور * وكتابٍ مسْطورٍ**﴾ وقال ﴿ **كتاب مَرقوم**﴾ فأقسم بالمسطور وأخبر عن المرقوم أنّه فى محلين فى سجين وفى عليين فالمسطور فى عالم الأرواح والمرقوم فى عالم الغيب والشهادة ومن جانب الحقائق أنّ المرقوم هو المسطور عينه من جانب الكشف الصحيح لكن لما لم يعاين منه الملأ الأعلى إلا الوجه الواحد الذى من قبلها وهو عالم الأمر كان مسطوراً ولما كان الإنسان قد جمع العلو والسفل أشرف على الوجهين فكان له مرقومًا فما ولى الراقم فهو المسطور وهو الموضع المشكل موضع انعقاد الخيوط وتداخل بعضها على بعض وما ولى الأرض من الكتاب كان مسطوراً أيضًا ومرقومًا باعتبار الوجه الذى يلى الراقم فى حق من شاهدهما فهذا المسطور الأرضىّ هو علم الفقهاء أصحاب علوم الأحكام المحجوبة قلوبهم تحت الدنيا عن معاينة الملكوت فالملائكة فى المسطور من عالم الأمر العلوىّ والفقهاء المحجوبون فى المسطور من عالم الخلق السفلىّ والمحققون فى المرقوم بمشاهدة الوجهين فما ولى الأرض شاهدوه حسا وما ولى الراقم وهو ما فوق العرش فى حق سرّ المحقق وما فوق السماء فى حق بعض عوالم الأمر شاهدوه قلبًا وعقلاً ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق**﴾ تجلى لهم فخاطبوه وخاطبهم فانحجبوا فإذا خرقوا الحجاب وانعدمت فى حقهم الأسباب نظروا إلى سر

القدر كيف يحكم فى الخلائق ولحظوا الأمر على مبدئه فإن شاءوا صمتوا وإن شاءوا نطقوا فمخاطبته إياهم كتابه فى قلوبهم وهى الألواح المحفوظة المكتوب فيها من كل شىء موعظة وتفصيلاً لكل شىء وفيها يقرأون وعنها يخبرون وتلك الخواطر الربانية فيأيها السيّد تفطن لهذا الكاتب فإنه وإن كان لك منصب الإمامة فله منصب الخطابة لا تستقل بها دونه فهو الإمام فيها لو حصلت معه فيها لخدمته ولكن لإقامة الحق لك فى الإمامة الإحاطية دخل هذا وغيره فى حزبها فراع حرمته فهو صاحب طابعك والمخاطب عنك فتحبب إليه وإلاّ أفسد ملكك فإن الوزير مفتقر إليه وغايتك وغاية وزيرك تدبير حضرة مسكنك وكتبه تمشى فى باديتك بما يريده لا بما تريد أنت إن شاء ذلك، واعلم أن الحضرة لا معنى لها إلا ببايديتها فإن فسدت البادية وثارت عليك أدى ذلك إلى فساد ملكك وأنى لك تلافيه فهو الأمين على الفجور والتقوى وملكك يقبل الصفتين معًا وقد نصحتك فالزم.

توقيع ربانى: نفذ الأمر المطاع الإلهى إلى الخليفة الإنسانى المثبوت فيه سرُّ ألوهيتى التردد بين أنيتى وهويتى وقد أبحت وجهى لمن أراده بلا إرادة ومزقت الحجب تمزيقًا لا يقبل ترقيعًا ولا تلفيقًا وفرغت عن القلوب فتزينت بمظالم الغيوب فاعكف فى حضرتى ساجدًا فإنك لا تزال مشاهدًا فإنّ الرؤية فى السجود والحجاب فى الوقوف فإنى القيّوم القائم على كل نفس بما كسبت فافهم ما سطرته وانظر فيما وسمته فإنّه لا خطاب فى الرؤية ولا رؤية فى الخطاب والسلام عليك سلام من لم ينفصل عنك ولا اتصل بك ورحمة الشهود وبركات الوجود.

توقيع ملكى: نفذ الأمر الحتم إلى الملك الكريم انزل على قلب الخليفة الإنسانى فإنك تجده على أحد ثلاثة أحوال إمّا معى أو مع نفسه أو مع عدوه إبليس فإن وجدته معى فلا تلق إليه شيئًا ممّا أوقعت لك فى هذا التوقيع فإنى أتولاه بنفسى لا أكل من توجه إلىّ وآثرنى على كل واحد إلى غيرى فإنى أتولى سياسة قلب عبدى فتأدب أيها الملك الكريم ولا تشعره بنزولك فيفرق

ويبادر إليك لمعرفته أنّك من عندى من جهة اسم ما فتوار عنه واحفظه من نفسه وشيطانه وجاهدهما ما استطعت وإن وجدته مع نفسه فأخطر له محادثة منك فى سرّه من غير أن يشعر بذلك القرين العدو ولا النفس أنّ يا فل أنفاسك محسوبة عليك وأوقاتك عليك شهداء فإياك والمباح فتندم وإياك والمحظور والمكروه فتشقى بالمحجة البيضاء وأداء ما افترض الله عليك إذا أردت فعل مباح من المباحات من أكل وشرب ونوم وغير ذلك فلا تتناوله تناول العامة فتندم أو تشقى ولكن تناوله بتنزيه وعبادة أمّا التنزيه فأن تتناوله برؤية نقصك وافتقارك إلى الحق فيه وتنزيه الحق عن حاجته لذلك كما قال الله تعالى ﴿وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ﴾ فقد نبهك وعلمك وأما العبادة فأن تنظر فى ذلك من جهة ما يليق فتتخذه عونًا على عبادتك كالأكل للقوة على أداء الصلاة والفرائض من جهاد وغيره والنوم للقوة على قيام الليل والنكاح لا لإنزال الشهوة ولكن لولد صالح أو اعتصام عن مواقعة محرّمٍ والفرصة للاعتبار وإماطة الأذى وإرشاد الضال وإغاثة الملهوف وما أشبه ذلك فهذه خواطر الملك بالتوقيع الإلهىّ.

توقيع نفسانى: نفذ الأمر الإلهى الذى لا يرد إلى النفس البرزخية أخطرى إلى الخليفة الإنسانى أن يفعل ما فيه راحته فى الدنيا ولا طلب عليه فى الأخرى ولا له فيه أجر عندنا فإن أجابك فهو لك لا لى وإن أعرض عنك فهو لى لا لك أو لمن هو له على حسب وقته وإنك ستجدينه على إحدى ثلاث إمّا معى أو مع الملك أو مع الشيطان فإن وجدته معى فتعرضى إليه فإنه يصير فراغك شغلاً ويرفع حجابك وتسعدين به وإن وجدته مع الملك فتأدبى وقفى حتّى ينفصل الملك بالنوم أو بالغفلة والسهو وحينئذ تخطرين له ذلك وإن وجدته مع الشيطان فزاحميه وحولى بينهما وأتيه بالملايمة ولا يغلبنَّك عليه وامضى فى سلطانك فيه وكيديه فإن كيده ضعيف واثبتى على ما جئته ولا تتنوعى عليه فإنّه سيعود إليك.

توقيع شيطانى: نفذ الأمر الإلهى إلى الشيطان الإرادى لا الأمرى انزل على الخليفة الإنسانى بتعدى الحدود وانتهاك المحارم والكفر والشرك

والبغى والحسد والفحشاء وعبادة غيرى فإن توقف لك فى أمر ما فاعدل عنه إلى أمر آخر ولا بدّ لك أن تجده على إحدى ثلاث إما معى أو مع الملك أو مع النفس فإن وجدته معى فانظر فى أى باب هو وفى أىّ إسم وأنزله من مملكتك التى ملكتك إياها من عالم الخيال من جنس الحقيقة التى هو معى فيها حتى ترى عصمتى لأوليائى وحفظى لهم وغيرتى عليهم كيف هو فإذا نزل إلى أفعالى وصفاتى فألق له مما فى توقيعك فإن قبله فهو لك فى ذلك الوقت ثم يتوب فيجوز وزره عليك تعذب به فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً وإن أشرك فهو لك وعذابه عليه وعليك وإن وجدته مع الملك فحاربه فإن غلبته بقيت أنا فإن خذلت عبدى ملكتك ناصيته وإن نصرته فأمران إما أن لا يقبل منك أو إن قبل قلب عينها فعاد ما نصبت له بعداً قربةً إلىّ وجاز كيدك عليك وإن وجدته مع النفس فزين لها العاجلة وابسط لها الأمل فإن اشتغلت به فألق فإنه عبد مطيع لك فى الحال وأنا معه بين الخذلان والنصرة أحكم بعلمى فيه وأنا العليم القدير.

فهذا أيها السيد الكريم توقيعات الحق فى الوجود المعبر عنها بالخواطر قد أوضحت لك مكانتها وإن كاتبك من أعرف الناس بها وهؤلاء الثلاثة تحت تسخيره والحق تعالى يجيب فقد حاز العلم الإحاطى والمقام فاعرف قدره ولا تنزل به عن درجته فإن هذه التوقيعات بيده وأمرها لا يرد وما أتى على الملوك قديمًا إلا من مجالسها ولا يغير حالها إلا من بسائطها فتفقد بساطك الكريم وميزّ بين الولى والعدو منه بفعلك معه والإحسان فى الجملة مقيّد مسدد يذهب بالضغائن ويزل الحقد ويثمر المودة والغيرة.

الباب العاشر

فى المسددين والعاملين أصحاب الجبايات والخراج

اعلم أيها السيّد الكريم حفظ الله عليك سلطانك أنّ الله تعالى قد رفع الموجودات بعضها على بعض وجعلها رئيسة مرءوسة ومالكةً مملوكةً وأن الله تعالى يطالبك يوم القيامة بالعدل فى رعيتك باديتها وحاضرتها وأن الله سيسألهم عنك كما قال ﴿إنّ السَّمع والبَصرَ والفُؤادَ كل أولئك كَانَ عنهُ مسئولاً﴾ وقال ﴿يَومَ تَشهدُ عَليهم ألْسنتهمْ وأيديهمْ وأرْجلهُمْ بما كانوا يعملون﴾ يعنى بها وقال ﴿حتى إذا مَا جاءوها شهد عليهم سَمعهُمْ وأبصارهمْ وَجلودهم بما كانوا يعملون﴾ وقال يبين الحقائق ﴿وَما كُنتمْ تَستَترونَ أنْ يَشهدَ عليكمْ سَمعكم ولا أبصاركمْ ولا جلودكمْ﴾ وأمثال هذا فالعين والأذن واللسان واليد والبطن والفرج والرجل من عمالك وأمنائك من أهل باديتك، وكل واحد منهم رئيس وخازن على صنف من أصناف المال الذى يجبيه ورئيسهم وإمامهم الحسّ برئاسته ومملكته مرءوس تحت سلطان الخيال والخيال بما فيه من صحة وفساد مرءوس تحت سلطان الذكر والذكر مرءوس تحت سلطان الفكر والفكر مرءوس تحت سلطان العقل والعقل وزيرك وأنت الرئيس الإمام المعبر عنه بالروح القدسى والذى ينبغى لك أيها الإمام الكريم إذ لا تتمكن أن تباشر الأشياء بنفسك أن تجعل الأمر متحدا فتنظر فى أمين ثقة قوىّ الجأش ينظر فى استخراج هذه الجبايات من أيدى الرعية على طريق العدل والسياسة فإنّك لا بقاء لك دون بيت مال ولا غنى عنه البتة وأنت مطالب بجميعها تطلبك الرعية بالرفق وحسن المعاشرة ويطلبك من استخلفك بامتثال الأمر وتمشية العدل فاحذر هذين المقامين ولا تول مسدداً ولا عاملاً إلا عارفًا بقدر ماله وعليه شحيحًا وليكن واحدا فإن الكثرة تؤدى إلى الفساد فى الأمر الواحد فإنك إن

وليت أكثر من واحد طلب كل واحد منهم الجاه عندك والظهور على صاحبه فيظهرون الاجتهاد والرعية ضعيفة فربما حملوا عليها ما لا تحتمل فيكون ذلك سببًا إلى قطعتهم وهلاكهم فالذى يفسده بهذا النظر أكثر مما يصلحه وقد قال ﷺ «إنّ المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهراً أبقى» وقال «من يشاد هذا الدين يغلبه» وقال من استخلفك: ﴿وَلاَ تجعَلْ يَدَكَ مغلولةً إلى عُنقكَ ولا تَبسطها كلَّ البسْط﴾ فصم وأفطر وقم ونم وقد اخترت لك مسدداً لن تعدم خيراً ما دام معك وقد نظرت له فى وزعة يمشون معه فابعثه على هذه الجبايات بوزعته فإنك تحمد سيرته وتشكر بصيرته ألا وهو العلم ووزعته الثبات والاقتصاد والحزم والرفق فإنه إذا دخل إلى عمالتك مع وزعته أقام ميزان العدل وحسن السياسة فإنّه نافذ البصيرة يعرف خبث الرعية ومكايدها فيأخذ ما يجب له ويكلف على قدر المصلحة والوسع ولم يتجاوز فاعتمدْ عليه وأمِّره على ما ذكرناه من الرؤساء أصحاب الخراج فإنك تحمد عاقبته إن شاء الله.

الباب الحادى عشر

فى رفع الجبايات إلى الحضرة الإلهية ووقوف الإمام القدسى عليها ورفعها إلى الحق سبحانه

اعلم أيها السيد الكريم إعلام تنبيه لا إعلام تعليم أنّ الله تعالى هو ملك الأملاك وربّ الأرباب وسيدّ السادات والكل عدم بوجوده إذ هو الموجود على الإطلاق الذى لا بداية لوجوده ولا نهاية لبقائه ولا ظاهر ولا باطن فى علمه فى حقه بل الأشياء كلها قديمها وحديثها أولها وآخرها أسفلها وأعلاها إنما ظهرت به وإنّما رجعت إليه منه لا يخرج شىء منه إلا إليه فجميع أعمالك كلها خفيها وجليها هو سبحانه مطلع عليها فلا يطلع منك على ما يكرهه منك ولا يجدك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وأنت سميع مطيع أيها السيد الكريم تعين علينا التنبيه على كيفية وصول جباياتك إليك من الحضرة القلبية والحسية ومنك إلى الله تعالى أمّا الحضرة الحسية فإنها تجبى المحسوسات التى ذكرناها والخيل أميرها وصاحب خراجه الحسّ فتأخذ الحواس جميع المحسوسات على اختلاف أصنافها وتؤديها إلى الحس صاحب الخراج فيرفعها فى خزانة الخيال فتكتسب هنالك اسمًا من جنس ما رفعت إليه وزال عنها اسم المحسوسات وانطلق عليها اسم المتخيلات ثم يكون الخيال أيضًا صاحب خراج تحت سلطان الذكر فيحفظها وينتقل هنالك اسم المتخيلات عنها إلى المذكورات والمحفوظات ثمّ يرجع الذكر صاحب خراج تحت سلطان الفكر فيعرضها عليه ويسبرها ويخلصها ويسأل الرعية عنها ويفرق بين الحق والباطل فى ذلك فإن الحس له أغاليط كثيرة وينتقل اسم المذكورات عنها إلى المتفكرات فإذا سبرها وردّ منها إلى الحس ما غلط فيه وأخذ منها ما صح ورحل به إلى حضرة العقل صار الفكر صاحب خراج تحت سلطان العقل فلما وصل إلى حضرة العقل

دخل عليه وعرض عليه ما جاء به من العلوم والأعمال مفصلة هذا عمل السمع هذا عمل البصر هذا عمل اللسان حتى يستوفى جميع ذلك وينتقل اسمها إلى المعقولات فيأخذها العقل الذى هو الوزير ويأتى بها إلى الروح الكلى القدسى فتستأذن له النفس الناطقة فيدخل فيضع جميع المعقولات بين يديه ويقول له السلام على السيد الكريم والخليفة هذا وصل إليك من بادية حضرتك على يدى عمالك فيأخذها الروح فينطلق إلى حضرة القدس فيخر ساجداً وتلك السجدة قرب وقرع لباب الحق حضرة القبول فيفتح فيرفع رأسه فتقع الأعمال من يده للدهش الذى يحصل له فى ذلك التجلى فينادى ما جاء بك فيقول أعمال فلان ابن فلان الذى جعلنى سلطانك خليفة عليه قد رفع إلى جميع الخراج الذى أمرتنى بقبضه من بادية الحضرة فيقول الحق قابلوه بالإمام المبين الذى كتبته قبل أن أخلقه فلا يغادر حرفا واحدا فيقول ارفعوا زمامه فى عليين فيرفع فهذا فى سدرة المنتهى وأما إن كان فى تلك الأعمال مظالم وما لا يليق فلا تفتح لها أبواب السماء ومحل وصولها الفلك الأثير وهنالك يقع الخطاب كما وقع فى الأول ثم يؤمر بها فتودع فى سجين؛ قال تعالى ﴿**إن كتَابَ الفجَّارِ لفى سجين**﴾ وقال ﴿**إنَّ كتَابَ الأبرار لفى علِّيين**﴾ فيقول الحق للروح القدسى فى سدرة المنتهى يا عبدى هذه الأعمال رفعتك إلينا وأحلتك هذا المحل الأسنى انظر أخاك وصاحبك دون السماء فينظر إليه فيعرف منة الله عليه فيشتغل بالمنة عن المشاهدة فيقول الحق قد شغله فضلى عنى فيحتجب ولولا هذا ما صح أن يزول من تلك الحضرة ولكن قد جعل الله لكل شىء سببًا ليتم الكلمة قال تعالى ﴿**وكلمته ألقَاهَا إلى مَريمَ وروح منه**﴾ وقال ﴿**إليه يَصْعَدُ الكَلم الطيّبُ والعَمَل الصَّالح يرفعهُ**﴾ وينتقل اسم الأعمال عندما وصلت إلى الروح من المعقولات فأطلق عليها الأرواح فكساها سبحانه لمّا نظر إليها بأحلة البهاء وأقعدها على منبر الجلال ونقل اسمها من الأرواح إلى الأسرار فهذا معنى قول القائل تزكو الأعمال أى تعلو وتنمو فتنتقل عليها الأسماء بانتقالها وهى واحدة فى ذاتها فانظر ما أشرف حركة العبد فى الطاعة وهناك يجتمع

الظاهر والباطن والشـريعة والحقيـقة وعمل الجـوارح وعمل القلوب أعنى فى حضرة العقل وأمّا أعمالك السيئات فإنها تفترق من الصالحات فى خزانة الخيال ومن العالم العلوى فى الفلك الأثير فعليك أيها السيد بهذه الأعمال التى تخترق السموات العلى وأما العلوم فليست من الأعـمال التى ذكرناها فإنّ العْلوم بحيث معلوماتها فإذا صعدت المعارف وقفت كل مـعرفة بمعروفها فاجعل علمك بالله يكن علمك مقدّسًا منزهًا عن النقائص ولله الحمد ولله درُّ القائل:

ظهـــرتَ لمنْ أَبْـقَـيْتَ بـعــد فنـائه

فكـان بلا كـــون لأنّـك كنـتَـــــهُ

الباب الثانى عشر

فى السفراء والرسل الموجَّهين إلى الثائرين بمدينة البدن

اعلم أيها السيد الكريم أن الحكمة قد أعطت عند من غلب عليه عقله على شهوتـه من الملوك أنه لا يوجه رسولاً إلى عدو من أعـدائه إلا ذا فطنة وذكاء وشجاعة ووفاء وسخاء وصـدق وديانة وأمانة وعلم بالحجة ومواقع الكلام فإن الرسول دليل على مرسله ومنزلته فـإن كان على هذه الأوصاف علم أن مرسله بهذه المـثابة وأعلى فإنه لولا علم من أرسله وعـقله لما ميـز هذا الرسول من غيـره وإن كان بضد ما وصـفنا كاذبًا خائنًـا كثير الهـوس سخيـفًا علم أن الذى أرسله ســخف منه فإذا تقـرر هذا فلتكن رسلك أيها السـيد إلى الهـوى الملك المطاع الثائر بمدينتك التوفيقَ والهدى والفكر والاعتبار والتدبر والثباتَ والقصد والحـزم والاستبـصار والتـذكر والخـوف والرجاء والإنصـاف وما شـاكل هذه الأوصاف فـهذا ينبـغى أن يكون رسلك فأفلح وربح وعظم ملك كـانت رسله هؤلاء إلى أعدائه فإنه يعلم على الضـرورة أنهم يقمعون عدوه بالحجـة القاطعة وربما أسلم ويرجع الهـوى الذى كان يقصد الشر يقصـد الخيرَ وتكفى مـئونة المقابلة والمـقاتلة فإن قدمت رسل الهوى الذى هو الـثائر عليك والساعى فى فساد ملكك فلا تغلظ عليهم فإنّ إهانة الرسل من عدم السياسة ورسله الحرص والكذب والخيانة والغـدر والجبن والبخل والجهل والشـره والعى والبلادة وما شاكل هذا الصنف فمـن جاء منهم إليك فلا تنفر عنهم ابتـداء فلا تنهرهم وقل لهمْ قولاً كريمًا فإنّك تأخذ بأسماعهم وأبصارهم واقعد على سرير ملكك وأخل لهم مجلسك وأمر وزيرك العقل يترجم لهم عنك فـإنه سئوس فإن كان الحرص من جملة الرسل وتكلم فـإنه لا يتكلم إلا بحقيـقته فيـقول لك: إن هذا الملك المطاع الذى اسـمه الهـوى قد أرسلنا إليك لـتدخل تحت سلطانه وإلا فلتـأذن

بحرب وقد أمرك بأن تحرص على جمع الأموال والادخار ومخالفة ما جاءت به الشريعة فتقول له أيها الرسول مكانتك عندنا عظيمة ومنزلتك كريمة فإنه إذا سمع هذا منك سُرَّ به فإنَّه لا يسمع مثلَ هذا من سلطانه ولكن أيها الرسول انظر هذا بعقلك وأنصف من نفسك ما تقول فى الله أهو ربنا أم لا فيقول نعم هو ربنا فتقول له هذه الدار التى نحن فيها أنحن راحلون عنها أم لا فيقول: بلى راحلون عنها فتقول: انقلابنا ورحلتنا إلى الله أم إلى غيره فيقول لك إلى الله فتقول بماذا وصف من خالف شرعه ودينه فيقول بالشقاء فتقول له ومن أطاعه فيقول بالسعادة فتقول له وهل يغنى عنك أحد من الله شيئًا فيقول لا فتقول له أنت أيها الحرص رسول هذا الهوى تعلم أنى أدعو إلى ما فيه مرضاة الله هبك تحرص على طلب المال هل يصح لك منه إلا ما كتب الله لك ولو لم تحرص فيقول: نعم، فتقول: حقيقتك باقية أيها الحرص ولكن اصرفها إلى الطاعات ومرضاة الرب واحرص عليها تسعد بها ومتاع الدنيا قليل ومع قلتها فانية والدار الآخرة خير وأكبر أنت يا حرص هنا ما انتقص لك من منزلتك فيقول: نعم فيسلم ويتوجه الحرص على طريق العلم والدين فيقوى ملكك ويضعف ملك الهوى وهكذا تفعل مع كل رسول منهم مثل الخيانة والكذب والفجور إلى آخرها ولولا التطويل لذكرنا كيف تقام الحجج على كل رسول منهم بما تقتضيه منزلته حتى يسلم الكلّ فإن الإسلام هو الأصل فيرجعون إلى أصولهم بخلاف رسلك فإنهم لا يرتدون أبدًا عليك وغايتهم ألا يقبل الهوى كلامهم فينصرفون خائبين فاعرف هذه الحقائق فقد بينت لك كيف تكلم أرسال عدوك ومن ذلك الواحد تستدل على الباقى ولهذا ترى المريدين اليوم يقل فلاحهم لعدم محاضرة مثل هذا المجلس وإنما هم يغلظون بالقول على هؤلاء الأرسال من غير سياسة فلهذا تراه له دخول فى طريق الخير وليس له ثبوت ويسخر منه الشيطان وهنا حقائق متسعة لا ينحصر بابها فتركنا الخوض فيها مخافة أن ينخرق علينا ما يخرجنا عن مقصودنا من الاختصار وهذا القدر كاف فاستعمله والحمد لله رب العالمين والصلاة على نبيه.

الباب الثالث عشر

فى سياسة القواد والأجناد ومراتبهم

اعلم أيها السيد الكريم أن الأجناد هم الأعمدة التى يقوم عليها فسطاط الملك والأوتاد الذين يمسكونه واعلم أن الملك بيت فلا بدّ له من أربعة أركان تمسكه وأنا أبينها لك إن شاء الله وهى أوصافك المحمودة وخلقك الرفيعة فلتصطف منهم أربعة خواص تدور عليهم أفلاك مملكتك ورحى سلطانك وما بقى من الأجناد فتحت أمر هؤلاء الأربعة فينحصر لك النظر فيهم وهم يدبرون ملكك كل واحد بطائفة معلومة وإنما جعلناها أربعة لأمرين الأمر الواحد أن الأربعة الأصل الثانى فى البسائط العددية والبسائط أصل فى تركيب الأعداد إلى ما لا يتناهى وذلك أن بسائط العدد من واحد إلى عشرة وليس فى البسائط من يجمع العشرة إلا الأربعة فإن الأربعة حقيقتها أربعة وفيها الثلاثة فكانت سبعة وفيها الثنتان فكانت تسعة وفيها الواحد فكانت عشرة وليس فى العدد عدد يتضمن العشرة غيرها فلهذا اصطفيناها لتضمنها هذه الحكمة وحلها قوى ما بقى بالقوة فعلمنا أن الأربعة يقومون بالملك ولهذا كانت حملة العرش ثمانية كما قال تعالى وهم اليوم أربعة كذا قال النبىّ ﷺ ولهذا قال تعالى لما وصف يوم القيامة ﴿ويحمل عرش ربكَ فوقهم يومئذ ثمانية﴾ فقال ﴿يومئذ﴾ يشير إلى يوم القيامة ووجدنا ملك هذا العالم الحيوانى وهو ملكك قد قام على أربع طبائع والعالم الكبير قد قام على أربعة عناصر وهذا باب الأربعين والأربع باب واسع يخرجنا إيراده لك عن المقصود فى الفائدة وأما الأمر الآخر الذى لأجله أمرناك أن تختص أربعة فلأن الجهات التى يدخل عليك الخلل منها ويفسد ملكك أربع جهات اليمين والشمال والخلف والأمام فمن ثم يأتيك الخلل قال الله تعالى ﴿ثمَّ لآتيَنَّهمْ من بينِ أَيْديهم ومنْ خَلفهم وَعَنْ أيمانهم وعن

شمائلهم﴾ ولم يذكر أكثر ولا يصح فإنه ما بقى إلا اثنان الفوق والتحت فأما التحت فإليه يدعوك وأمّا الفوق فهو محل طريق التنزل الإلهى فلا تقربه لئلا تهلك هو طريق القضاء والقدر اختص الله به فلا مدخل لمخلوق فيه فينبغى لك أيها السيد الكريم أن تنظر فى هذه الجهات الأربع التى يدخل عليك الفساد منها وتجعل على كل جهة منها واحدًا من هؤلاء الأربعة بأتباعهم وأجنادهم وهم يحمون الملك وتعيش هنيئًا فى عافية آمنًا فإنّ عدوك ختار جبان لا يقوى على القتال وإنما يطمع فى الغدر فإذا جعلت المراقبة عطايا هؤلاء الأربعة صلح أمرك ومهما جاءك العدو من أىّ ناحية جاء وجد من يمنعه من الوصول إلى مراده فيك فلتجعل الخوف عن يمينك والرجاء عن شمالك والعلم من بين يديك والتفكر من خلفك فإذا جاء العدو عن يمينك وجد الخوف بأجناده فلا يستطيع معه دفاعًا وكذلك ما بقى وإنما رتبنا هذا الترتيب لأنّ العدو إنما يأتى من هذه الجهات فخصصنا الخوف باليمين وذلك أن اليمين موضع الجنة والشمال موضع النار فإذا جاء العدو من قبل اليمين إنما يأتى بالجنة العاجلة وهى الشهوات واللذات فيزينها لك ويحببها إليك،فيعرض له الخوف فيدرأه عنها ولولاه لوقع فيها وبوقوعه يكون الهلاك فى ملكك فلا يجب أن يكون الخوف إلا فى هذا الموضع ولا تستعمله فى غيرها من الجهات فيقع اليأس والقنوط ومن الحكمة وضع الأشياء فى مواضعها فالخوف للإنسان كالعدة للجندى فلا يأخذها إلا عند مباشرة العدو أو لتوقى نزوله وإن أخذها فى غير هذا الموطن سخر به وكان سخيفًا جاهلاً وإن أتاك العدو من جهة الشمال فإنه لا يأتيك إلا بالقنوط واليأس وسوء الظن بالله وغلبة المقت ليوقع بك فتهلك فيقوم لك الرجاء بحسن الظن بالله عز وجل فيدفعه ويقمعه وكذلك إذا أتاك من بين يديك أتاك بظاهر القول فأداك إلى التجسيم والتشبيه فيقوم لك العلم فيمنعه أن يصل إليك بهذا فتكون من الخاسرين وكذلك إذا أتاك من خلفك أتاك بشبه وأمور من جهة الخيالات الفاسدة فيقوم التفكر فيدفعه فإنك إن لم تتفكر وتبحث حتى تعثر على أنّ تلك الأشياء شبهات وإلا هلك ملكك ولا سبيل للعدو فى قتال

هذه المدينة التى هى سلطانك إلا من هذه الأربع جهات فإذا رتبت هؤلاء كما ذكرت لك امتنع بلدك واحتمى ولم يستطع العدو مدافعتهم فإن زدت ولا بد على هؤلاء فلا تزد على العشرة يكونون فى بساطك تلقى إليهم وإنّما جعلناها عشرة من أجل حفظ العقائد فإن الحدود عشرة التى هى رأس تنزيه الحق وهى أمام وخلف ويمين وشمال وفوق وتحت وقبل وبعد وكل وبعض فمن نزه ربه عن هذه الحدود التى مدار السلامة عليها وبقاء الملك فى دار البقاء فقد نزه ونال السعادة الأبدية فإن غرض العدو فى هدم قاعدة من قواعدنا التى ذكرناها فاحذر واجعل تحت أيدى هؤلاء القواد من الأجناد ما تحتاج إليه وتخصه بحد ما من هذه الحدود لكل حدّ أمير بأصحابه يقف عنده بنقبائهم وعرفائهم فإذا جاء العدو سهل عليك المرام ونظرت من أى ناحية وصل فتدعو بالأمير الذى فى تلك الناحية وتأمره بالبروز فإنه يكفيك همه وهكذا فى جميع النواحى فتحقق أيها السيد الكريم ما رسمنا وحافظ على هذا الترتيب تسعد وتغتبط إن شاء الله تعالى وحده.

الباب الرابع عشر

فى سياسة الحروب وترتيب الجيوش عند اللقاء

عليك أيها السيد الكريم بالمحافظة على ذاتك الشريفة فاقصد أنزه موضع عندك وأحصنه فالزمه واجعله موضع سكناك ألا وهو الكرسى موضع القدمين وذلك المنزل هو دار السنة وحصن الشرع الحامى المانع العالى الذروة ولا تباشر الحروب بنفسك فإنك إن هلكت هلك ملكك وإن بقيت بقى فى حضرتك وتوجه لمباشرة الحرب بعض قوادك وأمرائك الذين ذكرناهم ورتبناهم لك فإن هربوا بقيت أنت وبقى ملكك وعندك من الرجال والأجناد بما تمدهم ألا ترى إذا يبس الفرع وهلك جبره الأصل وتفرعت الشجرة وإن هلك الأصل فسدت الشجرة كلها فالملك أصل ملكه فببقائه وعدله بقاء ملكه وبهلاكه وجوره هلاك ملكه والدولة جسم روحه الملك فمتى هلك الروح هلك الجسم وإذا انفسد فى الجسم شىء والروح باق أصلحه الطبيب والتدبير هو طبيبك فحافظ على نفسك ولا تباشر بها عدوك مكيدة إذا نزل بك عدو والتقى الجمعان فقف على ساحل العلم ثم اضرب بعصا الهمة متن ذلك البحر العلمى فإذا انفتح لك طريق فادخل فيه فإن عدوك سيقفو أثرك فإن العلم باب الرئاسة والعجب والشيطان يطمع فيه فإذا توسط العدو بحر العلم خلفك فإنه ضرورة ينطبق عليه فيغرق من غير قتال ولا صداع ولهذا قال بعض العلماء طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يردنا إلا إلى الله وهذا من أحسن مكر الله ﴿والله خير الماكرين﴾ فإن فرعون اقتفى أثر موسى وغاب عن مكر الله وهلك فإذا قال لك عدوك اطلب العلم لتسود به على أبناء زمانك وتخضع لك الملوك ويفتقر إليك الخلق فلا تقل هذا خاطر شيطانى فيتفطن لك عدوك ولكن اشرع فى طلب العلم فإن الشيطان وهواك يفرحان بعملك فى غير معمل وغاب عنهم أن

العلم يأبى إلا أن يعطى حقيقتــه والجهل الذى طرأ على إبليس فى هذه المسألة أنّه تخيل أنه بالـعلم ضل وظن قوله ﴿أَنَا خَيْـرٌ منهُ خلقتنى من نار وَخلقْـتَهُ من طين﴾ وأنّ السجود لغير الله على طريق العبوية لذلك وهذا كله جهل محض لا علم وهو يتخـيل أنه علم فقــال بالعلم ضللت فلهذا يحـرص على طلب العلم ولا يعلم أن العلم يكـشف عورته وجـهله وهكذا أيهـا الـسيد جـمـيع مطالب الخيرات إذا حرّض عليها عدوك بالمقـاصد الفاسدة فلا ترجع عنها فإن المرائى العامـل أحسن من المـخلص البطال فإن العمل إذا استمـر وإن لم يكن خالصًا لا بد من نور يحصل للقلب يرده فى لحظة إلى الإخلاص فيقلب جميع أعماله السالفة ولهذا يكثر حزن العدو وأسفه فإنه المحرض لك على هذه الأفعال التى انقلبت فى حقك حـسنى فاعلم وأما ترتيب الجيش عند اللقـاء فكما ذكرنا لك فى البـاب قبل هذا ولتـكن أنت فى القلب مع خواصـك فإن هذا مـما يهـول العدول منظره فإنه لعنه الله لا يقاتلك أبدًا وإنما يريد غدرك فإن مقاتلته إنما هى مع الملك عليك ولك أنت الرد والـقبـول وترتيبـه على التفـصيل تضـيق هذه العجـالة عن بسطه ولا فائدة فيه لـعدم القتال من العـدو فغايتك معـه أن تحذر مواضع الغدر فافهم والحمد لله رب العالمين.

الباب الخامس عشر

فى ذكر السر الذى يغلب به أعداء هذه
المدينة والتنبيه عليه

اعلم أن العدد سرّ من أسرار الله تعالى فى الوجود وكل عـدد مذكور فى القرآن وفى الشرع فلـمعنى وهكذا خلق الله الموجودات متـعددة من اثنين إلى اثنى عشر وهى نهاية مراتب العدد فإن مراتب العدد أربع آحاد وعشرات ومائون وآلاف والأربعة أكمل العدد ونهاية كل واحـد منها إلى تسعة ويأخذ فى التكرار وإنما قلنا إن الاثنى عشر هى الـنهاية فإنّ العالم الإنسانى نهاية تركيـبه بوجه ما من اثنى عشر فإنه مركب من أمهات أربع ومولدات أربع ونفس وعقل والإنسان والمرتبة وقـد تولع قوم بهذه الأعداد واستخـرجوا منها علومًا كثيرة ودلوا بها على التوحيد وشرح ذلك يطول فى هذا المختصر فلنرجع ونقول إنّ الواحد إذا حملتـه على مثله بواسطة الواو لا بواسطة فى فـيظهر وجـود الاثنين والواحد ليس بعدد ومنه ينشأ العدد وبعدمه يفنى فتركبه على الاثنين فيظهر وجود الثلاثة وعلى الثلاثة فيظهـر وجود الأربعة وتنقصه من الألف فـيزول الألف فهو أصل فأول الأعداد الشـفعية الاثنان وأول الأعداد الفرديـة الثلاثة فالاثنان أصل لكل شفع أو زوج والثـلاثة أصل لكل فرد أو وتر فـالزوج مقـدم على الفرد تقـدما طبيعيًـا لا يمكن خلافه فإن تقدمه تقدُّم طبـيعى لا يمكن أبدًا أن توجد الأربعة قبل الثلاثة ولا الخمسة قبل الأربعة فإذا تقرر العدد محصوراً فى زوج وفرد فثم مـواطن يغلب الزوج فيـها الفـرد وثم مواطـن يغلب الفرد فـيهـا الزوج وعلى الإنسان أن يحارب هواه وهوى غـيره وإذا حاربه فلا يخلو أن يحـاربه فى مباح أو فى معصية فإذا حارب هواه فليغلب الزوج على الفرد فى معصية كان أو فى مباح وإن حـارب هوى غيره فليغلب الـفرد على الزوج إلا إن كان فى معـصية

فإنه يغلب الزوج على الفرد فإن التوحيد توحيدان توحيد الأحدية وهو توحيد العصاة من الأمة الإسلامية وهو توحيد صحيح مركب على أصل فاسد وتوحيد الفردانية وهو توحيد محمد وموسى عليهما السلام والعارفين العلماء من الأمة الإسلامية وهو توحيد صحيح مركب على أصل صحيح فتوحيد الأحدية يغلب كل شيء فى كل موطن فتحفظ منه أن يصرفه عليك عدوك وتوحيد الفردانية يَغلب فى مواطن ويُغلب فى مواطن فالتزمه فى مواطن غلبته، وإذا غُلب فالتزم توحيد الأحدية وهذا الباب يحتوى على أسرار عظيمة تركناها طلبًا للاختصار فإنها متشعبة يتعلق بعضها ببعض ويتوقف فهم بعضها على فهم بعض فيكتفى هذه الإشارة للعارف.

الباب السادس عشر

فى ترتيب الغذاء الروحانىّ على فصول السنة

لإقامة هذا الملك الإنسانىّ وبقائه

اعلم أن الغذاء سبب إلهى موضوع لبقاء كلّ متغذ لا غناء له عنه وما بقى بيننا وبين الطبيعيين إلا فى الأشياء التى اعتدت غذاء فنحن نجوز عدمها وترك استعمالها الشهور والسنين مع بقاء الحياة فى المتغذى ببقاء الحرارة والرطوبة الذى هو طبع الحياة بصورة ما فما دام الحق يغذيه بخلق الحياة فيه بقى وهم يرون هذه الأطعمة التى هى عندهم أسباب وجود الحياة وهذا الفصل لا يحتاج إلى الكلام مع المخالفين فيه فإن طريق التصوف ليس مبنيًا على مجادلة المخالفين لأنهم فى عين الجمع مشغولون بقلوبهم مع الله كيف ينبغى أن يكون.

فاعلم أنّ فصل الربيع حارّ رطب وهو طبْع الحياة وأنّ النفس تنشط فيه للحركة والإسفار والفرج والنزهات فإنّ ذلك زمان الحركة الطبيعية فى جميع الحيوانات والنباتات فتهتز النفس الحيوانية لذلك فإن سامحها المريد أخطأ فالله الله أيها السيد الكريم إذا أعطى الزمان شيئًا بطبعه ورأيت بعض أهل مملكتك يشاكل طبعه ذلك فلا تتركه وطبعه ولكن مر وزيرك العقل يأمر خديمه الفكر يأخذ من القوة الحافظة ما عندها من الأمور الشرعية مثل قوله تعالى ﴿إنَّ فى ذلكَ لعبرةً لأولى الأبصَار﴾ وقوله تعالى ﴿فَإذَا أَنزلنَا عليها الماءَ اهتَزَّتْ وَرَبتْ وَأنبتتْ منْ كلِّ زوْج بَهيج﴾ وقوله ﴿حتى إِذَا أخذَتِ الأرضُ زخرفها وازَّينتْ﴾ وجعل ذلك حياتها فتكون حركة المريد فى هذا الفصل الربيعى فى طلب الغذاء الذى يوافق هذا الزمان فيأخذ من أسرار المعاملات ما ليس للنفس فيها تلك المجاهدة الشاقة فتشرع فى السنن والشرعيات التى تعطيها المقامات

العلمية مع عـدم الشدة والضيق كالاعتبارات والأفكار فى الـمصنوعات وإجالة البصيرة على شهود الصانع عند إجالة البـصر فى المصنوعات فإذا تحققت بهذا النظر سـامحـها فى الخـروج إلى الفرج والأنهـار والمروج ومـواضع النواوير والأزهار من الجبال والغياض فلا تزال تجنى ثمرة الاعـتبار والفكر والاستبصار على كثـرة ما شاهدته من عوالم الأزهـار والنوار فى الجبال والقفـار وشواطئ الأنهار والتفكر فى الجنة وما أعد الله فيـها لأوليائه فإن زمان الربيع زمانها وهى الدار الحيـوان فهى حارة رطبة طبع الحـياة فإذا فكر فى هذا كله حـرضه على الأعمال وهون عليـه شدائدها لعظيم ما يرجوه من النعـيم الدائم عند الله فهذا هو زمان الشباب والاقتبال وليس آخره كأوّله.

وأمّا زمـان القيـظ فهو حـار يابس طبع النار فـينبغى لك أن يكون الغـالب عليك أيهـا السيـد فى هذا الفصـل الفكر فى حال الشـيخـوخة والضـعف عن الأعمـال التى لا يقدر عليهـا من كبر سنه والفكر فى جـهنم وشدتها وسعـيرها وتنظر فى آية قـوله ﴿وإذا الجحيم سُعِّرَتْ﴾ وتفكر فى حر القـيامة وعطشـها وطرد الناس عن الحوض وإلجام العرق فأمـثال هذا ينبغى أن يكون غذاء نفسك فى هذا الفصل فإنّه يلائمه للالتحاق بالعالم السعادى هذه حالة جيدة.

وأما زمان الخريف وهو الفصل الثالث فـهو بارد وهذا طبع الموت فينبغى أن يكون الغالب عليك فى هذا الفصل فى غـذائك التفكر فى الموت وسكراته غمراته وهل يـختم لك بالتوحيد أو بـالشرك وما تلقاه من خصـميك ومن نزع الملك روحك الطيبة أو الـخبيثة وهل يفتـح لك باب السماء أو لا وهل تكون عند موتك فى عليين أو فى سجين وأنّ ذلك أول موطن من ولادة الآخرة وأنّ الدنيا اليـوم حاملة بك وهذا الجسم كالمـشيمة للمـولود وبالموت تقع الولادة لهذا قال: ﴿والله أخرجكم من بُطون أمـهاتكمْ لا تعلمونَ شيـئًا﴾ وكذلك أنت اليومَ بالإضافة إلى ما يفتح لك من علوم الآخرة ومـا تعاينه وما أعد الله لعبيده من الوعد والوعيد فمثل هذا الفكر يكون الغالب عليك فى زمان الخريف.

وأما زمان الشتاء فإنّـه بارد رطب وهو طبع البرزخ فينبغى أن يكون غذاءك

فى هذا الزمان التفكر فى البرزخ بين المنزلتين هل أنت ممن يعرض على النار غدواً وعشيّاً كآل فرعونَ أو ممّن يعرض على الجنان تعلف من رياض الجنة وتتبوأ منها حيث شئت كالمؤمنين وتفكر فى الحسرة المستصحبة لك فى البرزخ على ما ضيعتَ من الأنفاس والأوقات إما فى المخالفات أو فى المباحات فتتمنى فى ذلك الوقت أن يردك الله إلى الدنيا وليس ذلك التمنى بنافع وليس الله برادك فتكثر حسراتك وتتوالى عليك زفراتك فإذا تيقنت بالفكر الصحيح والعلم الراسخ أن ذلك وقت الحسرة والتغابن ولا ينفعك فيحرضك على الجد والاجتهاد فى هذا الوقت فى حياتك الدنيا حيث ينفعك حسرتك إن تحسرت وتوبتك إن تبت وندمك إن ندمت كما قال تعالى ﴿إلاّ من تَاب وآمَنَ وعملَ صالحًا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حَسنات﴾ وقال تعالى ﴿ولَيْسَت التوبة للَّذين يعملونَ السيئات حتى إذا حَضَرَ أحدهم الموتُ قالَ إنى تبتُ الآنَ﴾ فإن ذلك الجزء من الحياة الدنيا ليس منها وإنما هو من البرزخ من الدار التى لا ينفع فيها ما عمل فيها فليكن غذاء نفسك هذا الغذاء فى هذا الفصل فإنه نافعك إن شاء الله .

فإذا جمعت بين الغذاءين فقد صح جسمك للمعاملات وصح عقلك للواردات وكنت فى كل زمان صاحب علم وعمل وهو الذى حرضك الشرع عليه وأمرك به وندبك إليه فاسع أيها السيد فى نجاة نفسك ونجاة رعيتك واعلم أنّ أهل دولتك إن عاشرتهم فى الدنيا بالحق والعدل والإنصاف وتمشيت بهم على الطريقة الواضحة الشرعية فإن الله تعالى يقيمهم يوم القيامة شهداء لك بالعدل وحسن النقيبة والسيرة والمعاشرة وإن عدلت بهم إلى طريق المخالفات والمحظورات انعكس عليك وأوقفهم الحق يوم القيامة شهداء عليك بقبح السيرة وسوء المعاشرة فالله الله تحفظ، قال الله تعالى ﴿اليومَ نختم على أفواههم وتكلمنَا أَيديهم وتَشْهَدُ أَرجلهم بمَا كَانُوا يكسبُونَ﴾ وقال ﴿يوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهمْ أَلسنَتُهمْ وأيديهمْ وأَرجلهمْ بمَا كانوا يعملونَ﴾ وقال ﴿إنَّ السَّمعَ والبصرَ وَالفُؤَادَ كلُّ أولئكَ كانَ عنه مسئولاً﴾ وكما أنّه لكل فصل من فصول

السنة علل وأمراض تحدث فيها فى الأبدان وعلى حسب السن كذلك يكون فى الروحانيين علل فلتنظر إلى الأغذية الروحانية التى رسمنا لك فى كل فصل فإن الشىء الذى يحول بينك وبين تناولهـا والأخذ فيها فهـو علتك فى ذلك كائنًا ما كان من غير تعيين أنت تعـينه لنفسك فإنّك تدرى السبب الذى حال بينك وبين أخذ هـذا الغذاء الذى فـيه حـياتك وصـحتك وبقـاؤك وإنما ذكـرنا العلوم فى الأغذية وسكـتنا عن الأعمال ولـم نجعل العمـل غذاء فإن العـمل لا يجىء به الروح وإنما يجىء بالعلم الإلهى والعلم الإلهى لا يظهـر إلا بالعمل فإذا أمرتك باكتساب هذه العلوم الإلهية فى هذه الأزمان المخـتلفة فقد أمرتك بالأعمال كما يقول الطبيب يكون غذاؤك زيرباجًا ومن المحـال أن تتغذى بقوله زيرباجًا وإنما فى الزيرباج روحانيـة مودعة يؤديها إليك فـيقوم الجسم فيأخـذ اللحم ويضيف إليه السكر واللوز والزعفران والخل والفلفل ومن أفاوه الـطيب ما تيسر وتركبه على النار اللينة المعـتدلة حتى يكون طبخه مـعتدلاً فإذا استـوى أنزلته وتناولته فأعطاك روحانيته وهى الأمانة التى أودع الله فيه لك فحييت بها وتقوت صحتك وبقى كلّ ما عـمله الجسم وخـدم فيه خـرج ثُفلاً ترميـه فى المرحـاض كذلك الأعمال تعملها فـتأخذ روحانيتها من العلوم والدرجات وتتـركها كما تركت ثفل ذلك الطعام فى جـهنم على الكفار وهى المشـاق والشدائد التى نلت فى تلك الأعمـال من قيام فى الأسحـار والسعى إلى المسـاجد وفى سبيل الله وإسـباغ الوضوء فى الـسبرات وجـميع المكاره وهى هذه الأعـمال الشـرعية فـى الدنيا فتتركـها كلها ولا تنقلب إلى الآخرة إلا بلطائفها التـى أودع الله فيها التى رأيتَ هنا عـيونـها فى قـوله ﴿والَّذينَ جَـاهدوا فـينَا لنَـهديَـنَّهُـمْ سُـبلنَا﴾ ﴿واتَّقـوا الله ويعلمكم الله﴾ فكما أن الغذاء الجسمانى لم تقدر أن تصل إليه حتى تعمل سببه كذلك هذا الغـذاء الروحانى لا تصل إليـه حتى تعـمله وأيسر أعمـاله أن تأكله فأكله عـمل فإن عمـله خادم فلا بد من تحـريك أسنانك فيـه وتسخيـر اللسان والأحناك والحلقوم والمرىء والمـعدة والمعاء والكبد وحيـنئـذ يسرى منه فيك روح حـيـاة وليس إذا أكله غـيـرك يحـصل لك منـه شىء فكذلك هذا الغـذاء

الروحانى لا بد أن تكون أنت المتناوله له بنفسك وحينئذ يعطيه الله لك فما أعمى أكثرَ الناس عن إقامة هذه النشأة الروحانية بهذا الغذاء الإلهى عن هذا العمل الشرعى وقد علمنا قطعًا أن الجسم يحشر يوم القيامة على صورة عمله والنفس على صورة علمها فالسعيد من حسن صورتيه وجمع بين كلمتيه فهذا هو الغذاء الذى يحصل من جهة الأعمال.

واعلم وفقك الله وسددك أنّ كل محدث فلا بد له من غذاء يغتذى به فيه بقاؤه واعلم أن ميكائيل هو الأمين على الأرزاق والأغذية كلها المحسوسة ويقابله منك الكبد فهو الذى يعطى الغذاء لجميع البدن وكذلك إسرافيل يغذى الأشباح بالأرواح وجبرائيل يغذى الأرواح بالعلوم والمعارف فكل موجود يكون بقاؤه مربوطًا بأمر مًّا فذلك الأمر هو غذاؤه كالجوهر غذاؤه بالعرض فلا بقاء له دونه وكذلك الجسم بالتأليف وكذلك العقل ببعض العلوم الضرورية وكذلك الهيولى بالصور فلا يزال الروح القدسى متعطشًا لبقائه فى وجوده وبقاؤه بالعلوم الإلهية فهى غذاؤه ولهذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿وقلْ رَبّ زدنى علمًا﴾ ثم رآه فى صورة الغذاء المحسوس على ما خرجه البخارى فى صحيحه قال قال رسول الله ﷺ رأيت كأنى أتيت بقدح لبن فشربته حتى خرج الرى من أظافيرى ثم أعطيت الفضل عمر قالوا: فما أولته يا رسول الله قال العلم وشربه ليلة إسرائه وقيل له: هو الفطرة أطاب الله بك أمتك، فينبغى لك أيها السيد الكريم أن تكون مع الله على حكم تدبيره سبحانه فى بادية ملكه ولا تتأنى فى استجلاب غذاء الأرواح فإنك مأمور بسؤال الزيادة منها فإن الأرواح لا تشبع من العلوم أبدًا وقد عرَّفنا بذلك وقال ﷺ: «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا» ولا تطلب من العلم ما تأخذ من تحت قدمك وإنما اطلب منه الرحمة التى اختص الله بها عباده الذين أفردهم إليه والعلمَ الذى خصهم به وهو العلم اللدنى فإن علوم المعاملة وإن لطفت وعلت فإنما علوها وجمالها وحسنها ولطفها بالنظر إلى علوم الأفكار المدنسة بحكم النظر العقلى والافتكار وهذه وراء طور العقل فنورها أجلى ومرآتها أصفى

ولكنّ العلوم اللدنيـة التى لم يقـترن بتحـصيلـها عمـل مع استحـباب العـمل والفرقان بينهما بين فإن علوم الأعمال الهمم متعلقة بها ولهذا أتت على مدرجة من مدارجـها وهى علوم السـعادة وهذه العلوم الـتى نبهتك عـليها علوم لـدنية موقـوفة على الامتثـال المطلق الذى لم يدنسه المـخلوق بكده وإن كان الحق أكدّه ولكن ثم لطيفـة الكسب تطلع سحابةً على مرآة الروح فإنه انبـعاث سفلى من الهواء من حيث صعود الأبخرة وتولد السحاب وكل ما دخل تحت العناصر فإن التـغيير يسـرع إليه إلا أن يكون صاحبـه قوى المحـافظة على الموازنة فى الحركات والسكنات والمطاعم والمشارب يحفظ بذلك رتبة الاعتدال فحينئذ إذا تخلص له هذا المقام يكون سعيـداً وهذه العلوم لا تحتاج إلى شىء من الحفظ البشرى من أجل العناية والسلام.

الباب السابع عشر

فى خواص الأسرار المودعة فى الإنسان
وكيف ينبغى أن يكون السالك فى أحواله

وفى هذا الباب أودعت المضاهاة وهو على خمسة أبواب.

اعلموا يا أصحاب القلوب المتعطشة إلى أسرار الغيوب أنه لا أضيفَ شىء إلى شىء بأى وجه كان من وجوه الإضافات من إضافة تشريف واختصاص أو ملك أو استحقاق ولا دلّ دليل على مدلول ولا رأى راء لمرئى ولا سمع سامع لمسموع إلا لمناسبة غير أنّه قد تظهر فتعرف لقربها وقد تخفى فتجهل لبعدها وهى على قسمين ظاهرة وباطنة فالظاهرة يعرفها أهل الظاهر إذا نظروا وحققوا والباطنة لا تعرف أبدًا بالنظر فإن معرفتها موقوفة على الوهب الإلهى وهذا هو طور النبوة والولاية والفصل بينهما لا خفاء به فإن النبى ﷺ متبوع تابعه الولى ومقتبس من مشكاته وبظاهر من ضرب المناسبة الظاهرة ووقوع الخطاب تثبت العقائد التى تعمد الخلق بها فقالوا الله موجود ونحن موجودون فلولا معرفتنا بوجودنا ما عرفنا معنى الوجود حتى نقول إن البارى موجود وكذلك لما خلق فينا صفة العلم أثبتنا له العلم وأنه عالم وهكذا الحياة بحياتنا والسمع والبصر والكلام بكلام نفوسنا لا بأصواتنا وحروفنا والقدرة والإرادة وكذلك سائر الأسماء كلها من الغنى والكرم والجود والعفو والرحمة كلها موجودة عندنا فلما سمى لنا نفسه بها عقلنا فما عقلنا منها غير ما أوجده فينا وما عدا ذلك فعلمنا به من جهة السلب وهو ليس كالقدم ليس بصفة إثبات وإنما معناه لا أول له فى وجوده فتعلق العلم بنفى الأولية عنه وعلمناها أيضًا فإن الأولية موجودة عندنا حقيقة والنفى عندنا معلوم منّا بفقد أشياء منا بعد وجودها. فينا أوضحها انتقالها من حال إلى حال ومن مكان إلى مكان ومن نظر إلى نظر فقد

عرفنا حقيقة النفى وحقيقة الأولية ثم حملنا النفى على الأولية ووصفنا الحق بها وهى صفة سلب وقد يعلم الشىء بنظيره وبضده وقال ﷺ : «من عرف نفسه عرف ربه» فأثبت له من الصفات ما خلق فىَّ لا غير فهذه معرفة ونفيه معرفة السلب التى بها امتاز عنّا فأخذنا الصفات التى ثبت بها حدوثنا وعبوديتنا وإخراجنا من العدم إلى الوجود ونفيناها عنه ولم نجد له صفة إثبات معينة ليست عندنا نعرفه بها لكن نعرف أنه على حكم ليس نحن عليه ثابت له فلولا هذه المناسبة ما صحت لنا عقيدة وما عرفناه أصلاً ثم بعد هذا وإن عرفناه بما وصفنا فإن هذه الصفات فى حقنا تعقبها الآفات والأضداد وهى له باقية لا يعقبها ضد ولا آفة وعرفنا هذا ببقائنا عليها زمانين فصاعداً فقد عرفنا صفة البقاء فأصحبناه تلك الصفة النزيهة المقدسة وهذا الباب يطول وأوضحناه بينًا فى كتاب إنشاء الجداول وهو كتاب شريف بينت فيه المعارف بالأشكال ليقرب إلى الأفهام فهذا ضرب من المناسبة الظاهرة والمضاهاة فى الحضرة الإلهية وأما المناسبة الباطنة فوكلناك فيها إلى نفسك فإنها تدرك بالمجاهدات فى المشاهدات وبقيت لنا المضاهاة الثانية التى بين الإنسان والعالم وقد بسطنا القول فيه فى أكثر كتبنا ولنذكر منه ههنا فصلاً قريبًا جامعاً يحوى على كلياته وأجناسه وأمرائه الذين لهم التأثير فى غيرهم ولو ما قصدنا فى كتابنا هذا طريق الإشارة والتنبيه لضربنا له دوائر على صورة الأفلاك وترتيبها ونجعل لكل فلك فى العالم ما يقابلها من الإنسان بخاصية ذلك الفلك ويدور الخلق كله على أربعة عوالم العالم الأعلى وعالم الاستحالة وعالم عمارة الأمكنة وعالم النسب ولكل واحد من هؤلاء العوالم غاية فجميع ما يحتوى عليه العالم الأعلى من العالم الكبير عشرون حقيقة وعالم الاستحالة خمس عشرة حقيقة وعالم عمارة الأمكنة أربع حقائق وعالم النسب عشر حقائق وهى كلها فى الإنسان موجودة وهذه هى الأمهات وهى تسع وأربعون حقيقةً وكذلك الإنسان فالعالم محصور فى ثمان وتسعين حقيقة مما يقتضيه خلقه ثم زاد الإنسان على العالم بالسرّ الإلهى المبثوث فيه الذى صح له به الاستخلاف وتسخير ما فى السموات وما فى

الأرض فجاء الأمر كله تسعًا وتسعين حقيقة من أحصاها دخل الجنة والموفى مائة المهيمن على كل شيء وهو الحق فالوجود كله مائة الموفى مائةً منها الاسم الأعظم وكذلك الجنة مائة درجة الموفى مائةً منها جنة الكثيب الذى ليس فيه نعيم إلا الرؤية وليس لمخلوق فيه الدخول إلا وقت النظر هو حضرة الحق وهذه أسرار عجيبة نبهناك عليها لتعرف منزلتك من الموجودات وإنّ النار مائة درك والموفى مائةً منها درك الحجاب وهو محل المشاهد إذا ارتد ورجع فإنه يهوى فى جهنم وينزل فى دركاتها على مقابلة الدرج التى سقط منها فأعلى عليين يقابل أسفل سافلين قال الله تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ فما بعده منه ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ فما بعده منه.

ثم نرجع ونقول فأما العالم الأعلى فأعلاه لطيفة الاستواء وهى الحقيقة الكلية المحمدية وفلكها الحياة ينظر إليها من الإنسان لطيفته والروح القدسى ثم فى العالم العرش ينظر إليه من الإنسان الجسم ثم فى العالم الكرسى بنجومه ينظر إليه من الإنسان النفس بقواها وكما كان موضع القدمين فكذلك النفس محل الأمر والنهى والمدح والذم ثم فى العالم البيت المعمور ينظر إليه من الإنسان القلب ثم فى العالم الملائكة ينظر إليها من الإنسان أرواحه والمراتب كالمراتب ثم فى العالم زحل وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوة الذاكرة ومؤخر الدماغ، ثم فى العالم المشترى وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوة العاقلة واليافوخ ثم فى العالم الأحمر وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوة الغضبية والكبد ثم فى العالم الشمس وفلكها ينظر إليهما من الإنسان القوة المفكرة ووسط الدماغ ثم فى العالم الزهرة وفلكها ينظر إليهما من الإنسان القوة الوهمية والروح الحيوانى ثم فى العالم عطارد وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوة الخيالية ومقدم الدماغ ثم فى العالم القمر وفلكه ينظر إليهما من الإنسان القوة الحسيّة والحواس فهذه طبقات العالم الأعلى ونظائره من الإنسان.

وأما عالم الاستحالة فمنه الفلك الأثير وروحه الحرارة واليبوسة ينظر

إليهمـا من الإنسان الصفراء وروحهـا القوة الهاضمة ثم فـى العالم فلك الهواء وروحه الحرارة والرطوبة ينظر إليهما من الإنسان الدم وروحه القوة الجاذبة ثم فى العالم فلك المـاء وروحه البرودة والرطوبة يـنظر إليهمـا من الإنسان البلغم وروحه القوة الدافـعة ثم فى العالم فلك التراب وروحه البرودة واليـبوسة ينظر إليهـما من الإنسان الـسوداء وروحها القوة المـاسكة وأما الأرض فسـبع طباق أرض سوداء وأرض غـبراء وأرض حمـراء وأرض صفراء وأرض بيـضاء وأرض زرقاء وأرض خـضراء ينظر إليـها من الإنسـان طبقـات الجسد الجلـد والشحم واللحم والعروق والعصب والعضلات والعظام.

وأما عالم الأمكنة فـمنه الروحانيون ينظر إليها من الإنسان القـوى التى فيه ثم فى العالم الحيوان ينظر إليه مـا يحس من الإنسان ثم فى العالم النبات ينظر إليه ما ينمو من الإنسان ثم فى العالم الجماد ينظر إليه ما لا يحس من الإنسان.

وأما عالم النسب فمنه العرض ينظر إليه من الإنسان أسود وأبيض وما أشبه ذلك ثم فى العـالم الكيف ينظر إليه من الإنسـان صحـيح سقيم ثم فـى العالم الكم ينظر إليه من الإنسـان سنُّه عشرة أعوام وطوله خمـسة أذرع ثم فى العالم الأين ينظر إليه من الإنسـان الأصابع موضعها الـكف، الذراع موضع اليد، ثم فى العالم الزمان ينظر إليه من الإنسان تحرك وجهى وقت تحريك رأسى ثم فى العالم الإضافة ينظر إليه من الإنسان هذا أعلاه هذا أسفله ثم فى العالم الوضع ينظر إليه من الإنسـان لغته ودينه ثم فـى العالم أن يفعل ينظر إليـه من الإنسان أكله ثم فى العـالم أن ينفعل ينظر إليـه من الإنسان ذُبِحَ فـمات وشـرب فروى وأكل فشبع ثم فى العالم اختلاف الصور فى الأمـهات كالفيل والحمار والأسد والصرصـر ينظر إليه من الإنسـان القوة التى تقبل الصـور المعنوية من مـذموم ومحمود هذا فطن فهو فيل وهذا بليد فهو حمار هذا شجاع فهو أسد هذا جبان فهو صرصـر فهذه مضاهاة الإنسان بالعالم الكبـير مستوفى مختـصراً فما بقى له فيـه شىء فما له لا يسـعى فى تخليص نفسه من رق الشـهوات كمـا حصل له أشرف المراتب فى الوجود فيحصل له أسنى المراتب السعادية.

وأما الأسرار المودعة فى الإنسان فكثيرة جداً منها ما يرجع إلى مزاجه ووضعه الطبيعىّ ومنها ما يرجع إلى حاله ووضعه الإلهى ونحن نحتاج فى هذا الكتاب إلى ذكر بعض من أسراره الإلهية الروحانية وإن خالطها من المزاج أمر يسير فليس غرضنا ويظهر سلطان هذه الأسرار بالتنزلات الإلهية بواسطة روح القدس على الروح بأسرار الولاية على الولى وأسرار النبوة على النبى ﴿كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه﴾ وقد ذكر النبى ﷺ ضروب التنزلات بالغت والغط وجعل أشده عليه فيه صلصلة الجرس لاختراق النور الملكى ظلمة هذا التركيب الطبيعى حتى يصل بذاته إلى النور الروحى الذى فى الإنسان فيلقى إليه فباشتغال الروح معه تتخدر الجوارح وينحرف الطبع ويتغير المزاج فإن الجسم اشتغل عنه حافظه بما يلقى إليه فإذا انصرف عنه النور الملكى سُرِّى عنه وقد عرق جبينه واحمر وجهه وقام كأنه نشط من عقال وهو قوله تعالى ﴿نَزَلَ به الرُّوحُ الأَمينُ * عَلَى قَلبكَ﴾ وكان أهونَ ما يُلقى عليه إذا تمثل له رجلاً فيأخذ من جهة سمعه وهى المحادثة ولأولياء الله فى هذا مشرب شهى ومتى اشتد الحال على الإنسان وغاب عن الوجود الحسى فإن حصل له فى تلك الغيبة علم يعقله هناك ويعقله إذا رجع ويعبر عنه على قدر ما أعطاه الله من العبارة فذلك هو الحال الإلهى ويجد القلب عند الإفاقة سروراً وربما عرته أبردة فذلك حال صحيح وإن غيب ثم رد ولم يجد شيئًا إلا أنّه أخذ عنه بقبضة قبض عليه لم تثمر له فائدة ولكن غاب عن حسه فهذا حال من المزاج لمّا حمى القلب بالذكر أو بالتخيل صعد منه بخار من التجويف الكثير الروح إلى الدماغ فحجب العقل ومنع الروح الحيوانى من السريان ورمى بصاحبه كالمصروع فهذا حال صحيح ولكن من المزاج ليس فيه فائدة ولهذا إذا سألته يقول رأيت كأنى كسيت برنسًا أسود وسحابة مرت على عينى فغبت وهو ذلك البخار الذى ذكرناه وأما الحال الثالث الكذاب هو الذى يعقل صاحبه أهل مجلسه ولم يغب عن نفسه ولا عن حسه ويتحرك ولا سيما فى مجالس السماع فهذا صاحب وسوسة وحديث نفس سخر به الشيطان فكل ما يلقى إليه يتخيل

أنها علوم وهى سموم فلا يعول على كل ما يخاطب به فى هذه الحالة فإنها حالة شيطانية وإنه ليس فى قوة الشيطان أن يفنيك عن حسك ثم يلقى إليك وتعقل عنه وإنما هو على أحد وجهين على البدل إما أن يفنيك مثل الصرع ولكن لا يلقى إليك شيئًا لأنه لا يجد من يأخذ عنه وإما أن لا يفنيك ويلقى إليك وأنت معى حسك وقد كسا باطنك شيئًا من حرارة وتوهم واستطلاع إلى بعد وضرب من استعداد لحظات فإذا عرف أنه قد تمكن منك فى هذا المقام ألقى إليك خطابًا فتحس بمواقع الخطاب فى نفسك على حسب ما يلقى إليك فتخبر عما وجدته فإخبارك أنك وجدت هذا فى نفسك صحيح وكونك تنسب ذلك إلى الحق باطل وربما يقول لك فى مواقع خطابه عبدى إنى أنا ربك لا تنظر إلى غيرى فأحجبك ولا تنظر إلىَّ إلا بى فإن نظرت إلى بك أشركت فأنا الناظر والمنظور وما أشبه ذلك النوع من الخطاب ويقنع إبليس منك أن تعتقد أن ذلك من الله فيستولى عليك فتصير محلاً له طول عمرك فلو علمت أن مخاطبة الحق لا تترك إحساسًا وليست بالوهم ولا بالتخيل ولا بالاستعداد والانتظار لعلمت ببقاء حسك معك أنك مع من يجانسك محدث مثلك يريد أن يسخر بك وأكثر ما يجد هذا أصحاب السماع والوجد ومن غلب عليه الوهم والتخيل فعليك بالفناء المحض وإن لم تجد شيئًا فهو أسلم من الفتنة فإن وجدت فيه شيئا فهو المطلوب وارتفع التلبيس فلا مدخل هنالك لإبليس فهكذا ينبغى أن تكون أيها المريد وأن تعرف هذه الأسرار من نفسك ولا تكن من الجهالة بحيث أن يعرف منك غيرك ما لا تعرفه من نفسك ثم لتعلم أن الروحانيين ليس لهم إلقاء الأمر والنهى وإنما لهم التحضيض والإخبار لأنه لا فائدة لأمرهم فإذا استولت عليك روحانية تدبرك فانظر فإن أمرتك ونهتك بضرب من العبادات فتلك شيطانية فأضرب عنها وأكثر من الذكر وقراءة آية الكرسى وسورة البقرة وإن لم تأمرك ولكن تخبرك فأنت فيها على الاحتمال بين أن يكون شيطانًا أو غير ذلك وتميز بينهما سرعة التنوع فى الإلقاء بين أن يلقى شيئًا ثم شيئًا آخر ثم شيئًا آخر فهو روح شيطانى وإن استمر أمر واحد فإنك معه فى حال الفتنة أيضًا فلا تقبل من الإلقاء إن أردت الصحيح إلا ما

حصل لك فى حال الفناء الكلى من غير تمثيل ولا حس سوى مجرد الفهم منك بما تكون منه وسر المشاهدة للبهت وسر الكشف للعلم وسرٌّ البقاء للأدب وسر الفناء للتوحيد وسر القبض للافتقار وسر البسط للسؤال والأسرار كثيرة وفيما ذكرناه دواء نافع لمن استعمله.

فلنذكر خواص الأحجار الإنسانية فمن ذلك حجر البهت وهو حجر عزيز فيه غبرة ومحله بحر الظلمات وله أسرار عجيبة وهو نكتة ذاتية فى القلب كمثل الإنسان فى العين الذى هو محل الرؤية وكالساعة التى فى الجمعة كما قال ﷺ وقد مثلت له الجمعة مرآة وفيها نكتة سوداء وأخبر أنها الساعة التى فى الجمعة فإذا كان الران على القلب لم يظهر لهذا الحجر وجود وجميع الأرواح التى فى الإنسان من عقل وغيره إنما هو مترقب لمشاهدة تلك النقطة فإن انصقل القلب بالمراقبة والذكر والتلاوة بدت تلك النقطة فإذا بدت ما لها ما تقابل سوى حضرة الحق الذاتية فينتشر من ذلك الحجر نور من أجل التجلى فيسرى فى زوايا الجسم فيبهت العقل وغيره ويبهرهم ذلك النور المنفهق من ذلك الحجر وشعشعاته فلا يظهر لهم تطريف ولا حركة لا ظاهرة ولا باطنة ولهذا سمى حجر البهت فإذا أراد الله أن يبقى هذا لعبد أرسل على القلب سحابة كون ما تحول بين النور المنفهق من تلك النكتة وبين القلب فيتشمر النور إليها منعكسًا وتشرح الأرواح والجوارح وذلك هو التثبيت فيبقى العبد مشاهدًا من وراء تلك السحابة لبقاء الرسم وبقى التجلى دائمًا لا يزول أبدًا فى ذلك الحجر ولهذا يقول كثير إنّ الحق ما تجلى لشىء قط ثم انحجب عنه بعد ذلك ولكن تختلف الصفات ولنا فى هذا المعنى أبيات منها:

لمّا لزمْتُ قَرْعَ باب الله
كنتُ المراقبَ لم أكن باللاّهى
حتّى بَدَتْ للعين سُبْحَةُ وجهه
وإلى هَلُمَّ لم تكن إلا هى

وكذلك من كتب الله فى قلبه الإيمان فإنه لا يمحوه أبدًا ولهذا قال

﴿أولئكَ كَتَبَ فى قـلوبهمُ الإيمان﴾ ﴿أولئك الذينَ هَدَى الله فـبهداهمُ اقـتَدهْ﴾ فهـذا هو الحجر النافـع المطلوب الذى يطلعك إلى مشـاهدة المحبـوب فاعلم ذلك وآية هذا السـر من القرآن ﴿حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قـالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق﴾ وخاصيته أنّه إذا قام بالعبـد فى وقت ما فإنه يقهر كل ما تعرض له من غير التـفات ولا معرفة به ومن ذلك حـجر الزمرد آيته من كـتاب الله تعالى ﴿إن الّذينَ اتّقَـواْ إذَا مـسَّهُم طائف مـنَ الشَّيْطانِ تذكَّـروا فـإذَا همْ مـبصـرُون﴾ فالقوة المذكـرة خاصيتها أن تعمى إبليس عن ملاحظة كـيده فى الحال وتدهشه فلا يلحق يرجع إليه بصره إلا والمؤمن على إحدى حالتـين إما فى غفلة فيمسه مرةً أخرى وإما فى حضور فيحترق إن دنا منه وقد رأيته لعنه الله لا يجترئ على دخول بيت فيه عارف بالله سواء نام العارف أو كـان مستيقظًا، ومن ذلك حجر الياقوت الأحمر وآتيه من كتاب الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمثْله شَىْءٌ﴾ خاصيتُه إذا كان الإنسان مـشاهدًا له من جهة روح قـدسى فإنه يعلم من العلوم المتـعلقة بذات الحق ما لا يطلع عليه غيره فإن كان مشاهدًا له من جهة نفسه الغضبية وصادف جبارًا من الـجبابرة فإنه يذل له ويخـضع لما يجْد له فى نفسـه من التعظيم وإن كان توعده عفـا عنه، ومن ذلكَ حجر الياقوْت الأزرق آيته مـن كتاب الله تعالى ﴿لا معـقِّبَ لحكْمه﴾ هو الذى يعطى الربانيـة للإنسان مـخصـوص بأصـحاب الأحـوال والخلق، حجـر الياقـوت الأصفـر آيته من كـتاب الله تعـالى ﴿والله خلقكمْ ومَا تَعْمَلونَ﴾ مخصوص بأصحاب المقامـات وخاصيته العبودية والذلة والافتقار مقـام مشترك من حصَل له جهل حاله، الحجـر المكرم آيته من كتاب الله تعالى ﴿وَجَعَلنَا من المَاء كل شَىء حىٍّ﴾ يدور به فلك الحياة يوجد فى كل موجود وفى كل شىء خـاصيته قلب الأعيـان إذا دبر وأحكم وألقيت منه أدنى شىء على ما شئت قلب عينـه لما تعطيه حقيقة ذلك الشىء كـالإكسير عند أهل الكيـميـاء تأخذه فـتحمله على القزدير والحـديد فيقلبـهما فضـة وعلى النحاس والرصاص فيـقلبهما ذهبًا وهو واحد فـاختلف القبول لاختـلاف الطبائع كذلك هذه الحقيقة تلقـيها على العاصى فيصير طائعًا وعلى الكافر فـيصير مؤمنًا وهذا

هو الكبريت الأحمر العزيز الوجود الذى جعله الله من ضنائنه وأودعه فى أرفع خزائنه من وصل إليه لا يرى أثره عليه فإن الحاصل به ضنين ولنا أبيات فى معناه منها، شعر:

مدعى الصَّنعة من غير سبب
عشتَ فى زُور ودعوى وكذبْ
فاستمع قولَ مُحبّ ناصح
صادق اللهجة محفوظ الطلبْ
نزّل النيّر من أفلاكه
واسعَ فى تحصيل تركيب النسب
وخذ الآبق من معدنه
وأمطْ عنه الفرارَ المكتسبْ
فإذا ما رضته واحتملت
ذاته التركيب فيها ورَسبْ
صَعِّد الفاضلَ وانظر حاله
بامتزاج النيرات فى لهبْ
فإذا أفناه يبقى سَبَبْ
يقلب الآنكَ فى العين ذَهَبْ

إزالة الظل وقطع التصرير قال الله تعالى ﴿ثمَّ قَبضْنَاه إلينا قَبضًا يسيرًا﴾ وإنّما يبقى الظل لعلة فى الصنعة فما دام الظل كان فى الأمر تدليس وحرم التصرف فيه وإزالته إن لم يكن عندك سرّ الحجر المكرَّم ولا نتيجة الحقائق الأربع فلا بد من طلب إمام فإن لم تجد فأخل بيتًا من جميع الأشياء واتخذه خلوةً فليكن ذكرك الله الله لا غير ولتتفرَّغ من هم المطعم والمشرب باستعدادك قبل ذلك واجعل مستندك هذه الآية ﴿ليْسَ كمثله شىء﴾ فإنه لا بد من زوال الظل أقربه فى سبعة أيام وأبعده فى أربعين يومًا وأما التصرير فسببه انضغاط النفس بين عالمِ الملكوت والشهادة وهو باب الأحوال فاحمل عليها قوله ﴿ألا بِذِكرِ الله تَطْمئنُ القلوب﴾ فإنّه ينقطع تصويرهُ إن شاء الله تعالى.

الباب الأول من الباب السابع عشر وهو الثامن عشر من أبواب الكتاب:

فى معرفة إفاضة العقل نور اليقين على ساحة القلب

نقدم مثالاً للتقريب فيما نذكره وذلك أن الشمس إذا قابلت الجسم الصقيل فإنه ينبعث من ذلك الجسم نور يضىء به موضع لا تقابله الشمس بانعكاس الشعاع كضوء القمر الذى هو انعكاس ضوء الشمس فمن أراد أن يرى الشمس فليجعل عينه فى الموضع الذى يضرب فيه النور المنعكس وينظر فى الجسم الصقيل فإنه يكشف الشمس ويجىء من هذا الترتيب شكل مثلث الركن الواحد الشمس والركن الثانى الجسم الصقيل والركن الثالث موضع ضرب الشعاع المنعكس واعلم بعد أن ضربت لك المثال أن النفس الحيوانية يفيض عنها نور من جانب التجويف الذى فيه الروح الكثير من القلب فيصل إلى أقصى أماكن الجسد ثم ينعكس ذلك النور مثل حركة الفلك فيرقى حتى يتصل إلى الدماغ فيتصل بالعقل اتصال سريان يكون له تأثير استفاضة على عين البصيرة فإذا ظهر ذلك النور لعين البصيرة كالشمس للبصر وهو المخاطب بقوله ﴿إِنَّ فى ذلكَ لذكرى لمنْ كانَ له قلب﴾ فلا معنى للحس ههنا فينعكس الشعاع من عين البصيرة على ساحة القلب كانعكاس الشعاع من العين على المبصرات فينظر إلى عجائب الملكوت وتتصل الأنوار وتنفتح عند ذلك العين الثانية فى القلب وهى عين اليقين وهى ناظرة إلى نور اليقين فإن الله تعالى نورين نوراً يهدى به ونوراً يهدى إليه وله فى القلبْ عينان عين بصيرة وهو علم اليقين والعين الأخرى عين اليقين فعين البصيرة تنظر بالنور الذى يهدى به وعين اليقين تنظر بالنور الذى يهدى إليه قال الله تعالى ﴿يَهْدِى الله لنوره من يَشَاءُ﴾ وهو نور اليقين وقال فى النور الآخر ﴿وَيَجْعَل لَكُمْ نوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾ فإذا اتصل النور الذى يهدى به بالنور الذى يهدى إليه عاين الإنسان ملكوت السموات والأرض ولاحظ سر القدر كيف تحكم فى الخلائق وهو قوله تعالى ﴿نور عَلَى نُورٍ﴾.

البـاب الثاني من البـاب السابع عـشـر وهو الباب التـاسع عشـر من أبواب الكتاب:

فى الحجب المانعة من إدراك عين القلب الملكوتَ

قد قـدمنا أن الأنوار ثلاثة نور الحـياة ونور العـقل ونور اليقـين فأمـا نور الحيـاة الذى هو انعكاس شعاع النفس الحـيوانية فعلله ثلاث الران والحـجاب والقفل فكلها مذكورة فى القرآن الكريـم وموادها من الصفات البشرية الظاهرة فى عالم الشهـادة فهذه الأمراض التى حصلت للقلب فى هذا المـقام إنما ذلك من جهة الأمارة بالسوء البهيمية وأما النور الذى يحصل للقلب بانعكاس شعاعه من جوهر العقل فعلته النفس الغضبيـة لها نار تطبخ القلب وتحرقه فيصعد منه دخان على القلب يحول بين القلب والعقـل فتنقطع المادة فيظلم القلب وذلك الدخان هو الغطاء والكن والغشـاوة فإن تكاثف أدى إلى العمى ﴿ولكن تعمى القلوبُ التى فى الصـدور﴾ وفى ذكـر الصدور هنا إشـارة تركناه لك وأمـا نور اليقـين الذى هو الأمـد الأقصى فالـعلة التى تحول بينه وبين عـين اليقـين من القلب عدم الإخلاص والقـبضُ بالنظر إلى الأعمال المحمودة والمـذمومة فلو أعـرض لزال الـحـجـاب ووقع الانـشـراح واتصلت الأنوار وظـهـرت الآيات والعجائب وتحـقيق هذا الفصل فيمن نـظر من قوله تعالى ﴿الله نورُ السموات والأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿وَمَنْ لمْ يَجْعَل الله له نُوراً فَـمَا له من نُور﴾ هنالك تبدو لك الحجب فى مقابلة الأنوار ﴿آيات بيّنات لقوم يعقلونَ﴾.

الباب الثالث من السابع وهو الباب الموفى عشرين من أبواب الكتاب:

فى اللوح المحفوظ الذى هو الإمام المبين ولوح المحو والإثبات

وهذا المقـام هو الذى يجمع الولى والنبىّ وهو الذى يفـرق بينهما فـجعل الله القلم ترجمـان الدواة ومفصل علومه بالرسـوم فهو العالم المـحفوظ وهو المثبت والمـاحى وأم الكتاب وهو الكتاب المسطَّرةُ علومهُ فى قـوته مجملة لا يعقل عنه حتى يفـصح وأما لوح المحو والإثبات فهو اللوح الـدفتين الزمردتين المودع كائنات العالم إلى يوم التبديل فهـو لوح محصور وعليه اعتكفت ملائكة التسخير وينظره منك فى العالم الإيمان وفى اللوح تنوع الأحوال بتنوع الأزمان بتنوع الأمـاكن بتنوع الأوضـاع بتنوع الأعراض فـينسخ الآخـر الأول أبدًا وهو المحـو والإثبات فإذا رجـعوا إلى تماثلهم حـشروا فى القلم الأعلى فاسـتعلوا السموات العلى فيخرج النبى والوارث العالم بالقلم الأعلى ويختلف الإلقاء لأن قلم النبى له طرفان وقلم الولى له طرف واحد ويخـرج الولى العارف والمؤمن باللوح فتمتاز المراتب والله عليم حكيم، والله أعلم.

الباب الرابع من السابع عشر وهو الباب الحادى والعشرون من الكتاب:

فى أسباب الزفرات والوجبات والتحرك عند السماع

السماع سرّ من أسرار الله تعالى فى الوجود العلية واحد فى نفسه والسامعون شخصان شخص يسمع بنفسه وشخص يسمع بعقله وليس ثمَّ سامع آخر ومن قال إنه يسمع بربه فإنه نهاية درجَ سمع العقل لكن للعقل سمعان سمع من حيث فطرته وسمع من حيث الوضع فالذى له من حيث الوضع هو الذى قيل عنه يسمع بربه وقوفًا عند قوله ﷺ عن ربه كنت سمعه الذى يسمع به فالذى يسمع بعقله يسمع فى كل شىء ومن كل شىء وعلى كل شىء لا يتقيد وعلامته فى ذلك البهت وخمود البشرية والذى يسمع بنفسه لا بعقله لا يسمع إلا فى النغمات والأصوات العذبة الشهية وعلامته أن يتحرك عند السماع بحالة فناء عن الإحساس ومهما أحس المتحرك فى السماع فإنه مسخرة للشيطان وإن لم يحس وفنى عن كل شىء فهو صاحب نفس وتحت سلطانها وحاله صحيح صححه الفناء ولا يأتى بعلم أبدًا عقيب هذا الفناء والحركة فى السماع فإن ادعى أنه بعلم فلم يكن فانيًا ولم يكن سمع بعقله فإنه قد تحرك فلم يبق له إلا أن يكون كاذبًا فإن سماع النفس لا يأتى بعلم البتة وسماع العقل لا تكون معه حركة فمن جمع بين الحركة والعلم فهو كاذب جاهل بالحقائق.

واعلم أنه إذا أراد الله تنزل المعارف على قلب عبد بضرب من ضروب الوجد أرسل برد القرب على القلب المعقول فتبرد سماء القلب فيأخذ سفلاً فيجد الحرارة الغريزية صاعدة إلى الدماغ فيعتمد عليها فتنعكس الحرارة فتأخذ سفلاً حتى تحل ساحة القلب فتتولد من ذلك الحك نار فتصعد فإن وجدت فى سحاب برد اليقين والقرب خللاً صعدت فكان ذلك التأوه الذى يسمى الزفرة وإن لم تجد خللاً حللت رطوبات السحاب الأعلى من جمده فذلك هو البكاء

الذى يطرأ على صاحب الحال فى حاله فإن كانت تلك النار قد أنضجت الكبد يشم فى ذلك التأوه رائحة الحرق ويصدع تلك النار فى تجويف القلب بالانضغاط الذى هى فيه فيسمع له فى ذلك الوقت أزيز يسمى الوجبة والصيحة والرجفة وفى ذلك الوقت تقع الصيحة من صاحب الحال فمن كان فى قلبه جلاء من الحاضرين صعق من حينه لتلك الصيحة وهى صلصلة النار الطبيعية بالقلب وتتصدع لها القلوب إذا قويت عليها ومن كثرت الريون على قلبه من الحاضرين أخذته لتلك الصيحة رعدة وفزع ووقع الإنكار منه على صاحب الحال وقال هذا ما سمعنا أنه كان فى السلف وقد كانت الموارد ترد على قلب النبى ﷺ وما سمعنا عنه أنه صاح ولا صعق فلا تلفت إلى قوله فإن قلبه مطبوع وقد فرقنا بين سماع العقل وسماع النفس وكل فى بابه صحيح وفى خروج تلك الزفرات تكون حياة العارف فإذا أرادت النار الخروج من خلل السحاب الذى ذكرناه ووجدته متراكمًا ما فيه خلل انعكست وطبخت القلب والكبد فى الحين وأحرقتهما فمات صاحب الحال من فوره وعند زج تلك النار من القلب إلى الدماغ تكون الحركة والشطح من صاحب الحال وأكثر خروجها ملتوية متداخلة فتكون حركات صاحب الحال غير موزونة ولا مربوطة بطريقة وأكثر ما يظهر منهم الدوران لأن شكل الإنسان فى الحقيقة مستدير والنار تجرى على شكله فإن كان ذلك السحاب رقيقًا واسع الخلال فإن الحرارة تنفش فيه فلا تظهر من صاحبه زفرة ولا تسمع لقلبه وجبه ولكن يغلب عليه الضحك ما دام فى ذلك الحال للاتساع الذى يجده فلا تغالط نفسك أيها المريد فقد أبنت لك صورة الأمر فإن شئت أن تكون صاحب عقل وإن شئت أن تكون صاحب نفس والله تعالى يصلحنا وإياك وجميع المسلمين.

الباب الخامس من السابع عشر وهو الباب الثانى والعشرون:

فى الوصية للمريد

وهو على فصول وبه ختم الكتاب.

اعلم أيها المريد نجاة نفسك أنه أول ما يجب عليك قبل كل شىء طلب أستاذ يبصرك عيوب نفسك ويخرجك عن طاعة نفسك ولو رحلت فى طلبه إلى أقصى الأماكن وأنا أوصيك إن شاء الله ما تفعله فى مدة طلبك الشيخ حتى تجده فإذا وجدته فانقد إليه واصدق فى خدمته فالحاضر أبصر من الغائب فكن بين يديه كالميت بين يدى الغاسل ولا يخطر لك عليه خاطر اعتراض ولو عاينته قد خالف الشريعة فإن الإنسان ليس بمعصوم ولا تكتم عنه كل ما يقع لك فى نفسك من محمود ومذموم فى كل من كان ولا تقعد فى مكانه ولا تلبس ثوبه ولا تجلس بين يديه إلا وأنت مستوفز جلوس العبد بين يدى سيده وإذا أمرك بفعل شىء فتثبت فيه حتى تعرف ما أمرك به ولا تبادر وأنت غير عارف بما أمرك به فلا تأتى بشىء ولا تسأله عن سبب ما أمرك به وإذا وصفت له حالاً من أحوالك فى رؤيا أو غيرها فلا تسأله عن شرحها وإذا كلمته فى أمر فلا تطلب منه الجواب عليه ولا تحتمل فيه قول قائل وإذا عرفت له عدواً فاهجره فى الله ولا تجالسه ولا تعاشره وإذا رأيت من يحبه ويثنى عليه فأحبه واقض حوائجه وإن طلق شيخك امرأة فلا تتزوجها وإياك أن تدخل بيت خلوة الشيخ ولا تبيت معه فى بيته أو حيث يبيت ولتنم قريبًا منه بحيث لا تراه وإذا دعاك سمعته ولا تشاوره فى أمر تفعله فإنك تناقض أصلك فإن الأصل الذى ربطت عليه أمرك ألا تريد إلا ما أراده شيخك فإذا خطر لك شىء فاتركه عن نفسك والتفت لما يرسمه لك وعليه اعتمد فإن من الشيوخ من إذا شاورته فى أمر قال لك افعله وإن كان لا يريد ذلك فإن الحال يعطيهم ذلك وهو يضر بك وإن قال لك لا تفعله نفعك وضر نفسه وصلاح نفسه عنده أولى فما تسلم من

هذا الضرر إلا بأن لا تشاوره فى أمر خطر لك أن تفعله ولكن اترك ذلك الخاطر ولا تفعله فإن وقتك قد عمره ما كلفك به شيخك وإنما تقع الخواطر للمريد السوء البطال الفارغ ظاهراً وباطنًا ولا تعترض عليه فى فعل من أفعاله ولا تسأله لمَ فعلت ذلك وتلمّذ واخدم كل من قدمه عليك شيخك ولا تقعد مقعداً حيث كنت إلا وتتيقن أن الشيخ يراك فالزم الأدب ولا تمش أمامه فى طريق إلا بليل ولا تدم النظر إليه فإن ذلك يورث قلة الحياء ويخرج الاحترام من القلب ولا تكثر مجالسته وليكن جلوسك فى بيت خلوتك أو خلف باب بيت الشيخ حتى إذا أرادك وجدك ولا تقض لأحد حاجةً ولو كان أباك حتى تشاور شيخك ولا تدخل عليه متى ما دخلت عليه إلا قبلت يده وأطرقت وتحبب إليه بامتثال أمره ونهيه لك وكن حافظًا شحيحًا على عرضه وإذا قدمت له طعامًا فألقه أمامه بجميع ما يحتاج إليه وقف خلف الباب فإن دعاك فأجبه وإلا فاتركه حتى يفرغ وإذا فرغ فأزل المائدة أو السفرة إذا أمرك فإن بقى من طعامه شىء وأمرك بالأكل فكله ولا تؤثر بنصيبك أحداً وإياك أن تحدث نفسك أن الشيخ يأكل وحده فتستعظم أكله وإن كان طعامًا كثيراً فيفرغ أو تقع فيه من أجل الخبر فيمن أكل وحده واجهد أن لا يراك فيما لا يسره منك ولا تتمن عليه واحذر مكر الشيوخ فإنهم يمكرون بالطالب فى أوقات فحافظ على أنفاسك فى الحضور معهم فإن وقعت منك زلة فى حق أدب مع الشيخ وعرفت أنه قد عرف بها وسامحك فيها ولم يعاقبك فاعلم أنه قد مكر بك وقد علم أنه لا يجىء منك شىء ولهذا سكت عنك وإذا عاقبك على الخطرة واللحظة وضايق عليك أنفاسك فأبشر بالقبول والفتح والرضى ولا يدللك عليه بسطه بل كلما انبسط فلتزد فى قلبك المهابة والإجلال وتعظيم الاحترام والاحتشام، شعر:

كلما ازداد بَسطةً وخضوعًا
زدتً فيه مهابة وجَلالا

وإن سافر شيخك وتركك فى موضعك فلازم الموضع الذى كان يقعد فيه

بالسلام عليه فى كل يوم فى الأوقات التى كنت تأتى إليه فيها كأنه ما غاب وارع من حرمته فى غيبته رعايتك فى حضوره وإذا رأيته يريد الخروج إلى موضع فلا تقل له فى ذلك إلى أين وتدخل عليه رأيًا فى أفعاله وإن شاورك فرد الأمر إليه فإن مشاورته إياك ليست من افتقاره إلى رأيك وإنما شاورك تحببًا لك وسياسة وإذا رأيته يلازم موضعًا فلا تقل له فى ذلك ولا تحدث نفسك أن تلك عادة منه وإذا انتقل عن موضع كان يلزمه فلا تذكره به ولا تتأول عليه كلامه فيما يأمرك أو يحدثك به وقف عند ظاهر ما تسمع وافعله إذا أمرك وإن تيقنت أنه خطأ فامض لما أمرك ولا تعرج على تأويل فيه وإن تأولت أمره وأصبت فهو خطأ كما أنك إذا لم تتأول وفعلته كما أمرك وكان ذلك الأمر خطأ فقد أصبت فإن الهداية فى الطريق عندنا فى حق المريد مع الشيخ والشيخ مع الله ليس هى فى إصابة التأويل فى الأمر بوجه العلم الصحيح وإنما الهداية فى امتثال الأمر من غير تأويل البتة وسره عندنا بين ظاهر فى الحضرة الإلهية ومتى ما تأولت على الشيخ ما أمرك به أو تقول له تخيلت أنك أردت كذا فاعلم أنك فى إدبار فإنك على نفسك فما أوتى على أكثر المريدين إلا من التأويل فإن التأويل حظٌّ النفس والعقل ظاهرى لا يقينى ولا تتأول على أمره بل الأمر كله على الوجوب فهو يبادر إليه إذا خوطب به ولا تصل فى موضع تستدبر فيه شيخك إن كان حاضرًا واجمع بين الأدبين ولا تفش له حديثًا إلا بأمره ولا تقف له على أكل ولا نوم ولا حالة من أحوال العادة فإنه أنفع لك إلا إن دعاك إلى ذلك وصورة دعائه لك فى ذلك أن لا تتعرض إليه بمشورة مثل أن تقول له يا سيدنا تأمرنى أن آكل معك أو تأمرنى أن أنام معك فى بيت واحد أو أنصرف فإنى أخاف أن يقول لك افعل كل معى أو نم معى وهذا غاية الإبعاد عندنا فإنه داعيه إلى الإدلال وإسقاط الحرمة والهيبة ومتى ما عدم هذا من المريد فإنه لا يفلح ولا بد منه البتة ومن قال خلاف هذا فلا يعرف نفسه فكذا أيها المريد فلتكن حالتك مع الشيخ إذا وجدته وأنا الآن أوصيك ما تفعله فى المدة التى تطلب فيها الشيخ إن شاء الله تعالى فأول ذلك التوبة بإرضاء الخصوم ورد

المظالم التى تستطيع على ردها والبكاء على ما فات من أوقاتك فى المخالفات ومصاحبتك للعلم بأنك من ذنوبك على يقين ومن قبول توبتك على خطر ولا تقعد إلا على طهارة كاملة ومتى ما أحدثت توضأت ومتى ما توضأت صليت ركعتين والمحافظة على الصلوات الخمس والتنفل فى بيتك.

فصل فى الصلاة: فإذا توضأت فاسع فى الخروج من الخلاف وتوضأ أسبغَ وضوء يتوضّأه أحد للصلاة وأتمه وسم فى بدء كل حركة من حركاتك واغسل يديك بترك الدنيا منها ومضمض بالذكر والتلاوة واستنشق بشم الروائح الإلهية واستنثر بالخضوع وطرح الكبر واغسل وجهك بالحياء وذراعيك إلى مرفقيك بالتوكل وامسح رأسك بالذلة والافتقار والاعتراف وامسح أذنيك باستماع القول واتباع أحسنه واغسل قدميك لإيطاء كثيب المشاهدة ثم أثن على الله بما هو أهله وصل على رسوله الذى أوضح لك سنن الهدى ﷺ وقف فى مصلاك بين يدى ربك من غير تحديد ولا تشبيه وواجهه بقلبك كما تواجه الكعبة بوجهك وتحقق أن ما فى الوجود أحد إلا هو وأنت فتخلص ضرورة وكبره بالتعظيم ومشاهدة عبوديتك وإذا تلوت فكن على حسب الآية المتلوة فإن كانت ثناء على الله فكن أنت المحدث وهو الذى يتلو كتابه عليك فيعلمك الثناء عليه فيما يثنى به على نفسه وكذلك فى آية الأمر والنهى وغير ذلك لتقف عند حدوده وتعرف ما وجه عليك سيدك من الحقوق فتحضرها فى قلبك لأدائها والمحافظة عليها والحَظْ ناصيتك بيده فى ركوعك ورفعك وسجودك وجميع حركاتك فتسقط لك الدعوى فى هذه الملاحظة حتى تسلم فإذا سلمت فابق على عقدك أنه ما ثم أحد غيرك وربك سبحانه وسلم باللفظ على من أمرك فإن سلامك على نفسك ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً﴾ الآية ومتى دخلت بيتك فحيه بركعتين وكذلك كل موضع تدخله.

فصل: الأكل والشرب: ولا تأكل إلا من فاقة ولا تشبع ولا تكثر شرب الماء ولا تأكل تصنعًا ولا تعززًا ولكن كل على قدر حاجتك إلى الطعام ولا

بشره إليه لجوعك بل خذ اللقمة متوسطة فإذا جعلتها فى فيك فاشدد مضغها وسم الله عليها فإذا مضغتها فابتلعها ثم احمد الله الذى سوغكها وحينئذ تمدّ يدك إلى لقمة غيرها فتسمى الله أيضًا مثل الأولى حتى تبتلعها ثم تحمد الله وحينئذ تمد يدك إلى غيرها حتى تأخذ حاجتك وكل مما يليك ولو كنت وحدك كيلا تعتاد سوء الأدب واحذر الشهوة ولا تنظر إلى وجه أكيلك ولا إلى يده ولتنظر بقلبك فى ذلك إلى تنزيه من يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ فيتبين لك نقصك وعجزك فتكون فى عبادة فى أكلك ولا تلتفت ولا تصغ لمن يقول لك إنك تأكل قليلا فيؤديك ذلك إلى أن تتركه رياء حتى يقال إنك تأكل قليلاً وإذا حضرت على مائدة طعام فكن آخر من يرفع يده ولا تقم حتى ترفع المائدة ولا تأكل فى بيتك ثم تأتى إلى الجماعة فتأكل معها بالتعذر كأنك قليل الأكل فإن ذلك من شيم المنافقين وليكن أكلك من وقت إلى وقت.

فصل فى الكسب والتوكل: ولتحترف إن عدمت اليقين ولا تظهر التوكل وليس عندك منه شىء وتتخيل أن عجزك من قوه يقينك وحسن توكلك وإنما هو من نقص همتك ودناءه أصلك وقلة معرفتك فاحترف على حد الورع واجهد فى ذلك جهدك فإن طالبتك نفسك بالقعود والتوكل فلا تجاهدها فى ذلك واسمح لها دعواها وارحل بها عن المواطن التى تعرف فيها إلى الأمصار الكبار التى لا يعرف فيها الغريب من البلدى ولا تقعدها فى موضع واحد من ذلك البلد بل خالف بها المواضع ولا تعاشر أحدًا ولا تتعرف إليه فإذا رأيت إنسانًا وتوسمت فيه أنه قد جاءك بشىء أو سمعت حركته ولم تره فقالت لك النفس هذا فتح من الله فدخل عليك ذلك بذلك الفتح فلا تقبله ورده عليه فإنه أتاك باستشراف ولتعلقها بالرزق حتى كوشفت عليه فأين الله منها فى ذلك الوقت فلا تقبله ولو كنت على الهلاك فإذا أتاك الشىء من غير استشراف وحصل بين يديك فانظر على الفور ما تجد فى نفسك فى أول خاطر عند رؤية ذلك الفتوح فإن وجدت فى نفسك انقباضًا منه فرده عليه ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك وإن لم تجده انقباضًا ووجدت شرحًا فإن صاحبه شره فرده ولا تقبله

وإن لم يصحبه شره فحينئذ فخذ منه قدر ما تحتاج إليه فى ذلك الوقت ورد عليه ما بقى ولا تقعد فى ذلك الموضع وارحل عنه إن كان المصر كبيراً جداً إلى موضع آخر ولا ترد المواضع جرت العادة بإتيان الفتوح إليها كالربط والمساجد وما أشبه ذلك وهذا كله حتى يتقوى يقينك وإن لم تفعل هذا وإلا فقد خنت نفسك ولا تسمع من صوفى نطق من مقامه فقال لا أرى غير ربى ما قالها حتى قاسى ما ذكرته لك وحينئذ وأما أن يفعل ذلك ابتداء فشغل البطالين.

فصل فى الصحبة: والصحبة أبشر شىء على المريد فإن الطريق مبنى على قطع المألوفات وترك المستحسنات ولما كانت الصحبة تؤدى إلى الألفة والأنس وتغيير المحل بوجود الألم عند وقوع المفارقة لهذا كرهناها ولهذا تقول المشيخة من وجد الأنس فى الخلوة والوحشة فى الملأ فأنسه بالخلوة لا بالله وإنما التبس عليه فالأولى بالمريد الاعتزال عن الصحبة جملة ولتكن همته فى طلب الشيخ فإن وجد الشيخ فلا يلحظ غيره ولا يصاحب إخوته من تلامذة الشيخ ولا يجالسهم إلا أن أمره الشيخ بذلك فينبغى للمريد أن يكون مع الخلق مع جنسه وغيره كالوحش يفر يطلب بذلك الأنس بالله ويكثر الذكر ويستهتر فيه ولا يبايت أحداً ولا يجالسه فإن أضطر إلى الصحبة فليرقب نفسه مع صاحبه فإن وجد عند مغيبه وحشة إليه فليتخل عن صحبته فإن تبعه ذلك وطالبه فليفر من البلد وكذلك فى ثوبه ومسكنه إذا أحس من نفسه أنه أحب ثوبه باعه واشترى غيره وإن استغنى عنه أعطاه لغيره وإن أحب مكانه تحول عنه ولا يبقى مع شىء يأخذ من قلبه نصيبًا حتى يكون فردانيًا فى الوجود فإن الحق سبحانه لا يتجلى لقلب له أنس بغيره لا من الطائعين ولا من غيرهم ولولا أن الشيخ له طبيب ووجود العلة التى فيها هلاك المريد عنده لم يجز له أن يجلس معه ولكن يجلس معه لا على وجه الأنس به ولكن على وجه تعليم الأدب فإن الطالب إذا تعلق أنسه بالشيخ طال عليه الطريق وصعب على الشيخ طبه وتعذر عليه واستبطأ البرء من علته وذلك لأنسه به وغرض الشيخ من التلميذ أن يجده فى كل وقت معمور القلب بالذكر حتى إذا ألقى عليه ما يؤديه إلى مجالسة أحد

فى فعله زمانًا واحدًا يراه يتألم فيعـرف الشيخ أن المريد قد فتح عليه واعتنى به ولتكن معاشرته بالإيثار والفتوة وسخاوة النفس وترك طلب الحقوق منهم ويرى الفضل لهم ولا يرى لنفسـه حقًا عندهم فكيف فضلا عليـهم ولهذه العلة أمرنا المريد بتـرك الصحبـة فإن للصحـبة حقـوقًا يجب عليـه أداؤها تشغله عن أداء حقوق الله تعـالى فى قلبه وهو ضعيف فـالعزلة والفرار أولى فإن الصـحبة من شيم المتـمكنين الأكابر وكن معهم على نفـسك إن ذموك فأنت للذم أهل وإن حمدوك فـأوصافهم تكلمت عنهم وسـتر الله عليهم أمرك ولو كـشفه لهم رأوه عورة فلا تفرح بحمدهم وثنائهم عليك.

فصل: السعى إلى المساجد: وينبغى للمريد أن لا يكثر الحركة فإنها مفرقة ولهذا منعناه من السـفر لئلاً يشـوش حاله إلا فى طلب شيخ يرشده فـإذا خرج إلى المساجـد أو إلى ضرورة فلا يلتفت يمـينًا ولا شمالاً وليجـعل بصره حيث يجعل قدميه مخافة النظرة الأولى ويكون مـشتغلاً بالذكر فى مشيه ويرد السلام على من سلم عليه ولا يقف مع أحـد ولا يقل لأحد كيف حالك ولـيحذر من هذا فإنه صعب عندنا ويزيل من طريقه كل ما يجده من أذى من حجر أو شوك أو عذرة ولا يجد رقعة فى الأرض إلا يرفعها فى كوة ولا يتركها تدرس بالأرجل ويرشد الضـال ويعين الضعـيف ويحمل عن المثـقل هذا كله واجب عليه وإذا سلم فليسلم عـلى كل عبد صـالح لله فى الأرض والسماء من ذلك المـقام يرد عليه وإياك والسـعى فى مشيك ولـكن بالتأنى من غيـر عجب فإنه أوفـر لهمك وإذا كنت حاملاً شيـئًا فأردت الراحة فتعـدل عن طريق الناس ولا تضيق عليهم طريقهم وإياك وحـضور مـجالس السمـاع فإن أشار عليك شـيخك بحـضورها فاحضر ولا تسمع واشتغل بالذكر فإن سماعك من ذكرك أولى من سماعك من الشعر ولا سـيما والقوال قلما ينشـد إلا فى باب المحبة والشـوق والنفس تهتز عند ذلك وتورث الدعـوى عندك فإن أنـشد القـوال فى الموت ومـا يردك إلى الخـوف والقبض والحـزن والبكاء فى ذكـر جهنم أو ذهاب العـمر أو المـوت وكرباته أو الحساب والقـصاص أو مواقف القيامة فأصغ إليه وفكر فـيما جاء به

فإن غلب عليك حال يفنيك عن إحساسك فقمت فليس قيامك لك وإنما أقامك واردك فمتى ما رجعت إلى إحساسك فاقعد من حينك وارجع إلى هيئة اعتدالك فإن الحركة فى السماع انحراف مجرى الاعتدال وتتنوع بحسب القصد فإن تحركت وأنت تحس بحركتك فحركتك إلى أسفل كمن ينزل من علو إلى سفل حتى تستقر فى سجين نسأل الله العافية وإن تحركت وأنت فانٍ عن نفسك وإحساسك فإن فنيت فى الله تعالى باستيلاء عظمته فى قلبك أو فى الجنان أو فى النار فحركتك علوية حتى تستقر فى عليين وإن فنيت فى معشوق لك من امرأة أو حدث فحركتك فى جهنم فى سجين مع كونك فانيًا وحالك حال صحيح ولكن فى الفساد ويتوهم الناس أنك فى حق الله فنيت فإياك وحضور مجالس السماع وإن اضطررت إلى الصحبة ولا بد فصاحب العباد والمجتهدين من أهل المعاملة حتى تجد الشيخ فإن لم تجدهم فى المدن فاطلبهم بالسواحل والمساجد الخربة فإنهم يطرقونها وقنن الجبال وبطون الأودية وإذا عزمت أن تكون منهم فإياك أن يدخل عليك وقت الصلاة إلا وأنت فى المسجد والمفرط من المريدين من يصل والصلاة تقام فإن جئت للمسجد والصلاة تقام فقد فرطت غاية التفريط ولست منهم وأما أن تفوتك تكبيرة الإحرام أو ركعة مع الإمام فلا تتكلم على هذا فإن هذا من حكم العامة المطعون فى إيمانهم فتب إلى الله واستأنف وإياك وملازمة مسجد واحد ولا صف واحد ولا موضع واحد فى المسجد.

فصل فى الخواطر: واعلم أنك إن عاشرت الفقراء وخدمتهم فلا ترد خاطرًا يخطر لك فى مصالحهم من خدمتهم فإن خواطرهم رسل إليك فافعل كل ما يخطر لك من غسل ثياب أو طبخ طعام أو شيء من هذه المنافع فإن الفقراء الصادقين تخطر لهم الخواطر ومجاهدتهم تمنعهم من التحدث بها (حتى لا يسعى لنفسه فى شهوته) والله سبحانه يريد أن يجمع لهم بين الأمرين معًا بصدقهم فيلقى فى نفسك فعل ما خطر لهم فقم عند ذلك وافعله وأت به إليهم فتحصل لهم درجة المجاهدة ونيل المطلوب وتتعلم أنت تصديق الخواطر

سوى ما لك من الأجر فى ذلك ولا تحتقر بشىء من الخير فإن هذا الطريق طريق الأرباخ ولا يهلك على الله إلا هالك وأربعة من أحكمها فقد فاز بجميع الخيرات كلها خدمة الفقراء وسلامة الصدر والدعاء للمسلمين بظهر الغيب وأن تكون معهم على نفسك وقلما يسلم مريد فى ابتداء حاله من الخواطر الرديئة فى كل جانب من جانب الحق ومن جانب الخلق فآكد ما على المريد السعى فى أن يسلم الناس من سوء ظنه بهم وإن كنت صادقًا صحيح الخاطر والكشف بالعادة والتجربة لذلك فيخطر لك خاطر سوء فى واحد وهو كما خطر لك فاعلم أنّه من إلقاء الشيطان وتب إلى الله تعالى منه واستغفر الله وسله أن يعمر باطنك لا بالاشتغال بخلقه وكيف وقد شغلك بمَسَاوئهم وإنما الشيطان يحب أن يستدرجك ويصدّقك ليكذبك ويكرمك ليهينك فتحفظ وإنّما ينقطع هذا بالذكر وينقطع ما كان فى جانب الحق عنك بالعلم.

* * *

* *

*

تم الكتاب

فهرس الموضوعات



فهرس الموضـــــوعات

الموضــــــــوع	الصفـحـة

الموضـــوع	الصفحة
	١٨٦